

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران



كلية الآداب واللغات والفنون

معهد اللغة العربية وآدابها

## المنهج الحجاجي في القرآن عند الشعراوي

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه

في الأدب العربي، تخصص تحليل الخطاب

إشراف الأستاذ الدكتور

عشراتي سليمان

إعداد الطالبة

بلعالم فضيلة

### أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	هيكل الانتماء	الصفة
بكري عبد الكريم	أستاذ	جامعة وهران	رئيسا ومقررا
عشراتي سليمان	أستاذ	جامعة وهران	مشرفا
بن عيسى عبد الحليم	أستاذ	جامعة وهران	مناقشا
عقاق قادة	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
زروقي عبد القادر	أستاذ	جامعة تيارت	مناقشا
قادة محمد	أستاذ	جامعة مستغانم	مناقشا

السنة الجامعية: 2013 / 2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء

إلى أولئك الذين ظلت عيونهم

شاخصة وقلوبهم معلقة وجلة ولسان

حالهم يقول (الله يسرّلك كل صاعبة)

إليهم جميعاً أُنخني ممتنة أهدي لهذا العمل المتواضع راجية من

الله أن يجدوا فيه المتعة والنفعة .

## شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

حمداً لله حمداً يليقُ بجلال قدره وعظيم سلطانه.

أساتذتي الأفاضل

سيدي المشرف

السادة أعضاء اللجنة الموقرة

الشكر الجزيل على عناء التصحيح، والنصح والتوجيه.

مُقَلَّمَاتُ

الحمد لله رب العالمين منزل الكتاب هدى وتذكرة لأولي الألباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي - الذي خصّه الله بجوامع الكلم وفصل الخطاب - وعلى آله وأتباعه وخاصته وسائر الأصحاب، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا .

حظي علماء الإسلام بشرف البحث في كتاب الله العظيم بعد نزوله؛ وذلك لكشف أسراره، وتبيان مواطن الجمال فيه، وغنموا من مجوهم تلك علومًا، شرفت بها لغتهم وآدابهم؛ ورغم كثرة هذه البحوث، وغزارة تلك العلوم، فقد منّ الله علينا بجوانب نظر، تختلف عما طرقوه، وذلك بظهور نظريات جديدة أفاد منها العلماء المعاصرون في دراساتهم القرآنية؛ لأجل استمداد النفع به، وحسن الاهتداء بهديه .

إن التأمل في الوحي، والبحث في أغواره بدأ منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - وذلك مثل بحث: المكي والمدني، وأسباب النزول، والنسخ، والمحكم والمتشابه، وغيرها من الموضوعات؛ ثم تطور البحث في علوم القرآن، وبدأ تدوين كتب التفسير في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكانت المسائل التي تطرح آنذاك تتعلق بعلوم القرآن، حيث كتب علي بن المديني، شيخ البخاري - رضي الله عنهما - في أسباب النزول، وكتب غيره في النسخ، وآخرون في مبهمات القرآن، والمكي والمدني، وفضائل القرآن وغير ذلك، نجد مثلاً كتاب أفنان القرآن من بين أول ما كتب في القرآن للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت 597 هـ) . وبعده كتبت موضوعات في القراءات، ومتشابه القرآن، ثم كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (ت 794 هـ)، ثم جاء المحافظ السيوطي فكتب الإتيان في علوم القرآن .

وقد برز في مرحلة التأصيل خطان واضحان في التفسير هما:

الخط الأول: خط التفسير بالمأثور وإيراد ما جاء في تفسير الآيات من أحاديث صحيحة وأقوال للصحابة والتابعين، وأصحاب التابعين؛ ويمثل هذا الخط المفسرون: الحسن البصري، السدي الكبير، يحيى بن سلام البصري ومحمد بن إسماعيل البخاري.

الخط الثاني: خط التفسير البياني اللغوي حيث كان المفسر يتحدث عن معاني كلمات الآيات وعن فقه اللغات فيها، وعن الشواهد الشعرية، ويمثل هذا الخط نتاج العلماء الثلاثة: ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، وأبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن، والفراء في كتابه معاني القرآن. وكان بين علماء التفسير الذين يمثلون الخطين نوع من التنافس.

بعد انتهاء عصر الصحابة يبدأ عصر التابعين، وهم الذين تلمذوا عليهم، فنقلوا غالب معلوماتهم عنهم. كما اشتهر من التابعين أعلام تكلموا في التفسير ووضحوا ما خفي من معانيه، وقد انتشر الصحابة في مختلف الأمصار وقد حمل هؤلاء معهم ما وعوه من علم وما حفظوه عن الرسول عليه الصلاة والسلام، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون عنهم العلم بجميع أنواعه. فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس أساتذتها الصحابة وتلامذتها التابعون. أشهر المفسرين من التابعين: مجاهد بن جبر، سعيد بن جبير، عطاء، عكرمة، الحسن البصري، زيد بن أسلم، قتادة بن دعامة السدوسي، محمد بن كعب القرظي، أبو العالية الرياحي وعامر الشعبي، غير أن العلماء اختلفوا في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية، إذا لم يرد تفسير لها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم:

أولا فقالت طائفة منهم ابن عقيل، أنه لا يجب الأخذ بتفسير التابعين للأسباب الآتية:

أ- ليس لهم سماع من الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب- أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً.

ج- أن عدالة التابعين غير منصوص عليها، كما نص على عدالة الصحابي على حد قول أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا، ونحن رجال نجتهد.  
ثانياً وقالت طائفة وهم أكثر المفسرين أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

وتأتي بعده مرحلة التأصيل الموضوعي المنهجي لعلم التفسير، وقد كانت مرحلة التأصيل لعلم التفسير في مرحلة القرن الثاني الهجري وقد قام بالتأصيل العلمي المنهجي محمد بن جرير الطبري.

وكان صاحب التفسير الأثري لا يلتفت إلى صاحب التفسير اللغوي والعكس صحيح. فلما جاء الامام الطبري جمع بين التيارين وأضاف لهما استنباطاته وتوجيهاته وبهذا قد أرسى دعائم منهج جديد في التفسير سمي بالمنهج الجامع.

وتأتي بعدهم مرحلة التفسير في طور التجديد، ونعني به التجديد القائم على الإبداع والتحسين والمجدة ويبدأ بظهور الامام محمد عبده في العصر الحديث الذي أسس المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير، وكان له تلاميذ أخذوا منهجه، والتزموا به مع بعض الاضافات منهم نذكر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب تفسير القرآن الحكيم (المشهور بالمنار) والشيخ محمد مصطفى المراغي صاحب التفسير.



ومن التفاسير المعاصرة التي فيها تجديد وإضافات نذكر محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي وأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور وفي ظلال القرآن للسيد قطب، والأساس في التفسير للسعيد حوى، ومجالس التذكير لعبد الحميد ابن باديس وفي رحاب القرآن للشيخ بيوض وأخيرا تفسير الشيخ الشعراوي موضوع بحثنا لنعائين فيه المنهج الحجاجي الذي أتبعه لإيصال فكره، وإقناع الناس في زمانه، وقد حددنا هدفا في هذه الدراسة هو معرفة مدى الإفادة التي حققتها الشعراوي في مساره مع كتاب الله، يقرأه بمنظار خاص تظهر بعض ملامحه، أثناء حديثه (بثّ الخواطر) ويقرأ لجمهوره بمنظار العصر، حتى يحرك فيهم مواطن التأثير والتفاعل مع كتاب الله، فيصبح دليلهم إلى هذه المواطن، يستقون منها هديهم، ويقومون اعوجاجهم؛ وذلك كله بارتياحه مناطق الحجاج، وأدواته أما دافعه في ذلك هو (العاطفة الدينية)، المفعمة بالصدق، الخالية من النفاق والأساس الذي اخترنا النصوص على ضوءه هو الإقناع وعلاقة الشيخ بجمهوره من حيث التأثير والتأثير. وهي امتداد لعلاقة السماء بالأرض، إرث الأنبياء الذي لا ينقطع.

هذه الخواطر وجدناها مسجلة بصوت الشيخ، كما وجدناها مسجلة بأقلام تلامذته، بينهما تطابق تام؛ إلا ما أضافه هؤلاء التلاميذ من هوامش تحيل على مصادر الحديث، وتخرجاتها أو توضيح لما قاله الشيخ استنادا إلى أقوال المفسرين مثل الطبري وابن كثير. إذن نحن على ثقة بالمادة التي بين أيدينا. ويبقى أن ننظر في مجموع التقنيات الحجاجية التي اعتمدها الشيخ ليحتج لرأي، أو يوضح فكرة، وذلك لحمل مستمعيه على الإذعان، مراعي المستويات الفكرية والاجتماعية. حيث نجد يورد الأمثال والحكم، متمصا دور المربي، ويجمع المأثور من الكلام مراعي السياق الفكري والسياق الاجتماعي للمستمعين، دون اغفال التطورات التي تحدث في كل

عصر والتوجه الفكري للمجتمعات، خاصة الشباب منهم كما نلقت إلى قضية محورية هامة من وجهة نظر حجاجية هي اتساع رقعة المستمعين لخطاب الشيخ عبر القنوات الفضائية، فأحاديثه (المخاطر) تبث عبر أشهر القنوات العالمية ( الرسالة، المديح، إقرأ). بالإضافة إلى تنقله بين بلدان العالم.

لعلّ دراستي في الماجستير للسياق وأثره في المعتقد أضاءت طريقي للبحث في مجال اللغة، ومناهج دراستها المعاصرة، فاهتديت إلى التداولية بفضل نظرة سيد قطب الثاقبة إلى أهمية السياق 'الحركي في القرآن'، حيث وصلت إلى أنّ هذا النوع من السياق ليس مجرد جزء من المعنى، بل هو لسان حال المعنى، في حين تدرس التداولية اللغة أثناء الحركة (التداول) بين أطراف الحديث المرسل والمتلقي.

في القرآن الكريم تشعب عملية التواصل، فالمرسل هو بدوره متلق للقرآن بالدرجة الأولى، والمتلقي المؤمن مكلف بعملية التبليغ على وجه الإطلاق.

مهمة هذه الأمة تكسبها من تعاليم القرآن، وتوجيهاته لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه؛ وهي ليس سهلة بالنظر إلى تطوّر المجتمعات، وتواصل بعدها من عصر الصّفاء، عصر النبوة.

وبناء على ما آلت إليه المجتمعات من ابتعاد عن منهج الحقّ، وولوع بالمادة وحبّ للدنيا، ونسيان للآخرة، يصبح البحث عن الأمة الموعودة - الأمة الخيرة التي تدعو إلى الخير، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر - ضرورة وواجب، بل وفرض عين.

بالإضافة إلى ذلك هذه الحال المتردية للمجتمعات الإنسانية قاطبة، والمجتمع الإسلامي بصفة أخص؛ يقف أمامها المثقف حائراً متألماً، أطفال بلا مأوى، ولا أدنى حقوق في حياة صحية آمنة.

بناءً على ما تقدم نطرح الإشكال التالي:

إن درس الحجاج له جذوره في الثقافة العربية واليونانية قديماً وله حضوره في الدرس البلاغي واللساني حديثاً، كيف نستفيد من هذا التطور في مفهوم الحجاج؟ وما علاقته بالخطاب الديني المعاصر؟ وبالخطاب التأويلي؟ قديماً وحديثاً.

تَنَوَّعَ خطاب الشيخ بتنوع مستويات مخاطبيه، ماهي وسائله في الاقتناع؟ وما مدى نجاعته الحجاجية؟ ومدى نجاحه في التأثير على مخاطبيه؟ ما هي القضايا التي كان يطرحها في فكره بصفة عامة والخواطر بصفة خاصة؟ كيف تلقى تلامذته هذا الفكر وكيف نقلوه في كتبه؟

أما بالنسبة للدراسات السابقة للموضوع فقد وجدنا مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التداولية تحت عنوان الحجاج في شعر السيّاب، إعداد الطالب الحوّاس سعيدي، إشراف الدكتور الطيب دّبه؛ غير أن طبيعة دراستي تختلف عن هذا التوجه. إذ أُلج إلى الحجاج بهدف تأصيل منهج قائم بذاته في الدعوة إلى الله، وهذا المنهج موجود في القرآن الكريم وفي الهدى النبوي الشريف.

لمناقشة الاشكال المطروح وضعنا الخطة التالية:

اقتحنا بمقدمة عن تطور الدراسات القرآنية وتطور مناهج التفسير، والتأويل منذ عصر التنزيل والنبوة إلى ما تلاه من عصور الصحابة والتابعين وتابعيهم، ثم عرجنا على مناهج المفسرين عصر التجديد، وصولاً إلى عصر الشعراوي، أما في الفصل الأول فقد تطرقنا لمفهوم الخطاب باعتبار القرآن الكريم ملفوظاً قبل أن يصبح مكتوباً (مقروءاً) بشتى مظهراته، ومن وجهات نظر متعددة، المتقدمة والمتأخرة، عربية كانت أم غربية وذلك بقصد عقد الصلة بينه وبين الحجاج، لما يتوفر فيهما من سمات مشتركة. في الفصل الثاني تطرقنا لمفهوم التأويل مراعاة للفكر البشري وما مرّ به

من فلسفات، ومذاهب وأتبعنا أثر التداولية كمهاد نظري للحجاج إذ نحت بالنص اللغوي منحى اجتماعيا، تفاعليا ونأت به عن ضيق التنظير والبنية إلى فساحة الحوار والتداول والفعل، هذا ما عملنا على تبيانه بمساعدة البلاغة الجديدة أو الحجاج بمحاذاة مع مصطلحات التبست بمفهومه، وترفع عنها بغاياته، ونواياه التي تختلف عن المسميات التي كانت توأبه في الاستعمال التقليدي، مثل: الجدل، والمرء، والنزاع، والبرهنة وغيرها، ويتفرد الحجاج بمكوناته وأركانه، وآلياته اللغوية، والأسلوبية، من مسائلة وكلام وضرب للمثل ومقتضى وإضمار، وغيرها من الآليات الواردة في استعمال المفسرين وسياقات مقامية، ولغوية مما أفرزته الحضارة من تجديد وتطور، عصر الحاسوب والرقميات؛ أما في الجانب التطبيقي فقد عرضنا مجموعة من المواقف الحجاجية للشيخ الشعراوي من خلال بنائه الشخصي، ومواصفاته الخلقية والخلقية وعلاقاته الاجتماعية والمهنية، والأسرية. وأبرزنا أسلوبه ومميزاته من خلال مقارنة أجريتها بينه وبين مفسرين من عصرين مختلفين واتجاهين متباعين وختمنا في مجموعة من النتائج والملاحظات فاسحين بذلك المجال لدراسات واعدة، نسأل الله العون والتوفيق.

أما المنهج الذي اتبعناه في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي لمظاهر الحجاج وآلياته في القرآن الكريم من خلال فكر الشيخ الشعراوي.

عدنا إلى مجموعة من المراجع نذكر منها "استراتيجيات الخطاب" لابن ظافر الشهري، "نظرية التواصل" لحامد أبو زيد، ثم كتاب "التداولية وأفعال الكلام" لمسعود صحراوي، و"الحجاج في القرآن الكريم" لعبد الله صولة-رحمه الله- وكان من الأوائل الذين طرحوا فكرة دراسة الحجاج في القرآن، إذ فرق بين الحجاج والجدل وبين الحجاج والسفسطائية والمغالطة، ليخلص إلى إمكانية دراسة القرآن دون التعرض لخطر التحريف لمقاصد الشريعة السمحة.

وبالموازاة له نجد علي الشبعان، الذي بنى سرحا للحجاج في القرآن استقطب فيه تراث المفسرين ونظريات الغربيين، بكل جرأة. واستغل ترجمة الهوامش في ملحق خاص لعرض نظريات الحجاج عند الغرب، كما أفرد ملحقا للأعلام، والمصطلحات الحجاجية ما ذكر في الكتاب وما لم يذكر وفي دراسته عرض نماذج للتفسير بالمأثور وبالرأي وبالإشارة ( الطبري وابن عربي والقرطبي). أما بقية المراجع فهي عبارة عن ترجمات لنظريات الحجاج مثل محمد بن عبد الله العمري، و صَبَّار الحباشة وكتاب "الحجاج في الشعر" لسامية الدُرَيْدي، وبعض الملخصات من الشبكة العنكبوتية، أما عن مؤلفات الشيخ الشعراوي فقد تمثلت في الخواطر وكتب أخرى. غير أنني لم أجد دراسات معاصرة لفكر الشيخ الشعراوي. استقدت من كل هذه الدرر أيما إفادة.

ومن العوائق التي اعترضت طريقنا في البحث: غزارة المادة النظرية للحجاج، المترجمة عن الغرب رغم عدم اكتمال نضجها، فهي ما تزال قيد البحث والدراسة.

ومن ناحية أخرى، تفرد التصور الإسلامي للحياة يختلف عنه في التصور الغربي والفلسفة البراغماتية.

وأخيرا تميّز المجتمع العربي بخصائص تختلف عنها في المجتمع الغربي الذي نشأت فيه هذه النظريات، لذلك يستحيل اقتناؤها بكليتها.

استجابة لمطالبات فصول هذا البحث، على قدر المستطاع، وعلى قدر ما وصلت إليه جهودنا في البحث، سوفنبج إلى الحجاج في القرآن الكريم انطلاقا من القرآن نفسه، مراعاة لهدفه الأسمى وهو تأصيل قضية الإيمان والتوحيد، وجعلها نبراسا في حياة الإنسان تقوده إلى الخير، وتهديه إلى المنفعة والنجاة في الدارين.

وهذا ما تمثله الشيخ الشعراوي في مساره الدعوي لبيّن للناس ما أراد الرسول ﷺ تبيانه منذ بدءه في التبليغ، غير أنّ فعل القراءة أو التلقي يختلف من عصر إلى عصر، فما سكت عنه عصر النبوة، أصبح مصرّحاً به في عصرنا هذا، لذلك تعدّدت أوجه الإقناع، وتطوّرت بحسب متطلبات الناس وحاجياتهم الحياتية.

إن هذا البحث فيه كثير من النقائص والعيوب أغفلتها مداركنا ولم تنفطن إليها، والكمال لله وحده، والفضل لساداتنا العلماء الذين سبقونا في البحث في علوم القرآن والشكر لساداتنا الأساتذة لما تفضلوا به من تصويب لأخطائنا وتوجيهات للطريق الصحيح.

فضيلة بلعالم

آفلو يوم الفاتح رجب 1435 هـ

# مدخل

أساليب القرآن في الإقناع

## توطئة

أنزل القرآن الكريم بلغة العرب ونهج أساليبهم في الكلام وفنونهم في التعبير، ولم يكن ليخرج عن معهود العرب في العرض أو البيان أو الاستدلال، لكي يكتب له العلو في أساليبه، وفي فصاحته، وفي قدرته على إقناع النفوس والعقول حتى أصبح معجزة بكل ما حواه من علوم، واشتمل عليه من معارف، لا يضاهيه شيء من صنع البشر.

والأدلة القرآنية في الإقناع جزء من تلك المعجزة العظيمة، فلا بد أن يتميز بتمييزها، وتتصف بخصائص وصفات تجعلها منفردة عن سائر أدلة البشر من مناطقة وفلاسفة ومتكلمين وغيرهم. وقد استفاد أسلافنا من هذه المنهجية القرآنية في الإقناع، وأردنا عرضها لهدفين اثنين: الهدف الأول: لنبين كيف تبنّاها الشيخ الشعراوي؟ وكيف طبّقها في خطابه الإقناعي الدّعوي؟ والهدف الثاني: هو تعميم الاستفادة من هذه الطريقة في الإقناع، وتأصيل منهج قرآني خاص، يحقق مرتبة الريادة.

إن المؤمن الحق حين يسمع القرآن، يقشعر جلده، وتدمع عيناه، وتقوده الأفكار إلى عمق نفسه، راجيا متمنيا من الله، الثبات والتوفيق لينال الجنة.

والقرآن العظيم كتاب خالد لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، معجزة متجددة عبر الأزمنة لا يدعي بشر الإحاطة بما فيه؛ إذ كلّ ما عدّدنا من خصائصه فإنّها ستبقى غيضا من فيض، وقليلًا من كثير.

فالأدلة القرآنية تجمع بين التأثير في القلب، وإقناع العقل، يقول أبو حامد الغزالي - رحمه الله - واصفا الأدلة القرآنية: " وحجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب والمقنعة للنفوس دون



التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس، وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوبة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس<sup>1</sup>.

إن عبارات القرآن تؤثر في القلوب، متى كان السامع (المتلقي) على معرفة بالعربية، متمكنا من أساليب العرب، متمرسا بالبيان؛ لأن التأثير تذوق وتمثل، أما عامة الناس التي لا تملك هذا الحس، فيلزمها من يوجهها، ويربي فيها ملكة التذوق، وفي هذا المقام تبدأ عملية التبليغ، ومهمة الدعاة.

### 1- البناء التواصلي للخطاب القرآني:

تأسس البناء التواصلي للخطاب القرآني وفق مقدمات تواصلية، تخاطب وتجاوز الآخر، فكانت ظاهرة التواصل فيه مفتوحة على شؤون الإنسان في تحديها وتطورها المسترسل<sup>2</sup>. يخاطب القرآن الكريم الناس قاطبة، فلا رهبانية، ولا قبلية ولا طبقية، ولا ميز عنصري، ولا دكتاتورية. وقد استجاب لكل تطور علمي، واستقطب تطلعات الانسان، وفق مبادئ تحدد علاقته: ببارئه، وعلاقته بأخيه الانسان؛ وذلك من خلال العبادات، والمعاملات، وما أعطاه من الرخص، والعزائم في ترحاله وحله. في حالة فرحه، وترحه، في حالة عصيانه وتوبته. سن له قوانين السلم والمعاشية، فهو دستور حياة مثالية، مع مراعاة ضعفه البشري، إذ جعل له باب التوبة مفتوحا. كما سن له قوانين الحرب والقصاص، ووجهه إلى الطريق السليم الذي يحفظ له كرمته، وحقوقه تبعا لواجباته، والتزاماته في الحياة.

<sup>1</sup> الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، ت 505 هـ، قواعد العقائد، ج1. تحقيق: موسى نصير، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1985م، ص 110.

<sup>2</sup> سوف تتكلم عن مواقف نفي الشرك في القرآن الكريم في فصل لاحق.

## 2-هدف التواصل في الخطاب القرآني:

الهدف الأساسي للتواصل في الخطاب القرآني هو استقطاب الناس نحو عقيدة الإسلام، وتحقيق معادلة هامة يتفاعل بمقتضاها الأصل الثابت ( ما أحكم من الآيات) مع الفرع المتغير ( ما تأجل فهمه عبر الأزمنة) ، متخذا الإقناع سبيلا يسلكها في استقطاب البشرية جمعاء نحو هذا الهدف العظيم، وبالفعل قد استطاع أن يؤثر في متلقيه لاعتماده استراتيجيات تواجه روح المتلقي وعقله وضميره.

### أ- التأثير في القلب وإقناع العقل:

فلنتأمل هذه الآية الكريمة من سورة فصلت:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>1</sup>

وكذلك الآية الكريمة من سورة ق، قوله تعالى:

﴿لَقَيْنَا مَدَدْنَهَا وَالْأَرْضَ ﴿١﴾ فُرُوجٍ مِّنْهَا وَمَا وَزَيْنَّا بَيْنِنَهَا كَيْفَ فَوْقَهُمُ السَّمَاءُ إِلَىٰ يَنْظُرُوا أَفَلَمْ ﴿٢﴾ سَمَاءٍ مِّنْ وَزْنِنَا ﴿٣﴾ مُنِيبٍ عَبْدٍ لِّكُلِّ وَذَكَرَىٰ تَبَصَّرَةٌ ﴿٤﴾ بِهِيَجِ زَوْجِ كُلِّ مِّنْ فِيهَا وَأُنْبِتْنَا رَوَاسِي فِيهَا وَأَلْعِبَادِ رِزْقًا ﴿٥﴾ نَضِيدٌ طَلَعُهَا بَابِ اسْقَاتِ وَالنَّخْلِ ﴿٦﴾ الْحَصِيدِ وَحَبِّ جَنَّاتٍ بِهِ فَأُنْبِتْنَا مُبْرَكًا مَّاءًا ﴿٧﴾﴾<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سورة فصلت، آية 39.

<sup>2</sup> سورة ق، آية 6-11.

بهذا الأسلوب البسيط الذي يدخل البهجة على النفس ويقود الإنسان إلى عالمه المشهود ليلتمس مواطن الجمال فيه أليس هذا بدليل على عظمة الخالق؟ ألا يقودك عقلك أيها الإنسان إلى تدبر كل هذا؟

إنّ الجمع بين التأثير في القلب والإقناع للعقل ميزة تفرّدت بها أدلة القرآن عن سائر الأدلة، فلا يمكن لبشر أن يسعد بها؛ ذلك أنّ كلام البشر، إنّ وفي بحق العقل مجس القلب حقه، وإن وفي بحق القلب كان ذلك على حساب العقل. وكلما كان كلام البشر عاطفياً كلما ازداد بُعداً عن العقل والإقناع، وكلما كان كلاماً ازداد جفاءً وبعداً عن العاطفة، وهذا ما نلمسه في أدلة المتكلمين والمناطقة الذين ساروا على غير نهج القرآن في الاستدلال. فأدلتهم العقلية لا تلقى لها صدى في القلوب، وإن كانت آخذة للعقول، ولكن القرآن جمع بين هاتين الخاصيتين في قالب واحد يعجز عن مثله البشر، فتبارك الله ربّ العالمين.

### ب) العوامل الماثرة في المخاطب الفرد:

بعد هذه الإشارات إلى دور المخاطب ومدى تأثيره زمن تلقيه للخطاب، نشير إلى جملة من العوامل المؤثرة في المخاطب الفرد، أي بكونه إنساناً ذا خصائص ومزايا تمكنه من إجراء التخاطب وإنجاحه<sup>1</sup>. فإذا كان الزمن والسياق الثقافي والتاريخي يؤثران في عملية فهم الخطاب بالمعنى العام لإطار المخاطبين، فإن المخاطب الفرد يتأثر بمكونات قدرته التداولية في فهم النص. والنص القرآني موضوع للناس كافة، على اختلاف مستوياتهم المعرفية والعقلية، فهو موضوع للتكليف والتفهم من مخاطبيه جميعهم. لكن القرآن الكريم في الوقت نفسه كتاب إعجاز وبيان بلغ حدّاً أعجز الفصحاء

---

1 ينظر يحي محمد، مدخل إلى فهم الإسلام، الفكر الإسلامي: نظمه، أدواته، أصوله، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 1999، ص 23.

والبلغاء على مر الزمان. وهو بالجمع بين صفة عموم المخاطبين، وخصوصية الخطاب، يصير نصا لكل قارئ. ومع الإقرار بكون القرآن خطابا للجميع.

### (ج) - الجمع بين المنطقي والانفعالي:

طبائع الناس متفاوتة وأهوائهم متضاربة ومسالكهم في طلب الحق مختلفة وجمهور عامة الناس في تفكيره أقرب إلى الفترة، فيه سلامتها وفيه سذاجتها وجمالها وإخلاصها وبراعتها، لذلك لا يجب أن نخاطب بتعقيد المنطق، ولا بتفكير الفلاسفة، ولا بما يرضي المتفكرين تفكيراً علمياً، بل يليق بهذا الجمهور الفطري البسيط ما التقى فيه الحق بالتأثير الوجداني، وما اختلطت فيه الحقائق بطرق إثارة العواطف والميول، وما التقت فيه سياسة الحق بسياسة البيان، ولا يتأتى هذا إلا في الخطاب القرآني؛ لننظر إلى هذا الدليل الذي يسوقه الله تعالى مخاطباً فيه البدوي في صحرائه، يبرهن له على وحدانيته وقدرته

بَتَّ كَيْفًا لِحِبَالِ وَإِلَى ﴿١٨﴾ رُفِعَتْ كَيْفًا لِسَّمَاءٍ وَإِلَى ﴿١٩﴾ خُلِقَتْ كَيْفًا لِإِبْلِ إِلَى يَنْظُرُونَ أَفَلَا ﴿٢٠﴾

﴿٢٠﴾ سَطَّحَتْ كَيْفًا لَأَرْضٍ وَإِلَى ﴿٢١﴾ نُصِبَتْ إِنَّهُ يَخَاطَبُ سَذَاجَةَ الْبَدْوِيِّ وَسَلَامَةَ فِطْرَتِهِ، فَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَوْلِهِ إِلَّا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَالْجِبَالَ وَدَابَّتَهُ الَّتِي مِنْ لَحْمِهَا يَأْكُلُ وَمِنْ حَلِيبِهَا يَشْرَبُ، وَمَنْ وَبَرَهَا يَلْبَسُ، وَعَلَى ظَهْرِهَا يَرْكَبُ، فَلَا يَطْلُبُ مِنْهُ الْحَقَّ إِلَّا نَظْرَةَ سَطْحِيَّةٍ يَفْقَهُهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى عَنَاءٍ تَفْكِيرٍ، وَهِيَ كَفَيْلَةٌ بِسُوقِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي يَعِيشُ عَلَيْهَا هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي يَرَاهَا وَيَتَعَامَلُ مَعَهَا، وَهِيَ ذَاتُ الْمَعْرِفَةِ تَجْعَلُهُ يَنْبِذُ الْكُفْرَ، بَيْنَمَا يَنْظُرُ غَيْرُهُ إِلَى هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ بِنَظْرَةِ الْعَالِمِ الْمُبْتَصِّرِ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَسِرِّهَا، فَيَغْوِصُ فِي أَعْمَاقِهَا لِيَكْشِفَ حَقَائِقَ هَذَا

<sup>1</sup>سورة الغاشية، آيات 17 إلى 20.

الكون، ونحن نرى ما وصلت إليه البحوث والاستكشافات من أسرار في جسم الإنسان، وفي الفضاء، والجبال والحيوان، فأصبح لكل علم مختص به، يبحث في حيثياته التي لا ينقضي في مجالها البحث والكشف.

#### د- السهولة والوضوح وقلة المقدمات:

هذه ميزة أخرى من ميزات الأدلة القرآنية، السهولة والوضوح، إذ تعرض الأمور بأسلوب بسيط وسهل، لا يوجد فيها تعقيد ولا تشعب، تأتي واضحة قليلة المقدمات، سهلة الفهم، قريبة التناول، وقد حاج الله تعالى عباده على السن رُسُله وأنبياؤه فيما أراد إلزامهم به بأقرب الطرق وأسهلها تناولاً وأقلها تكلفاً وأعظمها نفعاً<sup>1</sup>.

يظهر ذلك الأسلوب الجميل السهل في سورة البقرة، وبالتالي في قصة ذبح البقرة، إذ تذرّعوا بكلّ ألوان المكر، وهو يبيّن لهم ما لونها وما صفتها... الخ<sup>2</sup>

يطرح الشيخ الشعراوي هذه القضايا التي اخترقها العلم، ويربطها بقضية الإيمان بالله، فإن اكتشفوا أنّ لحم الخنزير مضرّ ومُتلف للخلايا وامتنعوا عنه، فهذا الامتناع لا يُجزون عنه، لأنّ المؤمن الذي ينال الجزاء لا ينتظر تبريراً علمياً لما حرّمه الله سبحانه وتعالى.

وبهذا يبقى السؤال معلقاً لمن يدّعون إقناع العالم، هل وصلنا بالفعل إلى الدرجة المرموقة التي أرادها لنا المولى عزّ وجل ﴿لِلنَّاسِ أُخْرِجَتْ أُمَّةٌ خَيْرٌ كُنْتُمْ﴾<sup>1</sup>، فهذه الخيرية متى تحققت في الخطاب الحجاجي فتصبح أمة الإسلام، على درجة من القوة بيدها الأمر والنهي.

1 للتفصيل في هذا الموضوع ينظر الطبري، جامع البيان، ج14، ص 130، 131، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 409، والآلوسي، روح المعاني، ص 29، 33.

2 خواطر الشعراوي، (تسجيل سمعي بصري).

بالفعل ما أحوج البشرية إلى حاد يوصلها إلى بر الأمان في هذا الصّراع والتّكالب على الدنيا  
والفتنة التي أكلت الأخضر واليابس وما تزال الأمة الموعودة عاجزة عن نفض غبار الضبابية عن  
أعينها وفاقد الشيء لا يعطيه.

خلال هذه الدراسة للخطاب الحجاجي عند الشعراوي وجدنا أنفسنا أمام ظاهرة لغوية  
متجسّدة في خطاب متحقّقة فيه خاضعة لشروط القول والتلقي، وبالتالي أمام خطاب تواصلية  
يمتاز بخصائص بنائية وبراغماتية جعلته مختلفا عن غيره. فقد حاول طرح قضايا مسّت جوانب  
من الحقيقية التي قرّرها القرآن، وجوانب من المجتمع الذي يعيش فيه، ويتحرّك بإيعاز منه، ولصالحه  
بالطبع، من خلال التحذير والتوجيه ومحاولة التقرب من نبع القرآن وتجليّة مقاصده، حسب قنوات  
التلقي والمستوى الذي وصل إليه الفكر البشري ماديا وأخلاقيا.

---

<sup>1</sup>سورة آل عمران، آية 110.

# الفصل الأول

## مفهوم الخطاب وحجاجيته

مباحث الفصل:

- 1- مفهوم الخطاب وحجاجيته.
- 2- الخطاب الحجاجي المعاصر.
- 3- مدلول الخطاب في القرآن الكريم.

## 1. مفهوم الخطاب بحجاجيته:

يُطْلَقُ (الخطابُ) في اللغة العربية على: "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً، وهما يتخاطبان"<sup>1</sup>، أما المعجم الوسيط، فلا يشير إلى تطور هذه الكلمة في العربية المعاصرة، وإنما يكفي بتفسير الخطاب بالكلام دون تقييد نوع الكلام، والخطاب بمعنى الرسالة<sup>2</sup>، ويظهر من المعنى اللغوي للخطاب اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة، ويضاف إلى ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة، وكأننا توصل في مفهوم هذه الكلمة أمر أساسي في تحقق معناها. والخطاب من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه ويُراد به: "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"، كما تتردد في كتب أصول الفقه مصطلحات: دليل الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب.

شكل الخطاب موضوعاً للبحث لدى كثير من علماء اللسان، لذلك نجد "مفهومه قد ناله التعدد والتنوع، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية والدراسات التواصلية، ولهذا فهو يُطلق إجمالاً على أحد المفهومين، يتفق في أحدهما مع ما ورد قديماً عند العرب، أمّا في المفهوم الآخر فيتمس بجدته في الدرس اللغوي الحديث وهذان المفهومان هما؛ الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بإفهامه قصداً معيناً. والآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة"<sup>3</sup>.

1 أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ص 361. مادة: خطب.

2 إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص 243، وهانز فير: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 246.

<sup>3</sup>Dubois, Jean & autre, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse – Bords/Her, 1999. P480



## 1.1 . مفهوم الخطاب عند علماء الغرب:

اجتهد علماء وباحثو الغرب على اختلاف توجهاتهم وتعدد الدراسات اللغوية في تعرف خاص بالخطاب في إطار منهج كل واحد منهم:

1.1.1 . ديبوا (Dubois):

يذكر ديبوا (Dubois) وآخرون في معجم اللسانيات<sup>1</sup> أن الخطاب ينقسم من منظور لساني إلى ثلاثة تعاريف هي:

1- الخطاب؛ يعني الكلام (Parole)

2- الخطاب؛ يعني الملفوظ<sup>2</sup> (Enoncé)

3- الخطاب؛ ملفوظ أعلى من الجملة (Enoncé supérieure à la phrase)

ويمكننا تصنيف هذا التعريف إلى صنفين يتضمّن الصنف الثاني فرعين:

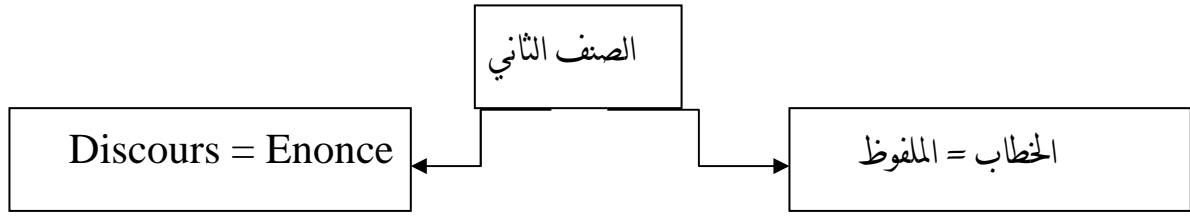
- الصنف الأول: الخطاب = الكلام Discours = Parole

---

1 Ibidem, p480.

<sup>2</sup> يعرف بنفينيست E.BENVENISTE الملفوظ بكونه مجموع الوقائع الكلامية أو اللغوية التي يقوم بها المتكلم وهو تمثيل جزئي لللفظ يؤديه المتلفظ مؤكداً أو أمراً أو مفترضاً .

ويرى لاينس LYNES الملفوظ على أنه وحدة قابلة للوصف اللساني . وأشار هاريس إلى أن "الملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به متكلم وقبل هذا الجزء وبعده يوجد صمت من قبل هذا المتكلم .



والملفوظ يمكن أن يكون مساوياً للجملة أي Enonce = Phrase

كما يمكن أن يكون أعلى من الجملة Enonce > Phrase

ويأتي سبب هذا التعدد من اقتران مصطلح الخطاب بمجالات استعماله المتعددة الدينية، الثقافية، الاجتماعية، التاريخية، ولذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوعة في هذه الميادين العديدة، بوصفه فعلاً: يجمع بين القول والعمل، نجد في هذا حماية لأصله وليس في ذلك تشتت بقدر ما فيه من غنى وسعة في التصنيف.

### 2.1.1. رولان بارث (Barth)

<sup>1</sup> نلاحظ من خلال هذه التعريفات تداخلاً بين الجملة والملفوظ فكأنهما شيء واحد؛ فهي وحدة كبرى قابلة للوصف النحوي والملفوظ وحدة كبرى

قابلة للوصف اللساني، وإن كان يوجد فرق بين الوصفين؛ فالوصف النحوي يعد مستوى من مستويات الوصف اللساني الذي يشمل مستويات

وصفية أخرى متعلقة بالأصوات والمعجم والصرف والدلالة.

ولكن يوجد من الدارسين من يرى أنه يمكن أن نصف الجملة وصفاً لسانياً هي الأخرى؛ فهي وحدة التحليل اللساني كما أشرنا في البداية، وعليه

فكأنه لا يوجد فرق بين الجملة والملفوظ إن صح التعبير. ((وبهذا التحديد يصبح الملفوظ باعتباره كلاماً منجزاً وحدة متكاملة دلالية، لكن هذه

الوحدة لها تجليات كثيرة قد تتجاوز الجملة فتصبح خطاباً.))؛ عن مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب

بدمشق - العدد 401 أيلول 2004.

والفرع الثاني من الصنف الثاني من التعريف السابق هو ما ذهب إليه رولان بارث (Barth) وهو ما اتخذه مُرتكزا لتخيّلاته البنيوية للنص. <sup>1</sup>يعد رولان بارث مدرسة في تحليل الخطاب.

### 3.1.1. لويس هلمسليف (Helmslife)

لكن هذا التعريف يصيبه الارتباك حينما نقابله بتعريف لويس هلمسليف (Helmslife) الذي يرى أنّ النص يدور حوله كمّ هائل من التعريفات، فهو عنده ملفوظ كيفما كان مكتوبا أو منطوقا، طويلا أو قصيرا، قديما أو جديدا، ويمثل للنص بكلمة "قف" ويرى أنّها نص تماما كأية رواية طويلة، بل يصل إلى أبعد من ذلك: "كل مادة لسانية مدروسة تشكّل نصا يكون قابلا للتحليل إلى صفات هي نفسها قابلة للتجزئة إلى أقسام وهكذا إلى أن تنتهي إمكانية التقسيم".<sup>2</sup>

وهذا يعني أنّ الملفوظ عند هلمسليف غير مقيد بالنطق أو الكتابة ولا بالطول أو القصر ولا بالجدّة أو القدم، فقد يكون كلمة مفردة وقد يكون رواية طويلة، والملفوظ هذا هو ذاته النص.

### 4.1.1. ميشال فوكو (Faucault):

يعتبر ميشال فوكو (Faucault) أنّ كلّ خطاب منظور إليه في ذاته هو ممارسة خطابية منظمّة، قائما على شكل من أشكال المنطوقات، باعتبارها جذره الأصلي<sup>3</sup>، حيث يقول: "إنّ ما

<sup>1</sup> ينظر: سام شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة: محمد يحياتن، 1992، ص 97.

<sup>2</sup> Dubois, Jean & autre, Dictionnaire de linguistique: discours + texte. Larousse – Paris 1973 , P486.

<sup>3</sup> Michel Faucault, L'Archéologie du savoir, Paris, Gallimard, 1969, PP. 106, 107.. عن علي  
الكبيسي، ميشال فوكو، تكنولوجيا السلطة، تكنولوجيا السيطرة على الجسد، دار شراس للنشر، تونس، أفريل 1993م، ص 17.

أسميه خطاباً هو مجموع المنطوقات التي تعود إلى نفس الصياغة الخطابية، ولا تكون وحدة بلاغية أو صورية متكررة بلا نهاية، حيث نستطيع إعلان ظهورها واستعمالها داخل التاريخ. وهكذا لا يكون الخطاب شكلاً عقلياً وإلزامياً، ذا تاريخ إضافي<sup>1</sup>. ومن جهة أخرى يرى فوكوبان: "المنطوقات يتكامل تكوينها داخل الممارسات غير الخطابية، وليس داخل الممارسات الخطابية وحدها، حيث أنّ هناك استراتيجية لا خطابية تُصاحب الخطاب وتُفعل فعلها، إذ تعتبر خطابات موازية وليست خارجية، كما أنّها عناصر فعالة طالما أنّها استراتيجيات تلجأ إليها لفهم عالم الخطاب"<sup>2</sup>؛ يقصد بالممارسات غير الخطابية، تلك الأيماءات والإشارات التي تصاحب عملية التلفظ.

ف «بتغييرنا للسياق، نجد أنّ الدلالة المنقولة تتغير أيضاً، فيما تبقى الدلالة اللسانية ثابتة، يمكننا تصوّر سياقات أخرى وبالتالي تأويلات أخرى للجملة، ولكن من المهمّ أن نلاحظ بأنّه مهما كانت الدلالة المنقولة من طرف التلفظ بالعبارة؛ فإنّ دلالة الحرفية تبقى ثابتة"<sup>3</sup>. كما يربط

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> Michel Faucault, L'Archéologie du savoir, Paris, Gallimard, 1969, PP. 106, 107.. عن علي

الكبيسي، ميشال فوكو، تكنولوجيا السلطة، تكنولوجيا السيطرة على الجسد، دار شرانس للنشر، تونس، أبريل 1993م، ص 17، ص 24.

<sup>3</sup> Rodolphe Ghiglione, l'Homme communicant, Editions Armand Colin, Collection U, Paris, 1986, P. 68.

دومينيك مانغو (dominique Mangueneau) المعنى بالسياق، يقول: " المعنى هو قضية

سياقية أيضا"<sup>1</sup>

5.1.1. أوزفولديكرو (O. Ducrot):

ومن جهة أخرى، نجد أوزفولديكرو (O. Ducrot) يميز بين مصطلحي: الدلالة 'Signification' والمعنى 'Le sens'، حيث يربط الدلالة بالجملة (Phrase) والمعنى بالملفوظ 'L'énoncé'؛ إذ يقول "وباختيار مصطلحي اعتباطي، أسمى دلالة 'Signification' قيمة دلالية مرتبطة بالجملة، والمعنى 'Sens'؛ القيمة الدلالية الخاصة بالملفوظ، أي مجموع الأفعال اللغوية، وتقصده هنا الأفعال الانجازية (Actes illocutoires) التي ينوي المتكلم تحقيقها عن طريق تلفظه بها"<sup>2</sup>؛

كما يفرقاً. ديكرو (O Ducrot) كذلك بين الجملة (phrase) والملفوظ (énoncé) انطلاقاً من تعريفه للجملة بقوله: "أنا أقصد بمصطلح جملة (phrase) كيانا لسانياً تجريدياً ونظرياً خالصاً، في هذه الأحوال، هي مجموع الكلمات المركبة

---

<sup>1</sup>Dominique Mangueneau, aborder la linguistique, editions du seuil collections mémo, Paris, 1996, p29.

<sup>2</sup>Oswald Ducrot le dire et le dit, Les éditions de Minuit, Paris, 1984, P. 95-96.

حسب القواعد النحوية، مجموع مأخوذ خارج عن كل وضعية خطابية، إذن ما ينتجه المتكلم وما يسمعه المخاطب هو ليس بجملة، ولكنه ملفوظ خاص بالجملة<sup>1</sup>.

وعليه يصبح الملفوظ كل عبارة ينتجها المتكلم داخل وضعية خطابية معينة وسياق معين، حيث تكون من خلاله الدلالة التي يقصدها هذا المتكلم واضحة.

### 6.1.1. 'فان ديك' 'Van Dijk':

يمكننا القول أنه للوصول إلى فهم ملفوظ معين، يجب أولاً معرفة الدلالة اللسانية للجملة، وذلك بالاعتماد على معرفة دلالة مكوناتها الحرفية، ثم ربط هذه الدلالة بالسياق الذي وردت فيه، والوضعية الخطابية التي أنتج فيها، ثم معرفة الدلالة المقصودة من طرف المتكلم والتي يمكن الوصول إليها من خلال معرفة دلالة ملفوظ وربطها بـ "القواعد الحوارية" "Les maximes conversationnelles" وبعض المقاصد الأخرى<sup>2</sup>. وبالتالي يصبح من الضروري لكل من المتكلم والمستمع في كل تفاعل تواصلية قائم بينهما، أن يكونا متقنين للغتهما ولدلالة مفرداتها الحرفية، وعالمين بالسياق الذي أنتج فيه الملفوظ، ووضعيته الخطابية، بالإضافة إلى إدراك المستمع لمقاصد المتكلم ولقوانين الخطاب مع وجوب تمتعهما بالكفاءة التداولية ' La

---

<sup>1</sup>Oswald Ducrot et Al; Les mots du discours, Les éditions de Minuit, Paris, 1984, P.07

<sup>2</sup>Voir : Rodolphe Ghiglione, L'homme communiquant, P. 69.

'compétencepragmatique'، وهي ليست نسقا بسيطا، بل هي أنساق متعددة متآلفة.

ويمكن حصرها في خمس ملكات يعرفها 'فان ديك' 'Van Dijk' كما يلي:

### 1- الملكة اللغوية:

وبها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا في

عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة، ويؤولها كذلك، بحيث إنتاجه وتأويله صحيحين، وهما

من صميم العملية الحجاجية.

### 2- الملكة المنطقية:

بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية باعتباره مزودا بمعارف معينة أن يشتق معارف أخرى بواسطة

قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

### 3- الملكة المعرفية:

وبها يستطيع مستعمل اللغة أن يكون رصيذا من المعارف المنظمة ويستطيع أن يشتق معارف

من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يحتزن هذه المعارف في الشكل المطلوب، وأن يستحضرها في

تأويل العبارات اللغوية.

### 4- الملكة الإدراكية:

يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه، وأن يشتق من إدراكه تلك معارف،

وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

## 5- الملكة الاجتماعية:

لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية، ما يقوله فحسب، بل يعرف كذلك كيف يقول لمخاطب معين في موقف تواصلٍ معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة<sup>1</sup>، فبين المتكلم والمتلقي قواسم مشتركة يستعملها الباثُ لتوصيل رسالته.

وتختص كل ملكة من منها بقالب خاص يمكن أن نصفها في: القالب اللغوي، والقالب المعرفي، والقالب الاجتماعي، والقالب الإدراكي، حيث يمكن تقسيم هذه القوالب<sup>2</sup>، يمثل بعضها القدرة اللغوية، في حين تمثل القوالب الأخرى السياق، وذلك إنطلاقاً من كون الخطاب يتحلّى في مادة لغوية بشكل معين، وينتجه المرسل في سياق معين.<sup>3</sup> إن المتكل أثناء تلفظه بالعبارات، يقوم باستثمار تلك الملكات جميعاً مرة واحدة، حتى خطابه صحيحاً من حيث تراكيبه، ومناسبته للسياق الذي ورد فيه، وقادراً على وصف مقاصده وتحقيق أهدافه ومن هنا تغدو هذه المكونات الرئيسية للخطاب الحجاجي.

---

1 أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط، 1995، ص 17.

2 ويقترّب من هذا المفهوم، ما يسميه القرطاجني بالقوى، فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام، وهي القوة الحافظة، والقوة الماتزة، والقوة الصانعة: أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص 42،43.

3 إذ تتوفر جميع شروط انعقاد الخطاب الحجاجي: التركيب والسياق، والقصد، والهدف عند المتكلم اتجاه السامع اللذان يتبادلان الأدوار أثناء إجراء التواصل.



اختلفت آراء الباحثين الغربيين، وتعددت مناهجهم حول تعريف خاص بالخطاب. وسوف

نعرض اتجاهين بارزين، والاتجاه الثالث يمثل نقطة التقاطع بينهما:

### 7.1.1. الاتجاه الشكلي:

نجده يعرف الخطاب بوصفه " تلك الوحدة الأكبر من الجملة؛ فتتجه عناية الباحث بعناصر

انسجامه وترابطه وتركيبه ومعرفة علاقة وحداته بعضها ببعض؛ بل ومناسبة بعضها للبعض الآخر

وتحليلها وذلك على سبيل بنيته المنجزة"<sup>1</sup>، يركز هذا الفريق على البنية.

### 8.1.1. الاتجاه الوظيفي:

يعرف الخطاب بوصفه « استعمال اللغة كما هو عند بعض الباحثين<sup>2</sup>، وذلك يتجاوز

وصف الخطاب وصفا شكليا، وعدم الوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب ببعضها، والدعوة

إلى ضرورة الاعتناء بدور عناصر السياق ومدى توظيفها في إنتاج الخطاب، وفي تأويله، مثل: دور

العلاقة بين طرفي الخطاب ودرجاتهم الاجتماعية، وطرقهم المعادة في إنتاج خطاباتهم، فالتلفظ

المتعدد لخطاب واحد مثلا يجسد (الأنا) المتلفظة في تبيانها الواقعي والاجتماعي مع المرسل

إليه"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ص 38

<sup>2</sup> من هؤلاء براون وبول في كتابهما: تحليل الخطاب، ص 38.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 38.

وفي هذا التعريف يبرز الدور الوظيفي للخطاب والذي يسمح بإظهار أهداف المرسل ومقاصده من خلال تحقيقه لبعض الوظائف اللغوية.

### 9.1.1. الاتجاه الثالث:

ويعرّف الخطاب كذلك بوصفه ملفوظاً؛ إذ يمثّل هذا التعريف نقطة التقاطع بين المنهجين السابقين، أي بين البنية والوظيفة. وقد يتخذ من الجملة أساساً له، ولكن ليس بمفهومها العرفي التجريدي؛ أي بوصفها تلك السلسلة من الكلمات غفلاً من اعتبار السياق، بل بمفهومها التلفظي في السياق، "ويغفل التعريف بهذه الرؤية، مفهوم الخطاب وفق المنهج الشكلي، أي بوصفه ما يزيد عن الجملة كما يعدل به عن كونه تراكماً من الوحدات اللغوية الصغرى التي لا سياق لها، إلى كونه مجموعة من وحدات ذات سياقات تلفظية خاصة بها، أي إنّ الخطاب مكوّن من جمل سياقية"<sup>1</sup>. كما أهمل الفريقان السابقان، نقاط مهمة في تعريف الخطاب، تبرز نقاط الضعف في هذا الاتجاه الثالث، إذ أهمل عناصر أساسية في تكوين الخطاب.

### 2.1. الخطاب في التراث العربي الإسلامي:

لم يغفل العلماء العرب عن الاهتمام بالخطاب وبتعريفه، حيث إنّ لفظ الخطاب ورد أكثر ما ورد عند الأصوليين، انطلاقاً من أنّ الخطاب هو الأرضية التي استقامت عليها أعمالهم؛ بل كان هو محور مجتهدهم، فقد تردّد كثير من اشتقاقات مادة (خطب) من مواضع متعدّدة عندهم ومن بين

---

1 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 38

الأدلة على ذلك، إيرادهم لاسم الفاعل (مخاطب) ولاسم المفعول (مُخاطَب) بوصفهما طرفي الخطاب<sup>1</sup>.

وبهذه العناصر تتعقد علاقة الخطاب بالحجاج، وسوف نفصل في ذلك في الفصل اللاحق بعنوان المنهج التداولي والحجاج.

### 1.2.1. الآمدي

ومن اهتموا بالخطاب في التراث اللغوي العربي نجد الآمدي<sup>2</sup>، إذ أعطى تعريفاً للخطاب بقوله: " قد قيل فيه: " هو الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئاً، وهو غير مانع، فإنه يدخل فيه الكلام الذي لم يقصد المتكلم إفهام المستمع؛ فإنه على ما ذكر من الحدّ وليس خطاباً والحقّ عندي أنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه" <sup>3</sup>.

نستشف من هذا التعريف مستويات عدّة للفهم، فالخطاب محدود بقصد المتكلم إفهامه للمستمع، ولا يمنع أن يتنبّه المستمع إلى أشياء أو مقاصد يحملها ظاهر الخطاب أو هي متضمنة فيه تُتاح لفئة معيّنة من المستمعين.

<sup>1</sup> ينظر على سبيل المثال لا الحصر: محمد فخر الدين الرازي، الحصول في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ/1999م، المجلد 1، ص 403-404.

<sup>2</sup> تقدّر بعلم المعقولات والمنطق والكلام، له كتاب أبنكار الأفكار في الكلام ومنتهى السلوك في الأصول، وله الطريقة

<sup>3</sup> الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2010، ج1، ص 95.

## 1-2-2- ابن جني

يتكلم ابن جني<sup>1</sup> في كتابه الخصائص، عن اللغة: "أما حدُّها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>2</sup>، يعني هذا التعريف بالقصد.

ويتابع في نفس التعريف فيقول: "وكذلك اللغو، قال سبحانه وتعالى: ﴿كِرَامًا مَّرُوبًا لِلَّغَوْمِ وَأَوْادًا الزُّورِ يَشْهَدُونَ لَا وَالَّذِينَ﴾<sup>3</sup> أي بالباطل، وفي الحديث: "من قال في الجمعة فقد لغا"، أي تكلم"<sup>4</sup>.

من خلال الجزء الأول من التعريف، أورد بن جني كلا من البعد الوظيفي والبعد التواصلية للغة، كما فرق بين اللغة واللسان، حينما ذكر "كل قوم عن أغراضهم" فيه تخصيص للغة لدى الاستعمال في مجتمع معين، كما فرق بين اللغة والكلام في الجزء الثاني من التعريف. وعندما ذكر اللغو، وهو الباطل، فقد ميّز بين الكلام المفيد والكلام غير المفيد، وعبر عنه بالباطل الذي يعرض عنه المسلمون.

<sup>1</sup> هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، كان أبوه مولا روميا، وربما كان اسمه جني تعريبا لكلمة Gennainus اليونانية. وقد ولد عثمان ولده حوالي سنة 320هـ، أخذ يدرس للطلاب بمسجد الموصل، وفي أثناء ذلك يتعرض للأعراب الفصحاء ويأخذ عنهم مثل أبي عبد الله السجزي الذي يتردد اسمه في الخصائص، لازم ابن جني أستاذه أبا علي الفارسي 40 سنة، له كتابان جليلان هما ير صناعة الإعراب، والخصائص، يتناول فيهما "نحو العربية" توفي سنة 390هـ.

<sup>2</sup> ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط 02، ج 01، ص 33

<sup>3</sup> سورة الفرقان، آية رقم 72.

<sup>4</sup> الخصائص، ص 33.

### 3.2.1. الجويني

أما الجويني فيعطي تعريفا للخطاب محتواه: "أن الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة، وهو ما يصير به الحي متكلما"<sup>1</sup> ويعتري هذا التعريف التنوع والتعدد لمظاهر الخطاب وهو يكاد ينطبق على تعريف الخطاب الذي ذكرناه آنفا عن الجملة وأجزائها. ونلاحظ أن الخطاب في هذا التعريف ينحو إلى الجانب التداولي، وذلك بذكره الخطاب: المتكلم، المخاطب، والقصد في التعريف الأول.

### 4.2.1 السبكي:

"وهو ما وُجّه من الكلام نحو الغير لإفادته. وهو بهذا يشترط الإفادة في الخطاب؛ فإذا لم يكن الكلام مفيدا -أي ذا معنى- فلا يعد خطابا"<sup>2</sup>، لا يختلف هذا التعريف كثيرا عن سابقه، إذ لم يهمل أي منهم عنصر الإفادة من وراء الكلام.

### 5.2.1 ابن خلدون:

وقريبا من المفهوم التواصلي للغة يدرج ابن خلدون مفهوما جديدا للغة نلخصه فيما يلي:

---

<sup>1</sup> الجويني، الكافية في الجدل. تح فوقية حسن محمد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1399-1979م، ص 32.  
<sup>2</sup> السبكي علي بن عبد الكافي، وابنه تاج الدين، "الإيهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي" تح أحمد جمال الزمزمي ونور الدين صغيري، دار البحوث للدراسات الاسلامية، واحياء التراث، دبي، الامارات العربية المتحدة، ط 1424هـ/2004م، ج2، ص124.

لأن اللغة تمثل النظام التواصلي الذي يعبر عن التبادل والمشاركة الجماعية بين أفراد الجنس الواحد، فقد استطاعت أن تكون مفتاح المعرفة الشاملة لكل ما هو موجود بدءاً بالإنسان وذاته وصولاً إلى كل ما يحيط به في هذا العالم ويعبر عن ذات المفهوم ابن خلدون (808هـ) بقوله: "أعلم أن اللغة في التعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام: فلا بد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"<sup>1</sup>.

من خلال هذه النظرة الثابتة للغة من حيث بعديها الفردي والاجتماعي، وأيضاً التداولي D.pragmatique الذي يشمل "عبارة المتكلم" (أي عملية التلفظ: l'énonciation) ثم "القصد في إفادة الكلام، ومقدرة الإنسان على التكلم حيث أشار إلى كيفية انتقال اللغة من مجموعة من القواعد والقوانين التجريدية إلى كلام منجز بواسطة اللسان بقوله "فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان" وهذا هو بالتحديد ما تعتمد عليه النظرية التداولية (pragmatique) حيث تحاول الإجابة على الأسئلة: من المتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ماهي قيود الكلام؟ متى يكون الكلام مقنعا؟ وكيف يكون الكلام مقنعا؟

---

<sup>1</sup> ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد وليّ الدين، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 01، 1424هـ/ 2003م، بيروت - لبنان، ص4،5،6، (بتصرف).

## 2. الخطاب الحجاجي:

إنّ الفعالية اللغوية لا تنتهي عند حدود صياغة الجملة ومعرفة قيمة الحقيقة فيها، بل تعدّى ذلك إلى فعالية تلفظ الجملة ودور هذا التلفظ في تغيير اجتماعي مخصوص، وتحويل موضوع الجملة الواقعي من موضع إلى آخر.

إنّ قيمة الحقيقة لجملة ما لا تنحصر في البناء الدلالي لها، وإنما ترتبط هذه القيمة بارتباط الجملة بواقعها، حيث تنتقل الحقيقة من طابعها الدلالي المتعلق بقيمتي الصدق والكذب إلى طابعها الحجاجي المتعلق بقيم الاستعمال والفعالية والتأثير<sup>1</sup>، فالأداء الإغرائي الحجاجي هو كما سبق عملية حجاجية الهدف منها توصيل بكل كلفة وتأثير.

ونحن لم نناقش - قضية النصّ وتحديداته لندخل طرفاً في جدل ما يزال قائماً بين مدارس عالمية عملاقة في ميدان الدراسة العلمية للغة، مثل: البنيوية، السميائية، التداولية.\*

إنّما أردنا تبين خط منهجي سوف نسير عليه أثناء هذه الدراسة التحليلية للخطاب بموضوع بحثنا "الحجاج عند الشعراوي". أما الخصوصية التي ينفرد بها الخطاب الديني عموماً قد بيناها

<sup>1</sup> ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد وليّ الدين، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 1424هـ/ 2003م، بيروت - لبنان، ص 57.

\* يفصل في هذا: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 36 و 34/37. وسوف نخص لها مساحة من هذه الرسالة لما لها من الأهمية في موضوع الحجاج في الخطاب الديني.

مفكر إسلامي، معروف بتفرده في بناء تصور خاص استمدّه من القرآن الكريم، حيث يؤكد على ضرورة الانطلاق من ضوابط تصوّرية مستمدة من النص لفقه معنى هذا النص.<sup>1</sup>

وعن تفرّد هذا النص هنالك نظرية أخرى معاصرة يتبناها سليمان عشراطي: "إنّ الطبيعة النظامية للمقروء القرآني محكومة بتوجّه الرسالة في مغزاها الديني".<sup>2</sup> بهذين الرأيين يتبين لنا بوضوح تظاهرات الاهتمام بالخطاب القرآني، واهتمام الباحثين بتقديسهم لهذا النص العظيم، محاولة إيفائه حق قدره.

قال الشيخ النووي - رحمه الله- في شرحه: "اقرأوا القرآن بلحون العرب' أي تطربا وأصواتها' أي ترنماتها الحسنة التي لا يختل معها شيء من الحروف عن مخرجه، لأنّ القرآن بما اشتمل عليه من حسن التّظم والتّأليف والأسلوب الذي لا يخرج عن وضعه تضاعف فيه النشاط، وزاد به الانبساط، وحنّت إليه القلوب القاسية وكشف عن البصائر غشاوة الغاشية"<sup>3</sup>. هذا فعل القرآن في الأوائل لما كانوا عليه من معرفة بالعربية وفنونها.

وعن تحدي القرآن للعرب يقول الشيخ الشعراوي: "ولذلك إذا قلنا إنّ القرآن جاء يتحدّى العرب في إعجاز الأسلوب واللغة، فهذه شهادة للعرب أنّهم نبغوا في دنيا الكلمة... وعندما يغلبهم

<sup>1</sup> ينظر: سيد قطب، خصائص التصور القرآني وكتاب مقومات التصور الإسلامي.

<sup>2</sup> عشراطي سليمان، الخطاب القرآني، ص 339-340.

<sup>3</sup> النووي، فيض التقدير، ج2 / ص65 / ذكره وصحّحه: فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1427هـ/2007م،



القرآن ويعجزهم يكون هذا هو التحدي<sup>1</sup>؛ كان التحدي من العرب دافعه العناد، لأنهم كانوا على يقين بعجزهم أمام بيان القرآن، ويضيف عبد الله صولة رأيه في خصائص الأسلوب: "أنها تتجاوز جوانب المعجم والتركيب، والصورة، إلى الموسيقى؛ ومن المظاهر الموسيقية في القرآن إيقاعه الذي حظي بأكثر من دراسة في العصور الحديثة، لكن إيقاع القرآن مبحث صعب بطبيعته، فما بالك إذا جئت (تناولته) من جهة الحجاج؟ إنه ليس مجرد ثوب تزيين وتجميل خارجي يُضاف إلى الكلام ليميز به الشعر من النثر، كما كان أرسطو ينظر إليه في كتابه 'فن الشعر' وليس هو بالمساعد فحسب على جعل الكلام مؤثرا مقنعا، كما كان أرسطو أيضا يرى في كتابه 'الخطابة' وإنما الإيقاع جزء من معنى الكلام الفني لا يتم بدونه وشكل ذو معنى، بل إنه في رأينا قد يحمل من الشحن المعنوية باعتباره دالا ما لا يحمله المدلول نفسه"<sup>2</sup>.

وسواء كان الخطاب نصا أو ملفوظا أوسع من النص، فإن الخطاب والنص كلاهما شكل لغوي له وظيفة منطقية أو إدراكية، وهي تقوم بإيصال المفاهيم إلى ذهن المخاطب معتمدة على بناء خاص يقوم على التعليل وتقديم المسوقات الداعية للاستعمال، وممارسة التشبيهات، والاستعارات معتمدة على القرائن المحيلة إلى المعنى.

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج1، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، دط، مصر، 1991، ص 16.

<sup>2</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الطبعة 2، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2007م، ص 72.

ويذهب عبد الله صولة إلى تبيان ذلك من رافد الاستعمال أو الرافد التداولي "على أن الكلمة إذ تدخل التركيب النحوي تدخله وهي محملة بعد بتاريخها الدلالي الثري الذي اكتسبته من طول تجربتها القولية بدخولها سياقات استعمال كثيرة مختلفة وخروجها منها"<sup>1</sup>.

الكلمة أقل من الجملة، فهي من أجل ذلك في حاجة أن تعمل في غيرها أو يعمل غيرها فيها، لتتولد عن ذلك البنية النحوية العامة التي تعطي للكلمة دلالتها فيها. كون الكلمة أكبر من الجملة من حيث أنها تضيف عليها معاني استمدتها من تاريخ استعمالها الطويل في جملاًخرى اضمحلت وتلاشت، وبقيت تلك الكلمة تدور في عالم خطاب مستعملها محملة بالدلالات التي غنمتها من استعمالها في تلك الجمل . . .

والكلمة - من زاوية نظرحجاجية- تكسب -أيضا- الخطاب الذي ترد فيه "وقعا معنويا" خاصا وبعدا حجاجيا أعمق من علاقته بمتلقيه، ويقول كذلك: "إن الخطاب يرمي دائما إلى تغيير أوضاع المتلقين الذين يوجه إليهم"<sup>2</sup>.

وسوف نورد أمثلة على ذلك من القرآن العظيم، في الفصل التطبيقي (الحروف المقطعة).

### 3. مدلول الخطاب في القرآن الكريم:

---

<sup>1</sup> نفسه.

<sup>2</sup> نفسه.

لقد وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة،

وذلك في قوله

تعالى:

﴿سَلَّمَ قَالُوا الْجَاهِلُونَ خَاطَبَهُمْ وَإِذَا هَوْنًا عَلَى الْأَرْضِ عَلَى يَمْسُورِ الَّذِينَ الرَّحْمَنِ وَعِبَادُ﴾

﴿<sup>1</sup>﴾: يحمل مفهوم الخطاب معنى الحركة بالفعل، ويتمثل في توجيه السلوك وتعليم الناس كيف يتعاملون

مع المعاندين والمتعنتين، ووصفهم بالجاهلين لأنهم لو لم يجهلوا لاستقاموا وقوله عز وجل:

﴿خِطَابًا مِنْهُ مَلِكُورٌ لَا الرَّحْمَنُ بَيْنَهُمَا وَمَا وَاللَّأَرْضِ السَّمَوَاتِ رَبِّ﴾<sup>2</sup>؛ وفي قوله جل وعلا عن

سيدنا داوود عليه وعلى نبينا السلام:

﴿الْخِطَابِ وَفَصَلَ الْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُ مُلْكَهُ وَشَدَدْنَا﴾<sup>3</sup>؛ قد وردت كلمة الخطاب في معاني

مختلفة كل لها مدلول خاص، نفصل فيه في موضعه.

من خلال مناقشة مفهوم الخطاب عند علماء كل من الغرب والعرب، تبين لنا حجاجية

الخطاب، نتبع نكتة القول في ذلك عند الشيخ الشعراوي، إذ يحمل آراء هؤلاء في مثال من القرآن

الكريم، في تفسيره لسورة الفاتحة يقول: "بقي لنا أن نتكلم عن ختم فاتحة الكتاب بقولنا 'آمين'،

<sup>1</sup> سورة الفرقان، الآية 63.

<sup>2</sup> سورة النبأ، الآية 37.

<sup>3</sup> سورة ص، الآية 20.

أسوة برسول الله ﷺ الذي علمه جبريل عليه السلام أن يقول بعد قراءة الفاتحة 'آمين'، فهي من كلام جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليست كلمة من القرآن.

وكلمة 'آمين' معناها: استجب يا رب فيما دعوناك به من قولنا:

الضَّالِّينَ وَلَا عَلَيْهِمُ الْمَغْضُوبِ غَيْرِ عَلَيْهِمْ أَنْعَمْتَ الَّذِينَ صَرَّطَ ﴿٦٧﴾ الْمُسْتَقِيمِ الصِّرَاطَ أَهْدِنَا ﴿٦٨﴾

1

أي أن الدعاء هنا له شيء مطلوب تحقيقه.

و'آمين' دعاء لتحقيق المطلوب... وكلمة 'آمين' اختلف العلماء فيها<sup>2</sup>

ويواصل بقوله: "وكلمة 'آمين' ليست فعلا، فهي اسم مدلوله الفعل... معناه استجب... فأنت

حين تسمع كلمة 'آه' فهي اسم لفعل بمعنى أتوجع... وساعة تقول "أف"، فهي اسمفعل بمعنى

أضجّر... و'آمين' اسم فعل بمعنى استجب... ولكذك تقولها مرة وأنت القارئ وتقولها مرة

وأنت السامع".<sup>3</sup>

"فساعة تقرأ الفاتحة تقول 'آمين'... أي أنا دعوتك يا رب استجب دعائي... لأنك

لشدة تعلقك بما دعوت من الهداية، فإنك لا تكفي بقول اهدنا، ولكن تطلب من الله الاستجابة،

وإذا كنت تصلي في جماعة فأنت تسمع الإمام وهو يقرأ الفاتحة... ثم تقول 'آمين'، لأن المأموم

<sup>1</sup> سورة. الفاتحة، الآية 6،7.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، سورة الفاتحة، ج 1/89.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 90.

أحد الداعين لهم، والذي دعا هو الإمام، وعندما قلت 'أمين' فأنت شريك في الدعاء. ولذلك فعندما دعا موسى عليه السلام أن يطمس الله على أموال قوم فرعون ويهلكهم قال الله سبحانه وتعالى لموسى:

﴿يَعْلَمُونَ لَا الَّذِينَ سَبِيلَ تَتَّبِعَانِ وَلَا فَاسْتَقِيمَا دَعَوْتُكُمْ أَجِيبْتُمْ قَدْ قَالَ<sup>1</sup>﴾.

وهذا المفظوظ وارد في القرآن الكريم مثلا "ص" من سورة "ص" وطه" من سورة "طه".

نلاحظ أن الشيخ الشعراوي تجاوز نصي رولان بارثولمسف، وضوحا وسعة، فقد مثل للمفهوم من اللغة، اسما وفعلا وحرفا، كما بين بوضوح كل أجزاء اللفظ، والمعاني الناتجة عنه: (اسم الفعل) وعلاقته بالدعاء ثم تأثيره في المتكلم والسامع سيان، حيث يصبح المتكلم يشاركه السامع باستماعه في الجزاء والإجابة، وذلك لأنه كان يسمعه وهو يدعو.

فيقول في تفسير هذه الآية أن الخطاب من الله سبحانه وتعالى موجه إلى موسى وهارون،

ولكن موسى (عليه السلام) هو الذي دعا . . . وهارون آمن على دعوة موسى فأصبح مشاركا

في الدعاء، وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَعْلَمُونَ لَا الَّذِينَ سَبِيلَ تَتَّبِعَانِ وَلَا فَاسْتَقِيمَا دَعَوْتُكُمْ أَجِيبْتُمْ قَدْ قَالَ<sup>2</sup>﴾.

<sup>1</sup> سورة يونس، الآية 89.

<sup>2</sup> سورة يونس، الآية 89.

# الفصل الثاني

## الخطاب التأويلي وحجاجيته

### مباحث الفصل

1. الأصول الفلسفية القديمة.
2. التفسير والتأويل.
3. مصطلح التأويل في الفكر الإسلامي.
4. التأويل في الفكر المعاصر.

## توطئة:

بعد مناقشة مفهوم الخطاب وحجاجيته في الفصل المنصرم، ثبت لدينا نجاعة القول بحجاجية النص القرآني، ومن خلال هذا الفصل نريد تبيان النصوص التفسيرية، وذلك يلزمنا بالوقوف على المعاني المختلفة والأبعاد العميقة لقضية التفسير والتأويل في التراث الإنساني قاطبة، والتراث الفلسفي بصفة خاصة لما له من أثر على الفكر والحضارة الإسلامية، ثم التأويل في الخطاب الديني بصفة أخص.

### 1- الأصول الفلسفية القديمة:

منذ بداية الخلق، وجد الانسان نفسه أمام قوى خفية أسند إليها زمام أموره. وراح يبحث عن الخلاص؛ فلجأ إلى التفكير الفلسفي الذي كان أساسه الأول سلطة الآلهة.

#### 1-1- بداية ظهور الفلسفة اليونانية:

إنّ البحث عن نظرية للمعنى والفهم عموماً، وفي الشعر خصوصاً، يعود إلى بداية الفلسفة اليونانية، فقد أحدث السفسطائيون تحوّلاً كبيراً في نظرية المعرفة، التي كانت مرتبطة بسلطة الآلهة، إذ كانوا يوصف الشاعر بأنّه الشخص الذي يثيره الإله.<sup>1</sup>

وكان ينتظر من الشاعر أن يتلو قصة واقعية، لأنّ صدق قصّته سيكون اختباراً للإلهام الإلهي<sup>2</sup>، وكانت مهمة الشاعر إذ ذاك إسعاد الآخرين بقدرة منحه إياها الإله.

<sup>1</sup> ينظر سكوت جيمس، صناعة الأدب، تر: هاشم الهداوي، مراجعة: الدكتور عزيز المكلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986،

ص33.

<sup>2</sup> نفسه، ص33.

وفي الأوديسة على لسان سينيوس: «سل الشاعر المتجول المقدس ديمودوكس أن يحضر إلى هنا، فالإله منحه الغناء على نحو لم يمنحه للآخرين ليدخل السرور في نفوس الناس بالطريقة التي تثيره بها روحه للغناء»<sup>1</sup>.

من خلال هذه الأقوال نلاحظ علاقة الناس بالآلهة وعناية الآلهة بالناس، والحرص على إسعادهم وتسخير من يسعدهم من البشر بواسطة الإلهام. أما السفسطائيون فقد غيروا نظرة الناس للدين والفن، ونسبوا المعرفة للذات، وتبقى هذه المعرفة نسبية؛ وذلك حسب تعدد وجهات النظر لدى الناس.

بيد أن ظهور السفسطائية في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، نقض تلك الرؤية، إذ لم يتردد السفسطائيون في الشك بالآراء التقليدية للدين، والفن، والمجتمع، حينما شرعوا يسألون أسئلة ثابتة: ما الوجود؟ وما الخير؟ وما المعرفة؟ ما الفضيلة؟ ما الكلام؟ إن هذه الأسئلة على اختلافها كانت محور اهتمام 'برتاغورس' الذي خلص إلى أن المعرفة نسبية وأن الوجود هو الظهور، وأن الإنسان مقياس جميعها<sup>2</sup>. إن هذه الرؤية في المعرفة تجعل الإنسان مركز الوجود، ذلك أنها هي التي تنتج المعرفة، غير أنها تظل معرفة نسبية، لأن برتاغورس كان يعتقد أن الأشياء هي بالنسبة لك كما تبدو لك، وبالنسبة لي كما تبدو لي، وأنا وأنت ناس<sup>3</sup>. إن مفهوم نسبية المعرفة يشير إلى غير أمر، فهو من نحو يُجدرّ فكر أن الإنسان بمقياس الأشياء جميعها، فهو مقياس

<sup>1</sup> نفسه، ص 33.

<sup>2</sup> ينظر أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب، القاهرة، 1954م، ص 264.

<sup>3</sup> ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص 24.



وجود ما يوجد منها، ومقياس ما لا يوجد<sup>1</sup>. ويوصل من نحو ثان رفض فكرة الإلهام الإلهي في الإبداع. ويشير من نحو أخير إلى أن الذات " طرف في إنتاج المعنى، ذلك أنهم، أي السفسطائيين اعتقدوا أن الأشياء في تغير دائم وأن مقياس هذا التغير هو الإنسان على ما يبدو له وعلى ما يظن<sup>2</sup>. على أن إيمان السفسطائيين بمفهوم التغير متأت في الأصل من قول هراقليطس: «جميع الأشياء تجري بتدفق ولا شيء يبقى ثابتاً»<sup>3</sup>.

## 1-2- الأصول الدينية للتأويل:

يُجمع الباحثون على أن مصطلح التأويل 'الهرمينوطيقا' هو مجال علم اللاهوت، وقد استخدم في الدراسات اللاهوتية « ليشير إلى مجموعة من القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني للكتاب المقدس<sup>4</sup>. ويرى نصر حامد أبو زيد أن الهرمينوطيقا - بهذا المعنى - تختلف عن التفسير الذي يشير إليه المصطلح (Exegesis) على اعتبار أن هذا الأخير يُشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية، بينما يُشير المصطلح الأول إلى نظرية التفسير. ويعود

<sup>1</sup> أحمد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 264.

<sup>2</sup> ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص 25.

<sup>3</sup> علي سامي النشار وآخرون، هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ص 39، حيث يقول: >> كل شيء ينساب ولا شيء يسكن، كل شيء يتغير ولا شيء يدوم على الثبات، وإنك لا تستطيع أن تنزل مرتين إلى النهر نفسه، لأن مياهها جديدة تنساب فيه باستمرار>>، ويقول أيضا: >> إن الأشياء تجد راحتها في التغير>>.

<sup>4</sup> نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1994م، ص 3.

قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام 1654م وما زال مستمرا حتى اليوم، خاصة في الأوساط البروتستانتية<sup>1</sup>.

والواقع أنّ هذا الرأي مشكوك فيه، ذلك أنّ مصطلح التّأويل بالمعنى الذي ذهب إليه نصر حامد أبو زيد كان معروفا قبل عام 1964م بكثير، فقد عرفت من قبل أنواع أربعة في تفسير الكتاب المقدس في الديانتين: اليهودية والنصرانية، هي التفسير اللفظي والتفسير الأخلاقي والتفسير التمثيلي المجازي والتفسير العرفاني 'الباطني' أو ما يسمّى بالإشراقي<sup>2</sup>. ويلاحظ أنّه في القرون الوسطى، حصل تقسيم فرعي آخر للمعاني الروحانية إلى تمثيلية، وباطنية، وعرفانية، وأدّى ذلك إلى بروز تقسيم رابع يضم ثلاثية أوريجن، الذي قام بتنظيم الأصول التفسيرية، وأعاد معرفة المستويات المتنوعة للمعاني الظاهرية والأخلاقية، والروحانية، بشكل منفرد معتبرا أنّ المعاني التمثيلية الروحانية أعلى هذه المعاني، ويسعى هذا النوع من التفسير للكتاب المقدس، إلى ربط الأحداث الموجودة فيه بالحياة الآخرة، ويمكن العثور على هذا المنهج التفسيري في طريقة القبالة اليهودية التي تعبّر عن تفسير سرّي وعرفاني.

ويعدّ زهر، أحد المفسرين اليهود البارزين في القرون الوسطى الذين سلكوا هذا المنهج التفسيري، فضلا عن أنّ كثيرا من المفسرين المسيحيين الذين ركزوا جهودهم على المعرفة الرمزية،

---

<sup>1</sup> نفسه، ص 13.

<sup>2</sup> محمد تقي فعالي، تفسير النصوص المقدسة في قراءتين: دراسة في الهرمنيوطيقا المعاصرة، تر: الشيخ حيدر حبّ الله، مجلة المناهج، العدد الثالث والعشرون، بيروت، خريف 1422هـ/2001م، ص 182.

أخذوا هذا المنهج سبيلاً في تفسير النصوص المقدّسة<sup>1</sup>. وقد تسربت هذه الأفكار وعبر حملات التبشير، والاستعمار في البلاد العربية، ممّا أفسد العقيدة لدى من تأثر بهم من العرب.

## 2- التفسير والتأويل:

إنّ التأمّل في المعاني اللغوية المختلفة، لمفهومي التأويل<sup>2</sup> والتفسير؛ يوحى بحالة من التماهي بينهما، فكل مفهوم منهما يشتمل على معاني البيان والإبانة والكشف والتعريف؛ أي أنّهما يتحركان في فضاء دلاليّ متسع يستحضر مفاهيم بلاغية وأسلوبية وصوفية تتردّد كثيراً في فصول النظرية النقدية المعاصرة.

### 2-1- الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في بيان الفروق بين التفسير والتأويل، وتعددت أقوالهم في ذلك، وتضاربت وسنذكر أهم هذه الأقوال:

1- التفسير والتأويل: مصطلحان مترادفان بمعنى واحد، فلا فرق بينهما، ومعناهما بيان القرآن وشرح آيته وفهمها. وهذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى ومن معه، وهو قول مرجوح لأنّ التفسير والتأويل مصطلحان قرآنيان، بلا بد من ملاحظة الفروق بينهما، فلا ترادف في كلمات القرآن ولن

<sup>1</sup> محمد تقي فعالي، تفسير النصوص المقدّسة في قراءتين: دراسة في الهرمنيوطيقا المعاصرة، ص 183.

<sup>2</sup> يقول ابن منظور: الأول: الرجوع، آل الشيء، يؤول أولاً ومالاً رجوع وأول الشيء رجعه، وأول الكلام وتأوله: دبره وقدّره، وأوله وتأوله: فسره.

لسان العرب، المجلد الثاني، حرف (الألف) (2)، ط1، 2006، دار نوبليس، بيروت، ص 311

نجد فيه كلمتين بمعنى واحد، فقد يكون بينهما تقارب شديد في المعنى، بحيث تخفى الفروق بينهما على كثير من الناس، لكن المتدبرين يقفون على فروق دقيقة خفية بينهما .

2- التفسير بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع، وذلك لوجود دليل لدى المفسر، يعتمد عليه في الجزم والقطع . والتأويل: بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة الظن والترجيح، لعدم وجود دليل لدى المؤول يعتمد عليه في الجزم والقطع . وهذا قول أبي منصور الماتريدي .

3- التفسير: بيان معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة التي وضعت لها في اللغة، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر . والتأويل: بيان باطن الألفاظ القرآنية والاختبار عن حقيقة المراد بها ومثال قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَرَصَادٍ رَبَّكَ إِنَّ﴾<sup>1</sup> ، فهذه الآية لها تفسير وتأويل . تفسيرها: أن المرصاد من الرصد والمراقبة أي أن الله مطلع على كل ما يعمل الظالمون، يراها ويعلمها ويرصدها، ويسجلها عليهم ليحاسبهم عليها . وتأويلها: تحذر الآية من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الألوهية والاستعداد للعرض عليه يوم القيامة . وهذا قول أبي الطالب التعلبي .

4- التفسير فهم الآيات على ظاهرها، دون صرف لها عنه . والتأويل: صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر تحتمله الآيات، ولا يخالف الكتاب والسنة، وذلك عن طريق الاستنباط وهو قول البغوي .

1سورة الفجر، الآية 14 .

5- التفسير: الاقتصار على الاتباع والسماع والرواية والاكتفاء بما ورد من ماثور في معاني الآيات. والتأويل استنباط المعاني والدلالات من الآيات عن طريق الدراية والتدبر، وإعمال الفكر والنظر. وهذا قول أبي نصر القشيري.

6- بيان المعاني القريبة التي تؤخذ من الآيات، من كلماتها وجملها وتراكيبها، عن طريق الوضع واللغة. والتأويل: بيان المعاني البعيدة التي تلاحظ من الآيات وتوحي بها كلماتها وجملها، وتراكيبها عن طريق الإشارة والإيحاء. ومال إلى هذا القول الأوسي في تفسيره روح المعاني.<sup>1</sup>

القد ألفت كتب كثيرة في التفسير وتاريخه، والمفسرين ومناهجهم، ومن أشهر هذه الكتب قديماً: طبقات المفسرين للسيوطي، وطبقات المفسرين لتلميذه الداودي ويقع في مجلدين، وأما حديثاً: فكتاب التفسير والمفسرين للشيخ محمد حسين الذهبي، وقد عول عليه الذين كتبوا من بعده ويقع في ثلاثة أجزاء، والتفسير ورجاله للشيخ ابن عاشور.

وقد ورد ذكر مصطلحي التأويل والتفسير في القرآن الكريم وذلك في قوله عز وجل: ﴿تَأْوِيلَهُ رِيَّائِهِمْ وَلَمَّا﴾<sup>2</sup>؛ أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن

1 ينظر، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 19-22. و السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص 89-91. والراغب الاصفهاني، مقدمة جامع التفاسير، ص 47-51. وأبو البقاء الكفوي، الكليات، ص 261-262. والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ت: محمد شاکر، دار الفكر، بيروت، ص 6، 7.

<sup>2</sup> سورة يونس الآية 39.

ينظر فيه، وقيل معناه لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ عَقِبَةُ كَانَتْ كَيْفَ فَانظُرْ قَبْلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبَ كَذَلِكَ﴾<sup>1</sup>.

## 2-2- نشأة التفسير والحاجة إليه:

المرحلة الأولى: عصر ما قبل التدوين: قال الله تعالى: ﴿الْأَلْبَابِ أُولُو الْأَيْتِيهِ لِيَذَّبَ بَرُّ وَأَمْرُكَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ كِتَابًا﴾<sup>2</sup>. وتدبر القرآن لا بد له من فهم ووعي، لذا كانت الحاجة إلى التفسير ملحة ماسة منذ نزول القرآن الكريم على قلب سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

ولكن هذه الحاجة كانت تختلف من عصر إلى عصر، فكانت في عصر النبوة أقل منها في العصور اللاحقة، ذلكم لأن القرآن الكريم نزل بلسان مبين، وكان الذين أنزل فيهم ذوي سليقة عربية سليمة، وطباع بعيدة عن أن تلوثها العجمة أو يفسدها اللحن. فنشأة التفسير - إذن - بدأت منذ عهد النبوة ولم تكن تفسيرات النبي - صلى الله عليه وسلم - شاملة للقرآن كله، وتلكم حكمة أرادها الله، وعمد إليها وذلك من أجل أن تدبر الأمة في جميع العصور كتاب الله تبارك وتعالى.

المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم<sup>3</sup>: يقوم منهج الصحابة في التفسير على أسس ثلاثة:

<sup>1</sup> سورة يونس، الآية 39.

<sup>2</sup> سورة ص، الآية 29.

<sup>3</sup> منصور كافي، مناهج المفسرين في العصر الحديث، بين النظرية والتطبيق، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، الجزائر، ص 77.

## 1 تفسير القرآن بالقرآن

2 تفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذا لم يجد الصحابة تفسير الآية في القرآن رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسألوه عنها فبينها لهم، روى الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال: " سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن يوم الحج الأكبر، فقال: يوم النحر"<sup>1</sup>.

3 الاجتهاد والاستنباط: إذا لم يجدوا في القرآن ولا في السنة، اجتهدوا لأنهم عرب خلص، شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول عليه الصلاة والسلام، والقرآن نزل بلسان عربي مبين. وأدواتهم في ذلك:

أ) يعرفون أوضاع اللغة العربية وأسرارها .

ب) يعرفون عادات العرب وأخلاقهم .

ج) معرفتهم بأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن .

د) يعرفون أسباب النزول، وقد شاهدوا الوحي وحضروا الأحداث والوقائع .

هـ) قوة الفهم والإدراك، فقد آتاهم الله عقلا وفهما يتنوا به كثيرا من الأمور .

المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين<sup>2</sup>: وهم الذين تتلمذوا على الصحابة فنقلوا غالب

معلوماتهم عنهم، كما اشتهر من التابعين أعلام تكلموا في التفسير ووضحوا ما خفي من معانيه،

ويتمثل منهجهم على الأسس التالية:

## أ) تفسير القرآن بالقرآن

1 الترمذي، الجامع الصحيح، ج3، ص 291 .

2 منصور كافي، مناهج المفسرين في العصر الحديث، بن النظرية والتطبيق، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ص78 .

ب) تفسير القرآن بالسنة النبوية.

ج) تفسير القرآن بأقوال الصحابة كما قال مجاهد بن جبر: " عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"<sup>1</sup>.

د) الفهم والاجتهاد، وقد اجتهدوا لأنهم أهل لذلك.

هـ) أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهنا دخل في التفسير طائفة من هذه الأخبار التي تعرف بالاسرائيليات، وأكثر من رويت عنه الاسرائيليات: عبد الله بن سلام، كعب الأحبار، وهب بن منبه، وعبد الملك بن جريج.

## 2-3- أقسام التفسير: بالمأثور، وبالرأي، والفهمي

أما التفسير بالمأثور فقد بدأ أولاً، وكانت مهمته نقل الروايات بأسانيدها، دون التعليق عليها، ودون مزج لهذه الروايات بلون من الدراسة كتفسير يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة (117هـ) وتفسير مقاتل بن سليمان وتفسير عبد الرزاق الصفاني، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي، وفتح القدير للإمام الشوكاني.

---

<sup>1</sup> أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، رقم الحديث: 98.



والتفسير بالرأي: سئل الإمام على كرم الله وجهه: هل ترك لكم نبيكم شيئاً؟ فقال لا، إلا هذا القرآن أو فهم أعطيه الرجل<sup>1</sup> وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم - لابن عباس فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"<sup>2</sup>

التفسير الفقهي: يغلب عليها القضايا الفقهية، وما تقرره من أحكام شرعية، ويذكرون المذاهب الفقهية المختلفة في فهم الآيات واستنباط الأحكام منها. ومن تفاسيرها: أحكام القرآن للجصاص الحنفي، (ت370هـ) وأحكام القرآن للكنيا الهراسي الشافعي، المتوفي سنة (504هـ) وأحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي المالكي (ت543هـ)

التفسير في طور التجديد: انتقل التفسير إلى مرحلة جديدة، ونعني بالتجديد الإبداع والتحسين والجددة. وبدأ العصر الحديث في التفسير بظهور الإمام محمد عبده الذي أرسى أسس العقلية الاجتماعية في التفسير<sup>3</sup>.

## 4-2- التأويل عند اللغويين

سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل، فقال: "التأويل والمعنى والتفسير واحد". قال ابن منظور: «يُقَالُ أُلْتُ الشَّيْءَ أَوَّلَهُ إِذَا جَمَعْتَهُ وَأَصْلَحْتَهُ فَكَانَ التَّأْوِيلُ جَمْعَ مَعَانِي الْفَافِظِ أَشْكَتْ بِلَفْظٍ وَاضِحٍ، لَا إِشْكَالِيَةَ فِيهِ»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب العلم، ج1، الطبعة المنيرية، ص64.

<sup>2</sup> وفي المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً فقالت له ميمونة: وضع لك عبد الله بن عباس وضوءاً، فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي والعراقي والبوصيري

<sup>3</sup> صلاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار القلم، دمشق، ص 25، 26.

وجاء في القاموس: آل إليه أولاً ومآلاً: رجع، وجاء أيضاً أول الكلام تأويلاً: دبره وفسره،  
والتأويل عبارة الرؤيا<sup>2</sup>.

إنه من الواضح أنّ مفهوم التأويل في اللغة المستقرة في المعاجم هو امتداد لمعانيه في القرآن  
الكريم، فهو يدور حول معاني «الرجوع والارتداد والتدبر والتفسير والتقدير»<sup>3</sup>، فضلاً عن ارتباطه  
بمفهوم أو عبارة مدلول الرؤيا، بالإضافة إلى لبس واقع بينه وبين التفسير، فما هو الفرق بين التفسير  
والتأويل؟

إنّ الوقوف على حقيقة هذه الإشكالية يستدعي الوقوف على معنى التفسير في اللغة، ففي  
اللسان: "البيان، والفِسر كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكّل"<sup>4</sup> "وجذر  
التفسير في اللغة مشتق من (الفسر) وهو الإبانة والكشف"<sup>5</sup>، وورد عن ثعلب "أنّ التفسير يجيء  
بمعنى التعرية"<sup>6</sup>. يبدو التطابق بين المعنيين اللغويين لكل من التفسير والتأويل واضحاً لدرجة عدم  
التفريق بينهما، وذلك ما سنوضحه من خلال الكلام عن التأويل عند الأصوليين.

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد الثاني، حرف (الألف) (2)، ط1، 2006، دار نوبليس، بيروت، ص 311،

<sup>2</sup> الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة: أول.

<sup>3</sup> يرجع العودة إلى الآيات (59 من سورة النساء، الآية 53 من سورة الأعراف، الآية 39 من سورة يونس، الآية 6 من سورة يوسف، وكذلك  
آيات 10 و 37 من سورة يوسف، الآية 78 و 82 من سورة الكهف)

<sup>4</sup> اللسان في مادة (فسر).

<sup>5</sup> القاموس المحيط، مادة (فسر).

<sup>6</sup> أبو حيان، البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، 1328هـ، ج1/13.

## 2-5- التاويل عند الأصوليين

### 2-5-1- الآمدي:

قال أبو الحسن الآمدي- رحمه الله تعالى- في "الإحكام في أصول الأحكام" "قال الغزالي: التاويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دلّ عليه الظاهر". ثم انتقد هذا التعريف، ورجّح أنّ التاويل: "من حيث هو تاويل، مع قطع النظر والبطلان، هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له، بدليل يعضده"<sup>1</sup> قرر الأصوليون أن لا يصوغ الاجتهاد في مورد النص المفسر أو القطعي والتاويل ضرب من الاجتهاد. وعليه فلا يجوز تاويل (القطعيات)، لأنّ الشارع-عزّ وجلّ- عندما حدّد مراده بنص صريح قاطع إنما قصد إلى استبعاده من أن يكون مثارا للاجتهاد والتاويل لما يأتي:

1. إما لكون النص يتعلق بمجقائق ثابتة، كما في العقائد.
2. وإما لكونه يتعلق بمصلحة جوهرية ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، كالفرائض الميراثية أو العقوبات النصية على الجرائم.
3. وإما لكونه يقرر قاعدة ترسم منهجا تشريعا في الاجتهاد، لأن القاعدة يجب أن تكون حاكمة على الأحكام التكليفية في الشريعة كلّها.
4. وإما لكون النص الصريح القاطع يتعلق بأهمّات الفضائل وأصول الأخلاق.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الآمدي، "الإحكام في أصول الأحكام" ج3 ص 48

<sup>2</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، ج1، ص 159. تحقيق عبد السلام هارون. وكذلك ينظر الجوهري في الصحاح: ج4 / 162 في مادة (أول)

وعلى ذلك نفهم أنّ مجال "التأويل هو النصوص المحتملة وهي ما يسمى عند الأحناف بـ"الظاهر والنص".

## 2-5-2- الغزالي:

كان للعلماء الأجلاء غيرة على الدين، ورغبة في تجشّم الصعاب لتوضيح مقاصد الشرع للعباد، ودرء خصوم الدين، وكسر شوكتهم، يتصدر ذلك كتابه "إحياء علوم الدين" بقوله: "الأمر إذْ والخطب جدُّ، والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد، والزاد طفيف والخطر عظيم، والطريق سدّ، وما سوى الخالص لله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد".<sup>1</sup>

وهذا الإعلان الصريح على خطورة الموقف لا شكّ أنه الدافع القوي لتأليف هذا الكتاب الذي أقام الدنيا وأقعدّها، فالتفّ حوله المحبّون والمعجبون وكثُر ضده الأعداء، وما يهمننا في هذا البحث، هو التعرف على منهجه في التأويل، وذلك يستدعي مقارنة حجاجية، وقد لا يسعنا مجال دراستنا الموجّه بالمنهج الحجاجي - لدراسة مستفيضة لهذا العلم الشامخ وفيضه الغزير - لذلك سوف تقتصر على هذه الإطلالة التقابلية التي بنى عليها منهجه في الإحياء وتمثله في قوله: "في القلب جنودٌ جند يُرى بالأبصار، وجند لا يُرى إلاّ بالبصائر، ويتمثل الجند المشاهد في اليد والرجل واللسان والعين، فهي كلّها مسخرة للملك الذي هو القلب، وهو يفتقر لها من أجل سفره الذي خلق من أجله، وهو السفر إلى الله تعالى".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت/ج 1 ص 2.

<sup>2</sup> نفسه، ربع المهلكات، ص 27.

يقول الغزالي: "الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له، بل هو الواحد الحق الخلق للأزواج كلها"<sup>1</sup>.

يُعد الغزالي مؤولا للعديد من النصوص القرآنية، ونصوص الحديث الشريف، والتي تظهر من خلالها قوة حجاجية متينة مبنية على الاستدلال، واللغة والأسلوب. فضلا عن تأويله لمظاهر الكون وأسرار الشريعة وخاصة الظاهرة الأساسية وهي الإنسان في حد ذاته.

في الحتام نقول إن كلمة تأويل تعني بالرجوع إلى الأصل - عند الأصوليين - ولكن إذا كانت الكلمة تعني "الرجوع إلى الأصل" وتعني أيضا "الرجوع إلى الغاية" والعاقبة فإن الذي يجمع بين الداليتين هو دلالة الصيغة الصرفية "تفعيل" على الحركة، وهي دلالة أغفلها اللغويون في تحليلهم المعجمي، لذلك يمكن لنا القول أن التأويل حركة بالشيء أو الظاهرة لما في اتجاه الأصل "بالرجوع، أو باتجاه الغاية" العاقبة "بالرعاية والسياسة، لكن هذه الحركة ليست حركة مادية، بل هي حرمة ذهنية عقلية في إدراك الظواهر.

## 2-5-3- الباقلاني:

يمثل الباقلاني<sup>2</sup> بمفهومه الإعجاز القرآني، ومفهومه "إعجاز القرآن وجهة نظر جماعة المسلمين.

---

<sup>1</sup> نفسه، ص 27.

<sup>2</sup> محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم أبو بكر القاضي الباقلاني البصري، المتكلم الفقيه الأشعري، نسبة لأبي الحسن الأشعري (ت 403هـ)

اتجه إلى علم الكلام نظراً لكثرة الملحدين في العراق في القرن الرابع الهجري وظهور مذهب أبي الحسن الأشعري ودفاعه عن آرائه، وجداله الشديد للمعتزلة وأنصارهم، ويعد الباقلاني فيلسوف المذهب الأشعري، الذي بلور آراءه، ونفذ تعاليمه وأحترم أصوله... يقول ابن تيمية: "أنه أفضل المتكلمين المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري" وضع لمسائل العلم المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء"<sup>1</sup>

وقد أصدر كتابه بمقدمة تمهيدية -يبحث فيها المسلمين على تدارك كتاب ربهم، وفهم مضمونه، ومشموله، للوقوف في وجه الملحدين، والمظلمين "الذين خاضوا في أصول الدين" وشككوا في صفات الإيمان واليقين، واتخذ لذلك سبيلاً، هو إبراز أهمية القرآن الكريم من حيث هو كتاب الله، ومن حيث هو حجة النبوة... ودليل على صدق الدعوة وصدق النبوة معا...".<sup>2</sup>

ويظل الباقلاني<sup>3</sup> يحلل المسائل، ويضع الآراء؛ ويرد على القائلين، ويناقش الزاعمين طول حياته. وصفه صاحب ابن عباد بقوله "ابن الباقلاني بحر مغرق"<sup>4</sup>

من الخطاب القرآني إلى الخطاب التفسيري؛ نجد أنفسنا أمام تداولية مدمجة أي من دلالة النص إلى تداوله، أي جعله متداولاً بين الناس مما يغذي روح التفاعل في نفوسهم، وسلوكياتهم.

<sup>1</sup> جمال العمري: مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، دار المعارف، ص 88.

<sup>2</sup> نفسه، ص 93

<sup>3</sup> أنتجت قلية الباقلاني مجموعة كبيرة من الكتب الدينية ذات الصبغة الكلامية، والتي تتناول الرد على المخالفين والملحدين، والمتكلمين. يقولون أنه صنف سبعين ألف ورقة في الدفاع عن الدين ويذكرون أيضاً أنه كان يؤلف في كل ليلة خمسة وثلاثين ورقة. تعد هذه الشهادات إظهاراً لعلم الرجل وإبرازاً لبراعته الدينية والعلمية، أشهر الكتب التي ذكرتها المراجع العلمية للباقلاني كتاب إعجاز القرآن، وقد طبع مراراً، أوله سنة 1315هـ

<sup>4</sup> نفسه ص 94

### 3- مصطلح التأويل في الفكر الإسلامي:

إنّ الاتّساع في مفهوم التأويل كما ظهر في القرآن الكريم وتبلور في اللغة أسهم في انقسام علماء المسلمين إزاءه، إذ جعلوا يوجّهونه على أطر مذهبية دينية وأخرى لغوية وبلاغية، غير أنّ ما يلفت النظر أنّ علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم أخذوا ينظرون إليه في ضوء مصطلح التفسير، ذلك أنّهم التقوا إلى حالة التماهي بينهما، أو لتقل حالة التعالق بينهما؛ "فأبو عبيد يذهب إلى أنّ التفسير والتأويل بمعنى<sup>1</sup>. وهو أمر يذهب إليه أبو العباس أحمد بن يحيى"<sup>2</sup>.

أما الراغب الأصفهاني، فيذهب مذهبا مغايرا بقوله: أنّ التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر ما يُستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني.

### 3-1-1- مناهج المفسرين:

ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ الدراسة تهدف إلى البحث عن الأصول النظرية، والأطر العامة لقواعد التفسير في ضوء اللسانيات التداولية، أي أنّ غرضها البحث عن القواعد الكلية الكامنة في العملية التفسيرية، ومن مزايا المفاهيم الكلية قدرتها على تفسير جزئياتها المنطوية تحتها، مما يعني أنّ البحث غير مكلف بتتبع كل أقوال المفسرين<sup>3</sup>، ولا كل ما قاله الشيخ الشعراوي في خواطره، إلاّ نماذج متفرقة اختارتها الباحثة حسب المنهج المبرمج لهذه الأطروحة (الحجاج) ما ظهر من أوجه

<sup>1</sup> السيوطي جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، دار مصر للطباعة، ص 543.

<sup>2</sup> نفسه، ص 544.

<sup>3</sup> للزيادة والتفصيل، يرجع إلى: الذهبي (محمد حسين): التفسير والمفسرون، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، (محمد حلمي) المناوي، ط1

(1962) (ج3) وكذلك: غولدسيهر (أجتس) مذاهب التفسير الاسلامي، تر عبد الحليم النجار، دار إقرأ، الرملة البيضاء، بيروت لبنان، ط2،

. 1983

الإقناع أو الآليات، والأدوات الحجاجية والروابط، وقد اكتشفنا ميل الشيخ في عموم خطابه إلى المساءلة، فكل خبر ما هو إلا جواب على سؤال، ناهيك عن كثرة الأسئلة التي يطرحها الشيخ كيف يثبت أذهان متلقية على فكرة معينة يضمنها في السؤال، و ذلك قد استوحاه من ثقافة العصر، ومن طريقة تفكير مستمعيه في حلقات الذكر.

" لا وجود لنص خارج التفسير؛ فمن لحظة وجود النص يوجد المتلقي، وإذا كان النص أي نص يستدعي متلقيا مفسرا فكيف بنص جاء بيانا للناس وهدى إن آمنوا، وحجة وبرهانا عليهم إن هم كفروا به؟"<sup>1</sup> لقد توجه النص القرآني ابتداء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم للناس من أهل مكة (قريش) يطلب إليهم أن يؤمنوا بأنه من عند الله ليستجيبوا لما فيه من بيان وأحكام، فواجهه بعضهم بالتصديق والإيمان، وردّه آخرون بالكذب والكفران، ولكن المؤمن لم يكن ليؤمن إلا بعد فهمه والكافر لم يكن ليكفر إلا بعد فهمه، فهم مشتركون بين هاتين الفرقتين من المتلقين. إلا أن علم التفسير لم ينشأ إلا على قاعدة الإيمان بهذا الكتاب، فهو كلام الله وكتابه، لذلك تأسس هذا العلم (علم التفسير) لمقاصد إيمانية تعبدية غرضها فهم كلام الله لتدبر آياته والعمل بتوجيهاته، ولم يخلو هذا الفهم من أغراض أخرى ظهرت في سياق الفرق والمذاهب والاختلافات السياسية، فتحول الفهم من غرض التدبر إلى الاحتجاج الموجه. "والمفسرون ينطلقون في أفهامهم هذه من قواعد كامنة في عقولهم، تشتغل على مستوى العقل المكون لإنتاج تفسيراتهم وعلى مستوى العقل المنتج، فالبحث في قواعد التفسير بحث في العقل المنتج للتفسير. " ذلك أن الخطاب التفسيري، وإن لم يصرح بأدواته التأويلية فإنه كان يضمن - وهو يستنطق دلالات الخطاب

1 متقور عبد الجليل، النص والتأويل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 43.



القرآني -وعى ذلك أو غاب عنه، تفكيراً منهجياً أسهمت في تشكيله الأنساق والأجهزة المفاهيمية للحضارة العربية الإسلامية، التي يمكن عدّها الخلفية اللامرئية التي ينشأ المنهج في كنفها، فالمؤكد أنه ما كان للمدونة التفسيرية أن تنمو منذ القرن الثالث إلى القرن العاشر من غير أن تعتمد منهجية محدّدة لا يقع التصريح بها لكنّها تظل قائمة بشكل واع في أذهان المفسرين القدامى<sup>1</sup>. بمعنى أنّ التفسير في كلّ الأحوال وهو يبحث عن مدلولات القرآن كان يتكئ على نظام فكري، ونسق ثقافي، إنّها تلك الشبكة من الأفكار والقيم والرموز لهذا العلم أو ما يمكن تسميته -بقاعدة توازنه الداخلي- إنّها المفاتيح الأساسية المعتمدة بين الباحث والمتلقي في بناء التفسير واستيعابه. وهذه المفاتيح جزء منها قواعد التفسير وضوابطه وهي تملك قوّة مفهومية وطاقة إجرائية.

وفي هذا المقام لا يمكن الحديث عن منهج أو مناهج المفسرين في فهم النص القرآني من غير أن يثير هذا الحديث إشكالا - لتوسعه واستحالة إدراك نطاقه وتحديدّه - "فالمفسرون أكثر من أن تحيط بهم دراسة ومناهجهم متداخلة بالضرورة مع مناهج الأصوليين واللغويين، ومقولاتهم المنهجية في التفسير إمّا مضمرة في ثنايا تفسيراتهم، أو متأثرة بين كتب الأصول وعلوم القرآن والبلاغة"<sup>2</sup>. ولعلّ اهتمام العلماء بأصول الفقه وعلوم القرآن أغناهم - حسب ظنّهم - عن بحث قواعد التفسير كعلم منفصل إيماناً من أكثرهم أنّ غاية القرآن فقه أحكامه والتزام تكاليفه، إلا أنّ مقاصد القرآن أوسع من ذلك، وغاية التفسير تتجاوز حدّ الأحكام الشرعية وفقهها.

1 ينظر فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، ج2، ص 604.

2 منصور كافي، مناهج المفسرين في العصر الحديث، دار العلوم للنشر، عناية، 2006، ص 123.

ولكنّ اشتغال العلماء بالتفسير أكثر من اشتغالهم بالقواعد التي أقاموا تفسيراتهم بها يجعل البحث في القواعد كالغوص في عقول المفسرين للكشف عن آيات الفهم وقواعد تشكيكه، وهي عملية لا يزعم أحد يسرها، ولكن ما لا يدرك جلّه لا يترك كلّه، وإيماننا من الباحثة أنّ العلم تراكم وإنجاز على ما سبق، وليس عودة للمربع الأول في كل دراسة، فإنّ الدراسة ستجعل من كتب علوم القرآن وقواعد التفسير منطلقا لها، وخاصة تفسير الشعراوي.

### 3-2- التأويل عند الشعراوي:

يوضح الشيخ محمد متولي الشعراوي معنى التأويل، بعد تبيان معنى كل من (الحكم والمتشابه)<sup>1</sup>. وعن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ إِلَّا تَأْوِيلَهُ رَعِيبٌ وَمَا﴾، يقول: «إنّ الله لو أراد أن يكون محكما لجاء به من الحكم، إذن فإرادة الله أن تكون هناك آيات المتشابه ومهمتها أن تحرك العقول، وذلك حتى لا تأتي الأمور بمنتهى الرتابة التي يجمد بها عقل الإنسان عن التفكير والإبداع، والله يريد للعقل أن يتحرك وأن يفكر ويستنبط. . . وعندما يتحرك العقل في الاستنباط تتكوّن عند الإنسان الرياضة على الابتكار والرياضة على البحث، وليجرب كل واحد منا أن يستنبط المتشابه من الحكم وسوف يمتلك بالرياضة ناصية الابتكار والبحث، والحاجة هي التي تفتق الحيلة.

والعلماء لهم وقفات عند قوله الحق: ﴿اللَّهُ إِلَّا تَأْوِيلَهُ رَعِيبٌ وَمَا﴾، بعضهم يقف عندها ويعتبر ما جاء من بعد ذلك وهو قوله الحق: ﴿الْعِلْمِ فِي وَالرَّاسِخُونَ﴾ كلاما مستأنفا، إنهم يقولون: إنّ الله وحده هو الذي يعلم تأويل المتشابه، والمعنى: ﴿الْعِلْمِ فِي وَالرَّاسِخُونَ﴾؛ أي الثابتون في العلم، الذين لا تغريهم الأهواء، إنهم: ﴿رَبَّنَا عِنْدَ مَنْ كُلُّ بَيْتٍ أَمْنًا يَقُولُونَ﴾، وهو ما قاله الرسول

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج2/ 1276-1277.

صلى الله عليه وسلم؛ إنّ الرّاسخين في العلم يقولون: إنّ المحكم من الآيات سيعملون به، والمتشابه يؤمنون به، وكل من المتشابه والمحكم من عند الله.<sup>1</sup>

أما من عطف وقرأ القول الحكيم ووقف عند قوله: ﴿الْعِلْمِ فِي وَالرَّاسِخُونَ﴾، نقول له: إنّ الراسخين في العلم علموا تأويل المتشابه، وكان نتيجة علمهم قولهم: "آمنا به". إنّ الأمرين متساويان والمعنى ينتهي إلى شيء واحد، لأنه ساعة أن يأمر الأعلى الأدنى بأمر ويبين له علته فيفهم الأدنى ويعمل، وبعد ذلك يلقي الأعلى أمرا آخرًا ولا يبين علته فواحد ينفذ الأمر، وإن لم يعرف العلة وواحد آخر يقول: لا، عليك أن توضح لي العلة، فهل الذي آمن آمن بالأمر أو بالعلة؟

إنّ قيمة الإيمان أو عظمة الإيمان في تنفيذ بعض الأحكام وحكمتها غائبة، غائبة عنك، لأنك إن قمت بكل شيء وأنت تفهم حكمته، فأنت مؤمن بالحكمة، ولست مؤمنا بمن أصدر الأمر.

ويضرب لذلك الإيمان مثالا من الواقع المعاش لحم الخنزير الذي حرّمه الله منذ أربعة عشرة قرنا، ويظهر في العصر الحديث أنّ في أكل لحم الخنزير مضار، ويمتنع الناس عن أكله لأنّ فيه مضار، فهل امتناع هؤلاء أمر يثابون عليه؟ طبعا لا. يطرح سؤال حتى يشدّ الأذهان، ويجعلها تنبّه إلى خطورة قضية الإيمان - خاصة- وهم في زمن الآلة، والتطور العلمي والاكتشافات. ثمّ يجيب بالتفني، ويشرح الإجابة بالتأكيد على قضية مهمة، وهي قضية الداعية الذي يحاول أن يأخذ بيد الناس في هذا الزمن بقوله، لكن الثواب يكون لمن امتنع عن أكل لحم الخنزير، لأنّ الله قد حرّمه؛ لأنّ الأمر قد صدر من الله، حتى دون أن يعرفنا الحكمة، وزبدة الحديث تلخص في قول الشيخ: « إنّ

<sup>1</sup> أنظر: تفسير الشعراوي، ص 1280.

المؤمن بالله يقول: إن الله قد خلقني ولا يمكن - وهو الخالق - أن يخدعني وأنا العبد الخاضع لمشيئته»<sup>1</sup>.

#### 4- التأويل في الفكر المعاصر:

من تكلم عن التأويل وربطه بمنطق الشرعنة، علي الشعبان في مؤلفه الموسوم بـ " الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل": «تأسس العملية التأويلية عامّة داخل المجال التداولي العربي الإسلامي خاصة على مبدأ شرعنة ' الموجودات المفردة' والمنطقيات الخاصة التي يتضمنها كل منحى تفسيري/تأويلي. وهذه الشرعنة التي يعمل على تنفيذ مظاهرها الحجاج/المؤول، تجعل العقائد الأولية التي تستخرج من النص القرآني، عقائد ثابتة وتصوّرات محصّنة من كل الطعون بعيدة عن كل الشبهات»<sup>2</sup>، ويرسم خطاطة يبين فيها مناحي التفسير المنتخب في تطبيقه أو دراسته، وهي المجرى الأثري والمجرى النظري والمجرى الإشاري. ثم يواصل تعليقاته: «إنّ تعليقنا التأويل بمبدأ الشرعنة، يجعلنا نعتبر الفعل التأويلي فعلاً وظيفياً، شأن الفعل الحجاجي، كل يبني إمكاناً وقيم عالماً يدعو الجمهور للاعتقاد فيه والإقبال عليه، إقبال من أطاع وأذعن، آمن وسلّم بأنّ الحقائق الحاصلة والفتوح الآيلة إنما هي بشائر الخلاص من عنف الرّيب، وقلق الشكوك التي أقضت مضاجع الإنسان منذ تعقل وجوده على هول الفجيعة، فجيعة القتل وتلطّيح الأرض بالدماء

<sup>1</sup> خواطر الشعراوي.

<sup>2</sup> علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م، ص

(أسطورة قابيل وهابيل)، لذلك تاقت نفس كالمفسر/مؤول إلى المدائن الفاضلة يقيمها أوله المعتقد في الصّحة المطلقة والمعنى الأتمّ، كما تاقت نفسه إلى شرعنة وجوده التأويلي»<sup>I</sup>.

في هذا النصّ نجد التّطابق بين صفتي التفسير والتأويل، كما نجد توظيف مصطلح التأويل وربطه بالمقاصد والأهداف التي يتبناها كل مؤول.

وقد صور علي الشبعان المؤول أو المفسر بأنه يفرض سلطته على جمهوره المدعن، الطائع، المؤمن، المسلم. وهذا يشي بوجود نوع من التسلط و فرض الرأي والتوق إلى المدائن الفاضلة؛ غير أننا نخالفه الرأي على حد معرفتنا المتواضعة حول شخصية المفسرين وما تتميز به من تواضع، وثقة، واحترام لبعضهم، وإتباع لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه وتابعيه. فلم يرد في حقهم أي اختلاف، ولا تنافس على الدنيا بل في اختلافهم رحمة وتوسعة على الأمة.

# الفصل الثالث

## التداولية والحجاج

مباحث الفصل

- 1- نشأة التفكير التداولي.
- 2- تطور مفهوم الحجاج.
- 3- الحجة في السياق القرآني.
- 4- منهج القرآن في الاحتجاج على أهل الكتاب.

بعد تبيان حجاجية كل من الخطاب القرآني والخطاب التفسيري، نجد أنفسنا أمام التداولية، أي من معرفة دلالة النص إلى تداوله، أي جعله متداولاً بين الناس، مما يغذي روح التفاعل في نفوسهم.

### 1- نشأة التفكير التداولي:

تستعمل لفظة "برجماتية" كما هي في اللغة العربية دون ترجمة، كما توظف مترجمة بلفظه "نفعية" أو "تداولية"، وذلك لاهتمامها بكيفية تداول الكلام بين الأفراد، وكذا الأثر الذي يتركه فعل الكلام أثناء حدوث العملية التواصلية.

هذه اللفظة المذكورة في القرآن الكريم بصيغة المفاعلة التي تنطبق على معناها والمداولة، أي اشتراك طرفين في الحديث [تداولها بين الناس]، أي تنتقل من فئة إلى فئة أخرى أو من فرد إلى فرد، وفي الحكم من سلطة إلى أخرى أو من حزب إلى آخر، الآية:

﴿النَّاسِ بَيْنَ نُدَاوِلِهَا الْأَيَّامُ وَتِلْكَ﴾<sup>1</sup>.

لم يحدث اتفاق حول من هو أول من استخدم مصطلح 'التداولية' في اللغة العربية، والذي يقابل مصطلح 'Pragmatique' في اللغة الفرنسية و 'Pragmatic' في اللغة الإنجليزية. فهناك من يرى أن أول من سلك هذا المصطلح في البحث العربي هو طه عبد الرحمن، وذلك حسب قوله: "ومن الجملة ما فعلت أنني وضعت مصطلحات كثيرة تبناها زملائي عن رضى واقتناع علمي، منها المصطلح الذي تتداوله اليوم وهو التداول؛ فإني وضعت هذا المصطلح منذ سنة

---

<sup>1</sup>سورة آل عمران، آية 140.

1970م في مقابل 'Pragmatique' ولو أنّ التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية فضلوا على لفظة 'Pragmatisme' لسبب واحد، هو أنّها لا توفّي بالمقصود من علم التداول؛ فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة، تفيد تماما الممارسة وهي مقابل المصطلح التاريخي، وتفيد أيضا التفاعل في التخاطب في عملية تفيد التفاعل، ثم بالإضافة إنّها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها، تعني أنّ التداول سوف يرتبط بالدلالة، فإذن هذا هو التبرير العلمي الأوّلي لمصطلح التداول".<sup>1</sup>

### 1-1- مفهوم التداولية: 'Pragmatique'

أعطيت للتداولية تعاريف مختلفة، انطلاقا من كونها منهجا في التفكير، وكذلك لكونها تشكّل منهجا لسانيا جديدا يدرس اللغة من منظار يختلف عن منظار اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية التحويلية.

يرى جون ديبوا (Jean Du bois) أنّ: « الجانب التداولي للغة يتعلق بخصوصيات استعمالها (الحوافز النفسية للمتكلمين، ردّة فعل المخاطبين، النوع المجتمعي للخطاب، موضوع الخطابات... إلخ)، بالمقابل للجانب النحوي (الخواص الشكلية للأبنية اللسانية) والدلالي (العلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم)»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: البحث اللساني والسيميائي (ندوة)، الدلائل والتداوليات (أشكال حدود)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 1405هـ/1984م، ص 299. وعن عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 574. وهناك من يرى أنّ أول من استعمله هو أحمد المتوكّل، وهو أستاذ بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط بالملكة المغربية. وينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار الفصبة، الجزائر، 2000م، ص 176

<sup>2</sup>Jean du Bois et autres, Dictionnaire de l'inguistique P. 388.



كما أنّ « التداولية في اصطلاح المناطقة (الوضعيون الجدد)<sup>1</sup> بشكل خاص هي الاستعمال الذي يستطيع المتخاطبون أن ينجزوا به اللغة في تفاعل تواصلية، فالتداولية إذن تتميز عن علم التراكيب (قواعد تنظيم الرموز اللغوية)، وعن علم الدلالة (تأويل رموز اللغة من خلال وضعها في علاقة مع شيء آخر، كالواقع أو رموز لغة أخرى... إلخ والذي تعنيه (الرموز بشكل تواضعي)، إذ أنّه عند التبسيط والإسراف في المقاربات، فإننا سنضع التداولية في المستوى الذي سماه سوسير الكلام، بينما على التراكيب والدلالة، فسيرجعان إلى اللغة وعلاقتها مع الدلالات الذاتية<sup>2</sup>.

ونستنتج من خلال هذين التعريفين أنّ التداولية جزء مهم في فهم التواصل التفاعلي، ولعلّ ذكر الدلالة وعلم التراكيب في مقابل التداولية لدليل على أهمية كل جانب منها في دراسة اللغة وكيفية إنجازها بالفعل، وعدم استغنائها على أيّ من هذه الأركان الأساسية.

إضافة رولاند إيلوار (Roland Eluierd) يرى هذا الباحث أنّه من الإنصاف إدراج الإقصاءات التي ألحقها سوسير بالكلام، وترتب عليه إهمال الجانب المعرفي الذي يلقي الضوء على الكلام باعتباره يمثّل الجانب المادي الملموس من اللغة وهي:

(1) - الأفراد المتكلمين (المُخاطَب والمُخاطَب).

(2) - السياق الاجتماعي للغة والذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع حسب القدرة.

<sup>1</sup> وهم أصحاب فلسفة مستوحاة من نظريات المذهب الوضعي الجديد (Néopositivisme) وهو يمثّل فلسفة تجريبية منطقية ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، والتي ترفض كل ما يتعلق بما وراء الطبيعة أو ما يسمى بالميتافيزيقا، حيث يهتم بإعادة بناء الفلسفة بناءً على المنطق والتحليل اللغوي.

<sup>2</sup>R. Galisson et D. Coste et autres, Dictionnaire de didactique des langues, Librairie Hachette, 1979, P. 430.

(3) - الإنجاز الفعلي للغة، وذلك باستعمالها اليومي بين المتكلمين لتحقيق التواصل بينهم.<sup>1</sup> وهذه هي العناصر الأساسية التي يبني عليها الخطاب الحجاجي.

التداولية عند دومينيك مانغنو (Dominique Mainguenu)

يربط دومينيك مانغنو المعنى بالسياق انطلاقاً من اعتباره أنّ السياق هو الذي يستدعي الكلام. وبالتالي لا يمكن عزله عنه. ومن هذا المنطلق نجد يعرف التداولية بأنها « النظام الذي يدرس كيفية وضع عبارة ما ضمن سياقها؛ فهي خاصة بالعلاقات التي تقوم بين الأفراد المتخاطبين عبر عملية التعبير وبالعمليات التي يستخدمها المخاطب من أجل تعيين تفسير ما لعبارة داخل سياق محدد»<sup>2</sup>.

ونضرب لذلك مثلاً، لفظة (جذر)، إن ذكرتها أمام طبيب الأسنان يفهم من كلامك جذر الضرس، أمّا إن ذكرتها في جماعة الفلاحين، سوف يعود المعنى على النبتة أو الشجرة، أما في اللغة فلا بد أن المقصود هو الجذر اللغوي.

## 1-2- المنهج التداولي وأهميته:

تأتي أهمية المنهج التداولي انطلاقاً من اهتمامه بدراسة المنجز اللغوي داخل إطار التواصل ليس بمعزل عنه، وذلك لأنّ اللغة لا يؤدي وظائفها إلا فيه، فهي ليست وظائف مجردة،

---

<sup>1</sup>Voir : Roland Eluerd, La pragmatique linguistique, Edition Fernand Nathan, 1985, P. 9.

<sup>2</sup>Dominique Mainguenu, Aborder la linguistique, Edition du Seuil, Collections Mémo, Paris, 1996, P. 29.

وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز.<sup>1</sup>

وتأتي أهمية المنهج التداولي انطلاقاً من اعتبار الفلسفة البراغماتية التي تطلع إليها بعض علماء اللغة وعلماء المعنى بشكل خاص، إطار يمكن استخدامه لتفسير المعاني اللغوية المختلفة في مجال الحياة العامة بعدما عجز معظم علماء اللغة عن تناول المعاني<sup>2</sup> بشكل علمي واضح<sup>3</sup>.

إضافة إلى ذلك، فإن المنهج التداولي يعتبر حلاً لبعض المشكلات التي واجهت التحليلات اللغوية الشكلية، وذلك من وجهة نظر كل من المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطاباً يؤثر به في المرسل إليه، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل - كما يريد - عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ. وهذه الإجراءات لا تتبلور بطريقة تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفقاً لعناصر السياق<sup>4</sup>.

يعتبر المنهج التداولي في اللسانيات مناسباً إلى حد بعيد لتحليل الخطاب الإقناعي الدعوي، ومتابعة تداعياته في ميدان المجتمع والأسرة والتربية عموماً.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 23.

<sup>2</sup> وما يؤيد ذلك ارتباط الارتباط المرسل بالسياق الخارجي، إذ يستجيب له عند التلفظ بخطابه من خلال التنبه إلى ما يستلزمه، فيغدو معنى المفووظات هو القيمة التي تكسبها تركيب الخطاب في سياق التلفظ؛ أي أن المعنى المفظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما تتحكم فيه مستعملوها. وهنا لا تصور أنه سيكون هناك خطاب لغوي لا يعني فيه منتهجه بمرحلة التركيب، فالخطاب نسيج من اللغة في المقام الأول رغم أن الاستعمال هو ما يجعله فاعلاً. المرجع السابق، ص 22 و 23.

<sup>3</sup> ينظر: محمد سامي أنور، اتجاهات جديدة في دراسة المعنى اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد 22، المجلد السادس، ربيع 1986م، ص 223. وينظر المرجع نفسه، ص 575.

<sup>4</sup> Geoffrey Leech Principales of pragmatic, Longman London, 1983, PP. 35-36.

عن عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 24.

إن جوهر فكرة التداولية يكمن في اهتمامها بالمتكلم (Le locuteur) وكذلك بالسياق التعبيري (le contexte de l'énonciation) والآثار التي يخلفها فعل الكلام بين المتكلم والمستمع، لديهما مرجع مشترك، فالإتصال يمكنه أن يخفف بينهما رغم اشتراكهما في نفس القانون اللغوي، لأنّ العبارة تحمل جانبا من الكلام غير المعلن، ومعان ضمنية. وتلخص في النموذج الذي تقدّمه التداولية بالتعاون مع السياق ومتضمنات القول، يتمكّن المستمع من إصدار فرضيات حول قصد المتكلم. وعندما تصل مقصدية "آليات" (المتكلم) إلى "المتلقي" (المستمع) يتحقّق النجاح للعملية الاتصالية بينهما.

ويرى بيرس: «أنّ تصوّرنا لشيء ما يتألف من تصوّرنا لآثاره العملية؛ فالطابع الوظيفي للشيء هو الذي يحدّد تصوّرنا حوله، فالتيار الكهربائي مثلا لا يعني مرور موجة غير مرئية في مادة، وإنما يعني مجموعة من الوقائع مثل: إمكان شحن مولّد كهربائي أو يدق جرس، أو أن يدور آلة، وإذن؛ فمعنى لفظ 'كهرباء' هو ما تلفظه. ويبقى هم نظرية بيرس هو إثبات المعادل المادي للشيء حتى يتحقّق معناه، فمع أنّ الكهرباء غير مرئية، فلا يمكن أن ننفي وجودها، وإنما ننظر إلى آثارها العملية ولذلك رأى بيرس أنّ التصرّوات لا تنتج عنها آثار لا معنى لها»<sup>1</sup>، وبهذا التفكير يعد السيميائي الأمريكي 'شارل سوندرس بيرس' من الأوائل الذين أسّسوا لنشأة التداولية إلى جانب

<sup>1</sup> منفور عبد الجليل، علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي -دراسة-، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 101-

Voir : Gilles Siouffi et Dan Van Raemdonck, La pragmatique, 100 Fiches pour comprendre la linguistique, Fiche 22, Edition Bréal, P. 50.

عن: صورية بوكخة، المصطلح الإعلامي العربي -دراسة في ضوء اللسانيات التداولية بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللغة والاتصال، جامعة وهران.

ميخائيل باختين (M. Bakhtine) (1895-1975)، في دراسات فلسفة اللغة التي أسماها (فيما بعد اللسانيات)، ومنها اهتمامه بجملة من المكونات المتمثلة في المقام والمعنى، وعلاقات الخطاب بمنتيه، والفيلسوف 'تشارل موريس' اهتم بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاث فروع وهي:

1- التركيب أو النحو (Syntax): وهو دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات ببعضها .

2- الدلالة (Semantic) وهي: دراسة العلاقات بالأشياء التي تؤول إليها .

3- التداولية (Pragmatic) وهي: دراسة علاقة العلامات بمستعملها ومؤوليها.<sup>1</sup>

وهذا ما سوف نفضّل فيه في دراسة المعنى في الخطاب القرآني في الفصل اللاحق،  
التناسق بين الآيات في السورة الواحدة والسور في القرآن الكريم وأسباب النزول والتأويل والتفسير والإعجاز... إلخ.

### 1-3- البعد التداولي للخطاب:

يهتم هذا البعد باللغة في صورتها المادية المنجزة وبالظروف التي يتم في ظلها إنتاج الكلام وبالتأثيرات التي يحدثها هذا الكلام على المتلقي، كما تهتم بالمتكلم والمستمع وبأسباب إنتاج الكلام وخلفياته ووظائفه... إلخ

---

<sup>1</sup> ينظر: بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 21. Stephen C.,LeVinsonc, Cambridge University Press,

من حيث البعد التواصلية:

يدرس كيفية حدوث التفاعل بين الأطراف المتخاطبة ويحدد العوامل التي من خلالها يصبح هذا التفاعل ممكناً، والاتصال ناجحاً بالإضافة إلى الإعلام الذي يشكل فرعاً من مجال أوسع وأكبر، ألا وهو مجال الاتصال. ومنه فإن استثمار أهم المفاهيم والمبادئ الخاصة بكل من هذين البعدين، سوف تتبعها فيما يلي:

من حيث البعد التداولية:

لقد انطلق سويسر أثناء دراسته للغة من واقعها الداخلي<sup>1</sup>، كما سماه أتباعه بالواقع اللغوي *réalité linguistique* حيث نظر إلى اللغة بأنها "نظام نحوي موجود بقوة في كل دماغ"<sup>2</sup> وعليه، فإن دراسته لها هي دراسة صورية تجريدية تقصي كل ما له علاقة بواقع اللغة الخارجي: *la réalité extra linguistique*<sup>3</sup> لكونه مجالاً مادياً يتعارض مع مبدأ الدراسة

البنوية التي تعتبر أن اللغة "شكل *Forme* وليست مادة: *substance*"<sup>4</sup>

إلى جانب عدم اهتمام سويسر بدراسة الكلام باعتباره تأدية فردية خارجه عن نطاق اللغة، وبالتالي فإن سويسر هو أول من رأى للغة واقعين، واقع داخلي وواقع خارجي.

أما الواقع الداخلي فيشترك فيه كل من المدرسة البنوية (أتباع دو سويسر)، والمدرسة التوليدية التحويلية التي أسسها نوام تشومسكي (1928-Noam chomsky)، رغم الاختلافات

<sup>1</sup>Voir, Ferdinand de Saussure , cours de l'inguistique générale ,PP 29-40,41.

<sup>2</sup> Ibidem, p30.

<sup>3</sup>نعت بالواقع الخارجي المدى اللغوي والعوامل التي لا تنتمي إلى النحو بشكل خاص، بل إلى استعماله من خلال إنتاج وفهم العبارات: "وهذه

العوامل هي ما يتصل بالمتكلم ويقام الكلام" Jean du bois et autre dictionnaire de l'inguistique , librairie

Larousse , Paris ,1973, p204

<sup>4</sup>Voir, Ferdinand de Saussure , cours de l'inguistique générale ,P 169.

الكبيرة بينهم، وأما الواقع الثاني فيتمثل في الواقع الخارجي، وهو المذهب الذي تتبناه اللسانيات التداولية إذ ينطلق في مبدئه من الدراسة المادية الملموسة للغة والتي تولي أهمية بالغة للكلام باعتباره مرتبطا بأغراض تواصلية، والذي يلغي كل ما جاءت به اللسانيات البنوية، حيث ينبغي الانتباه الى الفرق بين النقد التشومسكي (نقد التوليديين)، الذي وجهه الى البنوية من داخلها محتفظا بتبنيه لكثير من مبادئها العامة ونقد التداوليين الذي اتجه إلى رفض منهج البنوية اللساني من أساسه.

## 2- تطور مفهوم الحجاج:

لا شك ونحن نحاول تقديم نظرية الحجاج بأننا سوف نصادف مصاعب جمة تحول بنا دون الإلمام بالمفهوم إماما كاملا، إن لم نقل استحالة تحقيق ذلك على الوجه الأكمل الذي يقتضيه عملنا، وذلك لسبب رئيسي وهو استمرار هذه النظرية في التأسيس والتشكل حتى تاريخ إنجاز هذا العمل.

فهي نظرية لم تتعلق بعد، بل نراها تشهد كل يوم ظهور مؤلفات جديدة تغني وتثير الأسئلة من حولها، بالإضافة إلى وجود خلافات في صلب هذه النظرية واختلافات بين الخائضين في شأنها تصل أحيانا إلى حدّ التعارض والتناقض الصريحين.

وستناول في هذا العمل مفهوم الحجاج ومجالاته وأهم القضايا التي يطرحها، لاسيما علاقته بمختلف الحقول، فالدراسات البلاغية شهدت منذ الستينات نهضة بها استعادت مكانتها في عالم المعرفة، بعد ركود دام فترة طويلة، غير أنّ هذه الدراسات وهي تحقق هذه الاستفاقة وتستعيد

تلك المنزلة، قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمباحث التداولية والحجاجية التي تدخل صلب تحليل الخطاب.

هذه الملاحظات تستوجب منا تنزيل الحجاج في نطاق المدرسة العامة التي ينتمي إليها وفيها يتنزل، تلك التي تشابكت جذورها وتعددت فروعها، تقول سامية الدريدي "المدرسة البراغماتية التي يخص ذلك المذهب اللغوي التواصلية الجديد، فالبراغماتية تعني في الفرنسية (كل ما هو مادي محسوس مطابق للحقيقة)، في حين يعني في الإنجليزية: (وهي لغة أغلب النصوص المؤسسة لهذه النظرية والتي تعني ما له علاقة بالأفعال والأحداث الواقعية، حيث قام بتأسيسها كل من اوستن (Austin) (1911-1960) وتلميذه سيرول (Searle))."<sup>1</sup>

## 2-1- الكلمة بين المعنى المعجمي والمعنى الحجاجي:

تنقسم الكلمات في اللغة العربية إلى أقسام مختلفة، فمنها ما يفيد التقويم الموضوعي، ومنها ما هو عقلي، ومنها ما هو عاطفي ذاتي، كما أن اللغة عبارة عن كلمات كثيرة ذات مقتضى معجمي تحمله في ذاتها ولا يزودها به السياق الذي تستخدم فيه بل الأمر على العكس من ذلك، فهي التي من شأنها، بفضل ذلك المقتضى الذي تحمله، أن تجعل للسياق وقعا معنويًا ( Effet de sens ) خاصاً<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر : سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن 2011، ط/2، ص 17.

<sup>2</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط2، 2007، ص 71



## 2-2- مفهوم الحجة في اللغة والاصطلاح:

2-2-1- الحجة في اللغة: الحجة بالضم هي اسم على وزن فعلة: وهي ترد في اللغة

على معان مختلفة فالحجة هي البرهان<sup>1</sup>

والحجة: ما دفع به الخصم<sup>2</sup>

والحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة<sup>3</sup> قول حاجة فحجه، أي غلبه بالحجة وفي المثل

"لج فحج"<sup>4</sup>

والحجة: الدليل. قوله تعالى: ﴿أَجْمَعِينَ لَهْدَ نُكْمٍ شَاءَ فَلَوْ أَلْبَلِغَةَ الْحُجَّةِ فُلِّلَهُ قُلٌ﴾<sup>5</sup>

الدليل القاطع الذي لا يعارضه معارض.

وقال أهل اللغة: سميت الحجة بهذا الاسم لأنها تحج، بمعنى تقصد<sup>6</sup> وأنه يقصد بها الحق المطلوب<sup>7</sup>

وتجمع حجة على: حجج وحجاج.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، (228/2)، وأنظر الجوهري، الصحاح، مادة (حجج)، (450/1)، وأنظر الكهوي، الكليات، ص406.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، (228/2).

<sup>3</sup> المرجع السابق، مادة (حجج)، (227/2).

<sup>4</sup> الجوهري، الصحاح، مادة (حجج)، (450/1).

<sup>5</sup> الأنعام: الآية 149.

<sup>6</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، (228/2).

<sup>7</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (حجج)، (30/2).

<sup>8</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، (228/2).

والناظر في المعاني السالفة للحجة، يجد أنه لا اختلاف بينها أو تناقص، بل هي متكاملة ومؤتلفة؛ إذ يمكننا أن نجمع بين هذه المعاني لتأليف معنى واحد على النحو التالي: إن الحجة هي البرهان والدليل الذي يتخذه المخاصم، لأجل دفع خصمه وغلبته في الخصومة. وإنما جاء اختلاف المعاني التي ذكرها علماء اللغة لأنهم كانوا يطلقون الحجة على الوسيلة (البرهان والدليل)، وتارة على الهدف منها وهو دفع الخصم والتغلب عليه.

## 2-2-2- الحجة في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للحجة اختلافا كبيرا عن المعنى اللغوي لها، فقيل: الحجة هي الموصل إلى التصديق<sup>1</sup>. أي أنها طريق يوصل إلى الغلبة على الخصم وحمله على اليقين والإقناع.

وقيل: الحجة هي "برهان أهل الحق والدلالة المبينة للمحجة، أي المقصد السليم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين"<sup>2</sup>

وقد عرف التهانوي في الكشاف الحجة الإلزامية بأنها: "المركبة من المقدمات المسلمة عند

الخصم المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته"<sup>3</sup>

يبدو الالتقاء واضحا بين المعنى اللغوي للحجة والمعنى الاصطلاحي لها.

---

1 أحمد شكري، دستور العلماء، (11/2).

2 المشاوي محمد عبد الرؤوف، (ت1021 هج)، التعريف، جزء واحد، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، بيروت- دار الفكر المعاصر.

3 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، (1/388).

## 2-3- الحجاج ومصطلحات أخرى:

عند حديثنا عن المعنى الاصطلاحي للحجة، ورد في بعض التعريفات -كتعريف التهانوي:- ما يشير إلى أن الحجة على مراتب، حيث ذكر منها الحجة الإلزامية وقال: «هي المركبة من مقدمات مسلمة عند الخصم»<sup>1</sup>.

وهذا ما يقتضيه المنطق والعقل السليم، إذ ليس كل حجة تُطرح تكون مقبولة، ولا كل حجة مقبولة تكون مساوية للأخرى في القوة، بل هي على مراتب، وقد عدّ العلماء خمس مراتب من الحجج بعضها مقبول والآخر مرفوض. وهذه الحجج هي: الحجة الخطابية والحجة البرهانية والحجة الجدلية والحجة الشعرية والحجة المغالطية أو السوفسطائية. وفيما يلي عرض تفصيلي لهذه الأنواع.

### 2-3-1- الحجة الخطابية:

وهي الحجة التي لا تلزم الطرف الآخر الأخذ بها، لأنها غير ملزمة الصدق في الكلام، وهي تفيد ظنا راجحا مقبولا، لأنها تعتمد على مقدمات ظنية؛ يقول الميداني: وقد اعتمد القرآن هذا النوع من الحجج، كحجج مضافة إلى الحجج البرهانية والجدلية حول توحيد الألوهية.<sup>2</sup>

ومن الحجج الخطابية في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿فَأَنْتُمْ رَزَقْتُمْ مِمَّا فِي شُرَكَاءِ مِنْ أَيْمَانِكُمْ مَلَكْتُمْ مِمَّا مِنْ لَكُمْ هَلْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ مَثَلًا لَكُمْ ضَرْبٌ﴾<sup>3</sup> ﴿يَعْقِلُونَ لِقَوْمٍ أَلَيْتُمْ نَفْصِلُكُمْ كَذَلِكَ أَنْفُسِكُمْ كَخَيْفَتِكُمْ تَخَافُونَهُمْ سَوْأَ فِيهِ﴾.

<sup>1</sup> كشف اصطلاحات الفنون كتاب ألفه بالفارسية والعربية محمد بن علي التهانوي الهندي. ترجم كاملا تحت عنوان موسوعة كشف اصطلاحات

الفنون والعلوم، وأشرف على ترجمته رفيق العجم وعلى تحقيقه علي دحروج وعلى نقل النص الفارسي إلى العربية عبد الله الخالدي وعلى الترجمة

الأجنبية بالفرنسية والإنجليزية جورج زباني. نشرت مكتبة لبنان الطبعة الأولى

<sup>2</sup> ينظر: الميداني، ضوابط المعرفة، ص 301.

## 2-3-2- الحججة البرهانية:

هذه أعلى مراتب الحجج، ولذلك تسمى أيضا بالبرهان، والبرهان هو أكد الدلالة وقد تسمى أيضا بـ "القياس البرهانى"<sup>2</sup>، وتتألف هذه الحججة من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة مقبولة<sup>3</sup>، فهى إذن مفيدة لليقين الجازم<sup>4</sup> الذى لا يتطرق إليه أدنى احتمال أو شك، لأن النتيجة تتبع المقدمة، فإذا كانت المقدمة يقينية كانت النتيجة يقينية كذلك، فلو قلنا: من قدر على إنشاء شىء ابتداء، قدر على إنشائه مرة أخرى، فالنتيجة إذن: يكون قادرا على إنشائه مرة أخرى. والقرآن الكريم قد تضمن هذا النوع من الحجج لدحض الجاحدين والمنكرين.

ومن الأمثلة على الحجج البرهانية فى القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿تَعُودُونَ بَدَأَكُمْ كَمَا﴾<sup>5</sup>، وقوله: ﴿عَلِيمٌ خَلَقَ كُلَّ وَهُوَ مَرَّةً أَوَّلَ أَنْشَأَهَا الَّذِى يُحْيِيهَا قُلْ﴾<sup>6</sup>.

ففى هاتين الآيتين يسوق الله عز وجل حججا برهانية فى الرد على من أنكروا البعث يوم القيامة، ويمكننا صياغة هذه الحججة على النحو التالى: كل قادر على الخلق، قادر على إعادته، فالله إذن قادر على الخلق من جديد.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> سورة الروم، الآية 28

<sup>2</sup> ينظر: ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوى، الجزء 37، كتاب المنطق، طبعة الملك فهد بن عبد العزيز، ص 9-10.

<sup>3</sup> ينظر: الميداني، ضوابط المعرفة، ص 298.

<sup>4</sup> ينظر: جريشة، أدب الحوار والمناظرة، ص 129.

<sup>5</sup> سورة الأعراف، الآية 29.

<sup>6</sup> سورة يس، الآية 79.

<sup>7</sup> ينظر: الميداني، ضوابط المعرفة، ص 299.

ويلاحظ في هذه الحجة أن مقدماتها كانت يقينية، فقضية الخلق عيانة مشهودة، وفي كل يوم تتكرر، فلا مجال للشك فيها أو المجادلة، فإذا ثبت قدرة الله تعالى على الخلق أول مرة - وهذا علم يقينا - ثبت قدرته على إعادة الخلق من جديد يقينا، لكن الكفار - مع يقينهم بهذه المقدمات التي ساقَت إلى النتيجة - وفضول النتيجة التي أفضت إليها تلك المقدمات، وهذا هو السفه بعينه، والجحود والعناد الذي لا يصدر إلا من اتبع الهوى وحجب العقل على أداء وظيفته وصدق الله حيث قال فيهم:

﴿الْمُفْسِدِينَ عَقِبَهُ كَان كَيْفَ فَانظُرْ وَعُلُوًّا ظَلَمًا أَنْفُسُهُمْ وَأَسْتَيْقَنَتَهَا يَا وَجَحْدُوا﴾<sup>1</sup>.

### 2-3-3- الحجة الجدلية:

هذه المرتبة الثانية من مراتب الحجج، وقد يسميها بعضهم بـ "القياس الجدلي"<sup>2</sup>؛ وهي الحجة المؤلفة من مقدمات تكون مشهورة بين الناس، ويعتقدون بها اعتقادا مقاربا لليقين، فلا يشعر الذهن لأول النظر فيها أن نقيضها ممكن، فالكل إذن يسلم بهذه المقدمات ويعرفها، لكن هذه المقدمات لا ترقى في الحقيقة إلى مرتبة اليقين التام. لذلك تأتي في مرتبة من دون مرتبة الحجة البرهانية، فهي إذن أعلى مرتبة من الظن الراجح ودون مرتبة اليقين.

وهذا النوع من الحجج هو ملزم، لأن مقدماتها شبه يقينية، فلا مجال للجدل فيها، فقضية العدل الإلهي الذي سبق كمقدمة للاستدلال به على ضرورة اليوم الآخر، هي قضية مسلم بها، ويعتقدها الجميع مسلمون وكفار، وإنما نزلت عن درجة اليقين لأن قضية العدل الإلهي - وإن كان

<sup>1</sup>سورة النمل، الآية 14.

<sup>2</sup>ينظر: ابن تيمية، المنطق، ص 10.

يُقرُّ بها الجميع- تبقى قضية معنوية غير ملموسة، ومن هنا كانت الحجة الجدلية في مرتبة أعلى من الظنِّ الراجح وأدنى قليلا من اليقين.

ويضع الشعراوي كلمة (الجدل) في سياقها التداولي بقوله: "الجدال هو قول كلام يقابل كلاما آخر، والقصد عند كل طرف متكلم أن يزحزح الطرف الآخر عن مذهبه بحجة أو شبهه، بهدف إسقاط المذهب"<sup>1</sup>. وقد انتشرت هذه الفرق الدينية في عصر الشعراوي، ولم تكن على ذات العلاقة التي كان عليها أسلافنا من أصحاب المذاهب، حيث كانت عندهم علاقة توافق وتكامل، وأصبحت في هذا العصر مبنية على التنافر والخصام.

## 2-3-3-1-الجدل والحجاج:

الجدلهو مناقشة طرفين يتقاسمان الكلام بهدف أن يقنع أحدهما الآخر، بأن ينصرف عن مذهبه هو إلى مذهب القائل.

والجدل يختلف عن المراء، لأنَّ الجدال إنما يكون مع الحق، والمراء يكون بعد ظهور الحق. والجدل إذن مطلوب، والحق سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿أَحْسَنُ هِيَ بَالَّتِي وَجَدَلْتَهُمْ<sup>2</sup>،

وكذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿يُرْسِمِ اللَّهُ أَنْ تَحَاوِرُوا كَمَا يَسْمَعُ وَاللَّهُ إِلَىٰ وَتَشْتَكِي زَوْجَهَا فِي تُجَدُّ لَكَ الَّتِي قَوْلَ اللَّهِ سَمِعَ قَدْ﴾

﴿بَص<sup>3</sup> ويتابع قائل: « وهناك بجانب الجدال والمراء والاحتكاك والتحكك والحجاج والمراد

<sup>1</sup> خواطر الشعراوي، تسجيل صوتي

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، في تفسيره للآية 32 من سورة هود، ص 6446.

<sup>3</sup> سورة المجادلة، الآية 1

بالحجاج هو إظهار حجة الخصم على الخصم<sup>1</sup>. غير أن الحجاج يتميز عن هذه المعاني، بأنه يخدم الفكر والمجتمع، وليس سطحيا.

وفي النهاية نخلص إلى نتيجة مفادها: أن الجدل يكون تارة بالحق وتارة أخرى يكون بالباطل، وهذا ما يثبت العقل والنقل، لكون جدل القرآن هو براهينه وأدلته التي اشتمل عليها، حيث يأتي قاسيا ومصحوبا بالوعيد عند جداله للمناققين.

وعليه فإنّ الجدل حاجة فكرية وعلمية لتقرير مبادئ الدين، والجدل هو أداة لدفع شبهات أهل الزيغ والضلال.

فالحجاج يأتي بمعنى البرهان، كما قد يأتي بمعنى الجدل، ف « الحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل مُحجاج أي جدل. والتجاج: التخاصم والحجة الدليل». <sup>2</sup> وهناك تداخل بين الحجاج والجدل، لدرجة الالتباس، وقد استعمل بعض العلماء مصطلح الجدل بدل الحجاج، ولا يفرق بينهما.

والجدل هو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة هي المناظرة والمخاصمة وهو نوعان، حسبما ورد في القرآن الكريم:

ما هو إيجابي كقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ هِيَ بِلَّتِي وَجَدِلْتُهُمْ<sup>3</sup>﴾.

وما هو سلبي، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ فِي تَجَدُّوتِهِمْ<sup>1</sup>﴾.

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 6448

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، (دار نوبليس للنشر والتوزيع)، ط1، 2006/6، ص. 62.

<sup>3</sup> سورة النحل، الآية 125.

« وقيل الأصل في الجدل هو الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة»<sup>2</sup>، ثم أصبحت صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها، حيث برز محمد حسين فضل في كتابه: الحوار في القرآن، "عنون كتابه بالحوار؛ بدل الجدل من أن الجدل تحوّل إلى صناعة قد يقصدها كثيرون لذاتها، من أجل التدريب على الأخذ والردّ والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري... ليعطّل قوة خصمه، لا ليوصله إلى الحقيقة أو ليوصله ليصل إلى قناعة"<sup>3</sup>. وهو بالضبط الخيط الدقيق الذي يفصل بين الجدل والحجاج.

وهنا يكمن الفرق الجوهرى بين الحجاج والبرهان أو الاستنباط - الذين يقدمان في نسق معطى بكونهما غير قابلين للدحض-فإنّاتج الحجاج تشتمل على معرفة قبلية، أي أنها غير متضمنة في المقدمات، بعكس البرهان الذي نستطيع القول إعادة للمقدمتين، أي أنّ النتيجة متضمنة في إحداهما (الكبرى والصغرى).

ويمكن التمثيل لهما بالمثالين التاليين:

استدلال برهاني: كل اللغويين علماء (مقدمة كبرى)

زيد لغوي (مقدمة صغرى)<sup>4</sup>

إذن زيد عالم (استدلال برهاني)

استدلال حجاجي: انخفض ميزان الحرارة إذن سينزل المطر

<sup>1</sup> سورة الرعد، الآية 13.

<sup>2</sup> محمد علي نوح قوجيل، أصول الجدل وآداب الحاجة في القرآن، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية والعالمية، طرابلس، 2001، ص 41.

<sup>3</sup> محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، (د. ط)، ج1، دار المنصورة، قسنطينة، (د. ت)، ص 20.

<sup>4</sup> محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص 108.



فالنتيجة في الاستدلال الأول حتمية وضرورية لأسباب منطقية وهي أنها محتواه في إحدى المقدمتين، أما الاستدلال الثاني، فالنتيجة فيه احتمالية ونسبية، فانخفاض ميزان الحرارة شرط كاف لنزول المطر وليس شرطاً ضرورياً، كما أنّ النتيجة تعتمد على المعلومات الواردة في المقدمة، بالإضافة إلى معرفة العالم.<sup>1</sup>

### 2-3-3-2- البرهان والحجاج:

غالباً ما نجد أنّ اصطلاحاً حججاً وبرهاناً يردان في كثير من الأحيان بصفتها مرادفين تابعين، حيث ينوب أحدهما عن الآخر، بل غالباً ما يستعملان بصفتها مصطلحاً واحداً، إلا أنّ ثمة فرقاً بين الحجج الذي يصطلح عليه بالفرنسية (L'Argumentation) والبرهان الذي يصطلح عليه (Ladémonstration).

### 2-3-3-3- الدلالة اللغوية للبرهان:

وجدنا بعد تصفح العديد من المعاجم أنّ الجذر اللغوي لكلمة برهان هو بَرَهَ والنون غير أصلية، قال الزمخشري: « بَرَهَ عنده برهنة من الدهر... أو أبره فلان جاء بالبرهان، وبرهن مؤكِّدٌ، بيان البرهنة والبرهان، الحجة وإيضاحها من البرهنة وهي البيضاء من الجوارح<sup>2</sup>».

---

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 108.

<sup>2</sup> أساس البلاغة، مادة (بره). جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت - لبنان

بينما ابن منظور يرى: « أن النون في البرهان ليست أصلية عند الليث، أما قوله برهن فلان إذا جاء بالبرهان، فهو مولد والصواب أن يقال أبره فلان إذا جاء بالبرهان»<sup>1</sup>.  
انطلاقاً من هذين التعريفين لمادة (بره) نلاحظ أن أصل هذه النقطة مولدة على عكس مادة (حجج)، التي تواترت في جملة من المعاجم اللغوية، وهذا يعني أن الحجاج مصطلح أصيل في تراثنا على خلاف البرهان.

### 2-3-3-4- التمييز بين الحجاج والبرهنة:

نجد فروقا دقيقة بين المصطلحين من عدة جوانب نذكر منها:

(1) - الصدق والكذب: فالبرهنة تتعلق بالصدق والكذب وتهدف إلى إثبات قضية، بينما تهدف الحاجة إلى التأثير على الرأي يقول روبير بلانشي: « ففي البرهنة شيء لا يتأثر لا بالأشخاص ولا بالزمان، أما الحاجة على العكس، فهي تتوجه إلى إنسان لإقناعه»<sup>2</sup>. ومنه نخلص إلى نتيجة مفادها: أن كل ما هو حجاجي، ينجح إلى طبيعة وتلقائية، وعدم التكلف في النتائج، لأن هدفه الإقناع.

(2) - التأثير: يجب أن تميّز بين الحاجة والبرهنة على أساس أن « البرهنة توجب إذعان العقل، أما الحاجة، فهي تستهدف إذعان الإرادة»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (بره).

<sup>2</sup> روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود يعقوبي، دار الكتب الحديث، الجزائر، 2003، ص 302.

<sup>3</sup> نفسه، ص 302.

ويقول بلانشي في موضع آخر: « الاستدلال البرهاني يؤدي إلى نتيجة، بينما الاستدلال الحجاجي يريد أن يبرر قراراً<sup>1</sup>. إن الحجاج قدرة تبريرية تطبيقية لقرار من القرارات المتخذة، بحيث يتم اختيارها عن طريق امكانية من الامكانيات، في القدرة على اتخاذ قرار، مرتبطة بوضع السياق، أو المجال الذي تتخذ فيه هذه القرارات، بشكل يستجيب للمطلوب.

أما مانغونو (Maingueneau)، فيقول: " عادة ما تقابل الحجاج بالبرهنة تقتضي مسعى مكان ظهور الحقيقة، بواسطة تسلسل ضروري، وذلك انطلاقاً من قضية مسلّمة على خلاف الحجاج الذي يطبق في اللغة الطبيعية ويستعمل كل الوسائل التي من خلالها نذود عن قضية محتملة"<sup>2</sup>.

هنالك فرق بين البرهنة والحجاج، حيث أنّ مجال البرهنة هو اليقينيّات والانطلاق يكون فيها من قضية مسلّمة على عكس الحجاج الذي هدفه إذعان المتلقي.

2-3-3-5- الخصام:

الخصم مصدر. خصمته: يقول الزمخشري محدداً الخصام: « وأخصم صاحبه لقنه حجة حتى خصم، وخاصمه مخاصمة وضعه في خصم لفراش وهو جانبه<sup>3</sup>. المخاصمة تعدو الجانب المعنوي، إلى الجانب الانفعالي، مما يدفع إلى العنف الذي لا تحمد عقباه.

<sup>1</sup> نفسه، ص 310.

<sup>2</sup> Dominique Maingueneau, Analyse du discours, Nouvelle édition Hachette, 1991, P. 228.

<sup>3</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (خصم).

« نازعته خصما . يقال خصمته وخصمته مخاصمة وخصاما . . . وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه »<sup>1</sup>.

وانطلاقا من أصل هذه المادة، تبين أن: الخصام يرادف الجدل، لكنه يقترب في غالب الأحيان بالمخاصمة، أُوردَ في مواضع عدة في القرآن الكريم والغالب على معناه أنه مذموم، وهذا ما ذهب إليه فؤاد عبد الباقي في قوله: « خاصمه خصاما، نازعه وجادله، فهو مخاصم وخصيم »<sup>2</sup>. والفرق بين الخصام والحجاج أن الأول مذموم والثاني مهذب ومطلوب؛ ونجد في القرآن الكريم الدعوة إلى الاقتناع بالتي هي أحسن.

## 2-3-3-6- النزاع:

من ألفاظ الحجاج أيضا النزاع الذي يدل على المخاصمة شقاق، فقد أتى ذكر هذه اللفظة في جملة من المعاجم اللغوية وجدنا المعجم الأم (لسان العرب) يعرفه قائلا: "نزع الشيء ينزعه نزعا والنزاعة والمنزعة والمنزعة، الخصومة والمنازعة في الخصومة"<sup>3</sup>.

وقد تضمن القرآن الكريم هذا النوع من الحجج، ومن الأمثلة عليه في القرآن الكريم، الحجة التي ساقها الله تعالى للاستدلال على ضرورة اليوم الآخر بصفة العدل التي يتصف بها الخالق جلّ وعلا، وأن من مقتضى العدل عدم التسوية بين المسلمين والمجرمين في المصير والجزاء، بين الذين آمنوا

<sup>1</sup> الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المطبعة الميمنية، مصر، (د.ت)، مادة (خ ص م).

<sup>2</sup> فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مجمع اللغة العربية، مصر، 1970، ص 302.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزع).

وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض»<sup>1</sup>. قال تعالى:

﴿تَحْكُمُونَ كَيْفَ لَكُمْ مَا﴾ <sup>٢٥</sup> ﴿كَالْجُرْمِينَ الْمَسْمُومِينَ أَفَنَجِّعُ﴾<sup>2</sup>.

وقال:

﴿كَالْفَجَارِ الْمُتَّقِينَ نَجِّعُ أُمَّ الْأَرْضِ فِي كَالْمُفْسِدِينَ الصَّالِحَاتِ وَعَمِلُوا أَمْنُوا الَّذِينَ نَجِّعُ أُمَّ﴾

وقال:

﴿كُرُون مَاقِيلًا الْمَسِيءَ وَلَا الصَّالِحَاتِ وَعَمِلُوا أَمْنُوا الَّذِينَ وَالْبَصِيرُ الْأَعْمَى يَسْتَوِي وَمَا﴾

﴿تَتَذٰٓ﴾<sup>4</sup>.

ففي هذه الآيات ردّ مفحم على كل من ينكر البعث ويستبعد وقوع الساعة، حيث أقام الله تعالى عليهم الحجة 'بمقتضى العدل' الذي يُقرّ به الجميع، وبين لهم أنّ من مقتضى العدل الإلهي عدم التسوية بين المجرم العاصي والمؤمن الطائع وأنّ القول بالتسوية بينهما في المصير حكم لا يصدر إلاّ من طراً على عقله خلل في التفكير أو ابتلي بسفه العقل وفساد الرأي.<sup>5</sup>

2-3-3-7- المرء:

<sup>1</sup> ينظر: الميداني، ضوابط المعرفة، ص 300.

<sup>2</sup> سورة القلم، الآيتان 35-36.

<sup>3</sup> سورة ص، الآية 28.

<sup>4</sup> سورة غافر، الآية 58.

<sup>5</sup> أنظر: الألويسي، روح المعاني، الآيتان 29 و 33.

تَمَّا لاشك فيه أن المرء شأن الألفاظ السالفة الذكر يدخل في الحقل الدلالي للحجاج، وهذا ما سنحاول أن نتطرق إليه وذلك بعرض بعض التعاريف الواردة في ثنايا المعاجم اللغوية .  
فعند الراغب الأصفهاني: « الامتراء والممارسة، الحاجة فيما فيه مرية، أي النزاع فيما فيه شك وريبة .

وذهب الزمخشري إلى أن: « مريت الناقة وأمريتها، حلبتها فأمرت، وناقة مريٌ درورٌ . . . مري في الأمر وامترى وتمارى وما فيه مرية ومرية شك، وماريته ممارسة جاذبته ولاججته»<sup>1</sup>.  
وفي هذا السياق ندرج قول ابن منظور: «وماريت الرجل أماريه مرء، إذا جادته والمرية والمرية الشك والمرء، والممارسة والجدل . . . والتمازي والممارسة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال: للمناظرة ممارسة لأن كل واحد منهما سيتخرج ما عند صاحبه، ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع»<sup>2</sup>. وهذا شأن الحجاج، إذ يتشارك الطرفان في الحدث الكلامي .  
وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في قوله: ﴿الْمُمْتَرِينَ مِّن تَكُنْ فَلَا رَبَّكَ مِنْ الْحَقِّ﴾<sup>3</sup>، غير أن هذه الشروح على تنوعها تحمل نوعاً من الغموض .

يقول الشعراوي في تفسيره للآية الثانية والثلاثين من سورة هود لفظة 'جدل': إذن فالجدل مطلوب لنصل إلى الحق، شرط أن يكون حسن لا احتكاك فيه ولا إيذاء . وهناك فارق بين احتكاك الآراء وتحكك الآراء، فالتحكك كالتلكك، وهو الرغبة في عدم الوصول إلى الحق، لكن الاحتكاك هو الذي يوصل إلى الحق . أما التحكك فهو يوارى ويطمس الحقيقة .

<sup>1</sup> أساس البلاغة للزمخشري مادة مري .

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب حرف م، ص، 108 .

<sup>3</sup> سورة آل عمران ، آية: 60

والمراء هو الجدل بعد أن يظهر الحق، وهو مأخوذ من مرى الضرع فحين يقومون بإنزال اللبن من ضرع الناقة أو البقرة، فالضرع يكون ملآن، وينزل منه اللبن بشدة وقوة، وبعد أن ينتهي الضرع يكون من يجلبها ممسكا بجلمات الناقة أو الجاموسة، ويستحلب ما بقي من اللبن، ويقال لهذا الجزء من الأخير المري.

ولذلك نأخذ من هذه العملية كلمة ' المراء ' وهو بعد ظهور الحق وهناك بجانب الجدل والمراء والاحتكاك والتحكك والحجاج والمراد بالحجاج هو إظهار حجة الخصم على الخصم.<sup>1</sup>

2-3-4- الحجة الشعرية:

يعتمد هذا النوع من الحجج على تحريك النفس، والتلاعب بمشاعر المخاطب حتى يستجيب لها، ولا يشترط في هذا النوع من الحجج أن تفيد ظنا راجحا مقبولا، لأنها قد تعتمد على مقدمات كاذبة وهمية وصور وخيالات لا يخفى كذبها على السامع<sup>2</sup>؛ ومع ذلك يصدقها لكونها سيطرت على مشاعره ووجدانه. وكثيرا ما كان الشعراء يستخدمون هذا اللون من الحجج في شعرهم، لأجل السيطرة على مشاعر الآخرين المخاطبين وتحريك النفوس بالاعتماد على مقدمات خيالية وهمية.

ولا نقول إن القرآن قد احتوى على حجج شعرية بالمفهوم السابق لأجل تحريك النفوس وإثارة المشاعر اعتمادا على مقدمات خيالية وهمية، فحاشى للقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من ذلك. ولكننا نقرر في الوقت نفسه أن حجج القرآن -بأنواعها المختلفة- قد

---

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 6446.

<sup>2</sup> ينظر: ابن تيمية، المنطق، ص 10. وانظر: الميداني، ضوابط المعرفة، ص 302.

استطاعت أن تأخذ بالعاطفة والوجدان على نحو جعلها تسيطر على القلوب اعتماداً على الحق والصدق من غير اللجوء إلى الخيال أو الأوهام.

### 2-3-5- الحجة المغالطية:

والحجة المغالطية هي ما يشبه الحق وهو باطل<sup>1</sup>؛ أو هي الحكمة الموهومة التي تجعل السامع يغرر بها لأول مرة تطرق سمعه. وهذه الحجة يعتمد صاحبها على مقدمات كاذبة وفيها تسوية وخداع<sup>2</sup>، وهي بهذا الاعتبار حجة مرفوضة في ديننا، لكن ابن القيم ذكر نوعاً من الحجج المغالطية، ويبين أنه يقوم على لغز، بمعنى أن المقدمة يكون فيها لغزاً لا يتأتى فهمه إلا لمن أوتي حظاً من مرونة في التفكير وسرعة البديهة. وقد مثل على هذا النوع بمثالين:

أولهما؛ ما كان من موقف إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام التي كان يعبدها قومه، ثم جوابه لهم عندما سألوه عن من قام بتحطيمها بقوله: ﴿يَنْطِقُونَ كَأَنؤَاإِن فَسَّؤُلؤُهُمْ هَئذَا كَبِيرُهُمْ فَعَلَهُ رَبُّلَقَالَ﴾<sup>3</sup>، فهذه كانت مغالطة من سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي تنطوي على لغز لأجل أن يقيم الحجة على قومه ويبين لهم فساد ما هم مقيمون عليه من عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع. وقد كانت إجابته تبكيها لهم ولقماً لأنظارهم وإثباتاً أنه هو الفاعل دون سواه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن تيمية، المنطق، ص 10.

<sup>2</sup> أنظر: جريشة، أدب الحوار والمناظرة، ص 130.

<sup>3</sup> سورة الأنبياء، آية 63.

<sup>4</sup> تفسير الشعراوي، ص 9582.



ثانيا: مجاذبة الحجج، فيما يتنازع فيه الخصمان، يرى الراغب الأصفهاني أن: «التنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بهما عن المخاصمة والمجادلة»<sup>1</sup> وهو ذاته ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: «نزع الشيء، من يده جذبه وانتزعه ورجل منزع شديد النزع ونازعه الثوب جاذبه . . . ونزع عن الأمر نزوعا، كفّ عنه . . . فلان ينزع بحجته يحضر بها، ونازعه الكلام نازعته في كذا، خاصمته منازعة ونزاعا تنازعا»<sup>2</sup>.

وقد نازعه منازعة ونزاعا، جاذب في الخصومة؛ والنزاع التخاصم.<sup>3</sup>

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في عدة مواضع، نحو قوله تعالى:

﴿الْأَمْْرِ فِي وَتَنْزَعْتُمْ فَشِلْتُمْ إِذَا حَتَّى﴾<sup>4</sup> وقوله أيضا:

﴿فَتَفْشَلُوا تَنْزَعُوا وَلَا وَرَسُولُهُ وَاللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾<sup>5</sup>، نلاحظ من هذين الآيتين أنّ التنازع مآله الفشل وهو مذموم، عكس الحجاج في القرآن الكريم؛ إذ يهدف إلى تقرير الحقائق وإثبات الحق ودحض الباطل.

وخلاصة القول، إنّ هذه الألفاظ المذكورة سابقا اعتمدها الخطاب القرآني، واعتمد

غيرها، غير أنّ هذه الألفاظ التي اقتصرنا على ذكرها أقرب إلى المفهوم المطروق (الحجاج).

<sup>1</sup> الراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن.

<sup>2</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (نزع).

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن.ز.ع).

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية 152.

<sup>5</sup> سورة الأنفال، الآية 46.

إذا كان الحجاج في القرآن أو بالأحرى الخطاب الحجاجي القرآني تأسس على أرضية عقائدية منعدمة ومظاهر اجتماعية غاية في البساطة والبدائية، حيث البدائية وعبادة الأوثان ونظام العبودية واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان. في هذه الظروف تأسس الخطاب القرآني ليجادل بالحق هذه العقلية الإلحادية الوثنية ويدغدغ مشاعر الإنسانية البرئية، ويلامس فيها القطرة السليمة، فإن طرحنا هذا الموسم بالحجاج عند الشعراوي إنما نروم فيه إظهار آليات الحجاج عند الشعراوي لتبليغ آيات القرآن إلى ذهنية مختلفة تتميز بالتنوع والتعقيد، حيث تداولت الحضارة هذه المجتمعات وبلغت بها شأنًا من التطور والابتعاد عن المنهج الصحيح النظيف.

من خلال النص الذي أوردناه للتو، لمسنا لجوء الشيخ الشعراوي إلى المعجم للتعبير عن معنى الحجاج والمرء، والاحتكاك والتحكك، وفرق بين معانيها مركزا على فعاليتها في تأدية المعاني المختلفة التي تنمضها عبر الأجيال، جرّاء تعاقب الحضارات والأفكار، وتطورها. وبهذا التعامل مع مفردات اللغة التي تكتسي معاني معجمية يكشف الشيخ حمولتها الحجاجية.

## 4-2- الحجاج عند الغرب:

نشأت النواة التداولية في حقل فلسفي يهتم بالكلام لإيجاد مفهوم العمل بالقول، فإن التفات الدارسين إلى أعمال الخطاب وعنايتهم بتأثيراته الفعلية لم يكن مستحدثا مبتدعا في الستينات، بحيث أن أوستن (Austin) هو أول من أسس أول نظرية مكتملة في ذلك.

إن اهتمام الفلاسفة بالخطاب قديم يمتد إلى الفلسفة اليونانية؛ بل قد وجد في تربة اليونان

منبتا خصبا له.

إذن عرف اليونانيون البلاغة قبل أرسطو بزمن طويل، وقد وضعوا أسسها وعرفوها على أنها (فن الإقناع) وألحوا منذ بدايات التفكير البلاغي على فكرة المواضيع (Topique) أو الأماكن المشتركة للفكر، تلك التي سيشير إليها فيما بعد أرسطو بلفظ (Topoi). وستكتسب مكانة أساسية في البلاغة اليونانية والغربية إجمالاً.

#### 2-4-1- رولان بارت (Roland Barthes):

يعدّ رولان بارت من المجددين في فن البلاغة بهدف استعمالها في الإشهار (بلاغة الصورة). لقد كتب سنة 1963 قائلاً: "ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكية بمفاهيم بنوية (وذلك هو موضوع عمل قيد الإنجاز)، وسيكون، حينئذ، من الممكن وضع بلاغة عامة أو لسانية لدوال التضمين، صالحة للصوت المنطوق، والصورة والإيماء...<sup>1</sup>".

#### 2-4-2- روث أموسي (Ruth Amossy):

تستمد الكلمة سلطتها، وفعالها من داخل دائرة الفعل الاجتماعي والسياسي، والتشريعي، والأكاديمي، على ما للكلمة من منطوق خاص، يمنحها هو الآخر سلطة وفعلاً. تقول روث أموسي (Ruth Amossy): « لقد أعطيت للإنسان القدرة على التكلم كي يمارس تأثيراً في غيره<sup>2</sup>». من الثوابت النظرية لدى أموسي، أن خطابة الإقناع، إنما تنشط داخل ما يسمى (la polis)، وهو الفضاء السياسي أو المؤسساتي، الذي يمارس داخله الفعل الخطابي.

---

1 بارت، بلاغة الصورة. نقله الشراوي في البلاغة القديمة ص5.

2 L'argumentation dans le discours, Discours politique, littérature d'idées, fiction Nathan, Paris, 2000,p26.

2-4-3- شاييم برلمان (CheumPerelman):

ألف شاييم برلمان (CheumPerelman) بمعية تيتكاه

(L'olbechtsTyteca) مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة؛ الذي ظهر سنة 1958 وفيه نجد تعريف الحجاج، على أنه: «التقنيات الخطابية التي تمكن من إحداث أو زيادة» انخراط النفس في القضايا التي تُطرح عليها.

وتزداد أهمية هذا التوجه البلاغي كلما أُلح - هذا التيار - على أهمية البعد التواصلي للحجاج، كي يؤثر المتكلم أو الخطيب بخطابه عليه، أولاً أن يتكيف مع من يوجه إليهم الخطاب، والمتكلم عند برلمان يقصد به الناطق أو الذي يكتب، فهما عنده سواء. أما مفهوم المستمع فعموما يقصد به «كل من يريد أن يؤثر فيهم المتكلم بحججه»<sup>1</sup>، يظهر لنا من خلال هذا القول: أهمية كل من المتكلم والسامع، وضرورة التفاعل بينهما لإنجاح عملية التواصل.

2-4-4- فيليب بريتون (Philippe Breton):

أخذ الحجاج عند فيليب بريتون (Philippe Breton) مفهوما واسعا مع تطور الدراسات الحديثة وأصبح سمة تتسم بها كل الخطابات اللسانية وغير اللسانية على حد سواء، حيث ربطه فيليب بالعملية التواصلية، النشاط الجوهري للإنسان، الذي يميزه عن الحيوان غير الناطق؛ أي أن أصبح يمتلك هوية وآراء واعتقادات وقيما ووجهة نظر حول العالم الذي يعيش فيه، ويحاول أن يتقاسمها مع غيره<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص16.

<sup>2</sup> بنظر فيليب بريتون، الحجاج في العملية التواصلية (في التواصل البشري).

Voir : Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, 3<sup>ème</sup> édition, La découverte, Paris, 2003, P.15.

2-4-5- جون ميشال آدم (J. M. Adam):

كما أضاف جون ميشال آدم (J. M. Adam) وظيفة أخرى إلى وظائف جاكسون الست وهي الوظيفة الاقتناعية.<sup>1</sup>

ترتبط الأقوال ارتباطا وثيقا بقائلها في الخطاب الشفهي كما في الخطاب الكتابي، بل قد يكون هذا الارتباط في الخطاب الشفهي أكثر منه في الخطاب الكتابي، لارتباط الأول ببعض المرجعيات التي تحيل إليها في العالم الواقعي في لحظة تلفظ. من هذه المرجعيات: الإشارات أو المبهمات. فبين الضمير 'أنا' والمتحدث -على سبيل المثال- في لحظة التلفظ بالخطاب علاقة حقيقية، والضمير 'أنت' لا يدل إلا على المخاطب المقصود بالخطاب، ف'أنا' له دلالة عامة ووحيدة وثابتة تكمن في أنها تدل على موجه الرسالة، وملتقيها 'أنت'، لذا من الخطأ اعتبارهما بمثابة أشكال فارغة تستقبل دلالة مختلفة لدى استخدام إحداها.<sup>2</sup> بالإضافة إلى ما للحديث المباشر من ديناميكية وحرارة، وقوة تأثير، لأن المتحدث والسامع يشتركان في لحظة الخطاب مما يشد انتباه كليهما للآخر.

2-4-6- ماير (Mayer):

يدعو ماير (Mayer) إلى الخروج عن المقابلة القضوية التي قال بها أرسطو وفرضها على الدرس البلاغي، فهذه المقابلة بين الوجود واللاوجود<sup>3</sup> شطر أرسطو الخطاب

<sup>1</sup> ينظر: عبد القادر بوزيدة، نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 12، ديسمبر 1997، ص 305.

<sup>2</sup> جان سيزوفوني، المفوضية، ص 28.

<sup>3</sup> الشعر لا وجود يحتمل الوجود، والخطابة وجود يحتمل اللاوجود.

الإنشائي الاحتمالي إلى "شعرية" و"خطابية" وأزال عن الخطاب وحدته. وبدل هذا التقابل القضوي الوجودي يمكن تحقيق وحدة البلاغة باعتماد التفاعل القائم على الإشكال والمساءلة. يقول ماير: «إنّ السؤال -أيّ سؤال- هو إشكال أو عبارة أخرى إنّ السؤال والإشكال يتماهيان، فإذا بالسؤال يحيل على صعوبة معرفية أو على ضرورة اختيار، وإذا بالسائل متى طرح سؤالاً دعا المتلقي إلى اتخاذ قرار، بل إنّ الجواب حتى وإن علم السؤال الذي هو مصدره يثير السؤال»<sup>1</sup>، ومن هنا ندرك أهمية المسألة من الناحية الحجاجية؛ إذ لما كان الكلام إثارة السؤال أو استدعاء له، فإنه يولد بالضرورة نقاشاً، ومن ثمّ حجاجاً فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق، وإذا بالحجاج ماثل في كل نوع من أنواع الخطاب. على هذا النحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب، إنها وسيلة هامة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح. هذا الموقف يحدده المتكلم بقرائن ومواد تحضر في السياق وتقود عملية الاستتاج المتصلة بالسؤال المطروح.

<sup>1</sup> يقول إنّ كل جواب (حتى وإن علم السؤال الذي هو مصدره)، يثير السؤال. هذه التجربة لمحمد علي القارصي في مقال: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشال ماير، ورد ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم، ص 394. وذلك للجملة الواردة في كتاب ماير في البولماتوجيا فلسفة وعلما ولغة (De la problématique philosophie, Science et langue)، بروكسال، 1986، ص 219. عن سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 141.

## 2-4-7- أوليفيروبول (Olivier Robol):

كما أنّ أوليفيروبول (Olivier Robol) يؤكّد على وجود عناصر مشتركة تجمع ما بين ما هو شعري وما هو خطابي، وعلى حدّ تعبيره: « ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعّمين بالحجاج»<sup>1</sup>، تعد هذه العناصر كافية لتصنع منطقة البلاغة المشتركة.

## 2-5- الحجاج عند علماء العرب المعاصرين:

أما بالنسبة للدراسات العربية المعاصرة حول الحجاج ودوره في عملية التواصل والإقناع، فإننا نجد بعض المحاولات؛ منها من اهتمت بتأصيل الحجاج في التراث العربي، ومنها من باشرت في ترجمة النظريات الغربية واستثمارها.

## 2-5-1- محمد الواسطي:

نجد محمد الواسطي من الفريق الأوّل الذي حاول التأصيل للحجاج في التراث العربي، وذلك في مقاله "أساليب الحجاج في البلاغة العربية"، إذ عرض استقراء لمفهوم الحجاج في بعض المصنّفات التراثية، كما عرض لبعض الأساليب، مثل: حسن التعليل، المبالغة، التشبيه

---

<sup>1</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 22، قلا عن: Olivier Reboul, La Figure et l'argument.

الضمني والاستعارة، وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم وبآيات من الشعر.<sup>1</sup> وهذا المنهج سارت عليه البلاغة الكلاسيكية، خاصة في مناهج التعليم المدرسي (الطورين الثاني والثالث).

2-5-2- طه عبد الرحمن:

من أبرز الأعمال التي حاولت المزج بين التراث العربي والنظريات الغربية الحديثة نجد الدراسات التي قام بها 'طه عبد الرحمن' في هذا المجال، ومنها كتابه 'في أصول الحوار وتجديد علم الكلام'، إذ يتغني من طرحه إيجاد رابط منطقي لغوي يطوعه في سبك نظرية تأخذ بقوة المنطق وسلاسة اللغة، كما عقد بابا في كتابه 'اللسان والميزان'، سماه 'الخطاب والحجاج'<sup>2</sup>، واستعرض فيه أنواع وأصناف الحجاج وركز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، إذ أفرز فصلا خاصا، تميز بالتوسيع وحسن التبويب وربطه بما لدى الأصوليين من قياس التمثيل وترتيب الأحكام الشرعية. ولم يقف عند هذا الحد، بل ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني.<sup>3</sup> وهذا النحو تتبعه الجامعات في البلاد العربية وخاصة الجامعات الجزائرية.

2-5-3- حافظ إسماعيلي علوي:

شارك في المشروع العلمي الكبير، بمعية نخبة من الباحثين المعروفين في مجال البلاغة والحجاج، وصل عددهم حوالي خمسين باحثا، يمثلون دول المغرب وتونس والجزائر

<sup>1</sup> ينظر: محمد الواسطي، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب، العدد 12، 1421هـ/2001م، ص 21-34. وينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، مرجع سابق، ص 451.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص 211-213.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 451.



وموريطانيا ومصر والسعودية والأردن والإمارات العربية المتحدة والبحرين؛ وقد قام بتنسيق هذا المشروع وإعداده والتقديم له، وجدير بالذكر أنّ الدراسات التي يضمها الكتاب وصلت إلى أزيد من ستين دراسة، توزعت على خمسة أجزاء، جاءت على النحو التالي:

الجزء الأول: حدود وتعريفات.

الجزء الثاني: الحجاج: مدارس وأعلام.

الجزء الثالث: الحجاج، وحوار التخصصات.

الجزء الرابع: الحجاج والمراس.

الجزء الخامس: نصوص مترجمة.

ويتلخص فكر إسماعيلي علوي في قوله عن الحجاج: " إنه حاضر حضوراً قويا في كل مجالات التواصل الإنساني بإطلاق، وهل هناك تواصل من غير حجاج؟ ويقترح تسمية للعصر أو وصفاً له: أنه عصر الحجاج والتواصل.

2-5-4- محمد متولي الشعراوي:

في خواتمه حول قوله تعالى  
أَلَيْمًا عَذَابًا مِنْهُمْ لِلْكَافِرِينَ وَأَعْتَدْنَا لِلْبَاطِلِ النَّاسِ أَمْوَالًا وَكَلِّمَهُمْ عَنْهُهُوَ وَقَدْ الرَّبُّ وَأَخَذَهُمْ  
1 يقول الشيخ الشعراوي: « إنَّ التشريع السماوي حينما يأتي لظالم يخرج عن منهج الله، فكأنه يقول له ما هو القصد من خروجه عن منهج الله؟ لماذا يظلم؟ لماذا يأخذ الربا؟ لماذا يصدّ عن سبيل

---

1 سورة النساء، الآية 161.

الله؟ لماذا يأكل أموال الناس بالباطل؟ إن الظالم يفعل ذلك حتى يمتع نفسه بحق أكثر من حقه. لذلك يأتي التشريع السماوي ليفوت عليه حظّ المتعة، وكان هذا الحظّ من المتعة حقاً وحجلاً له، لكن الشرع يحرّمه، ومثال ذلك القاتل، يحرم من ميراث من يقتله؟ لأنّ القاتل استعجل ما أخره الله، وأراد أن يعجل لنفسه المتعة من الميراث، فارتكب جريمة قتل، لذلك يأتي الشرع ليحرّمه من الميراث<sup>1</sup> هذه الأسئلة المتتالية لماذا؟ عدة مرات من شأنها أن تضع المستمع في بؤرة التفكير، وتركز انتباهه في مجال الموضوع الذي يحوم حوله السؤال، فيشترك في التفكير وفي الإجابة، حتى وإن كان غافلاً عنها؛ فهذه المحرمات لم يكن يعرف خطورتها إلا بعد أن ارتكبها وطرح عليه السؤال لماذا؟ فوضعه تحت ضغط المسؤولية.

"ولسائل أن يقول: كيف يقول الحق عن هذه الشجرة أنّها (ملعونة)؟ ما ذنب الشجرة حتى تلعن؟ وهي آية ومعجزة لله تعالى، وأداة من أدوات العقاب ووسائل التعذيب لأعداء الله".<sup>2</sup> فقول المراد هنا: الشجرة الملعون آكلها، لأنّه لا يأكل منها إلا الأثيم، كما قال تعالى: ﴿الْأَثِيمِ طَعَامُ﴾ الزُّقُومِ شَجَرَتِ إِنَّ ﴿مَنْ سَوَّرَ الدِّخَانَ، وَالْأَثِيمِ لَا شَكَّ مَلْعُونٌ، لَكِنْ لِمَاذَا لَمْ يَجْعَلِ الْمَلْعُونَةَ لِلْأَكْلِ وَجَعَلَهَا لِلشَّجَرَةِ؟

قالوا: «لأنّ العربي درج على كل شيء ضار ملعون، أي مبتعد من رحمة الله، فكان الكافر حينما يرى هذه الشجرة هو الذي يلعنها، فهي ملعونة بأكملها وملعون آكلها»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 1619.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 8652.

<sup>3</sup> سورة الدخان، آية 42، 43.

<sup>4</sup> تفسير الشعراوي، ص 8652.

توقع الشعراوي للسؤال بقوله: « لسائل أن يسأل»، فهو يتوقع ورود هذا السؤال في ذهن قارئ القرآن أو عند متلقيه (مستمعين من قريب في الحلقة أو عبر القنوات التلفزيونية)، وهذا دليل على اختلاف تفكير الجيل الأول الذي استمع للقرآن. وجيل عصر الشعراوي.

وفي هامش (نفس الصفحة)<sup>1</sup> من التفسير، يضيف تلامذة الشيخ: أن أبو يحيى زكريا الأنصاري ذكر هذا التساؤل في كتابه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"، الصفحة 238 من طبعة 1985م، دار الصابوني.

نلاحظ في هذه الوقفة مواقف حجاجية:

- الاستشهاد بمعهد العرب في تفكيرهم ولغتهم.
- انتباه تلاميذه ومنهم ابنه لتخريج الأحاديث، وهذا دليل آخر على اهتمام الناس في هذا الزمن برواية الأحاديث والمجادلة بين الفرق، خاصة الشباب، لذلك اتبه أبناء الشيخ إلى تخريج الأحاديث التي ذكرها في خواطره.

## 2-6- البلاغة الجديدة:

لقد كان للتطور العلمي لمبحث اللغة وتراجع فن البلاغة انعكاسات على الحياة الاجتماعية، حيث أعلنت الفلسفة المعاصرة موت المعنى وتفوق العلم على الأخلاق وانتصار العقل الأدائي على العقل القيمي، غير أن الفكر النقدي الغربي تجاوز هذه العتبات، ووقف وقفة مراجعة

---

1 تفسير الشعراوي، ص 8652.

وإعادة قراءة نقدية، بفضلها قدّم مشروعين أساسيين لإنتقاذ المعنى واستعادة القيم واسترجاع الأبعاد الإنسانية المتكاملة في آلة العلم والمنهج.

**1- مشروع فلسفي؛ يستعيد المعنى الواقع خارج المنهج، وهو مشروع فلسفة التأويل أو الهرمينوطيقا.**

**2- ومشروع لغوي، يستعيد القيم العملية وهو مشروع البلاغة الجديدة ومبحث الحجاجية الذي دشّنه شايم بيرلمان (Chaim Perlman) ضمن فكر شموي للغة، فيما يسميه بالإمبراطورية البلاغية التي تكاد تنافس الفلسفة.**

إنّ البلاغة الجديدة هي الجانب الحجاجي التداولي من البلاغة القديمة من خلال تلحيم أطراف الخطاب الأساسية (المخاطب، المخاطب) وإبراز البعد التأثري والإقناعي للغة، والذي لا يظهر في البنية الصورية لنسقتها الداخلي فقط، وإنما في القيم الخطابية المشحونة بواسطة الاستعارة، الإطناب، الإيجاز، وغيرهم من الأشكال البلاغية التي تمارس فعاليتها الاجتماعية ووظيفتها الإقناعية التي تدفع إلى القيام بالفعل<sup>1</sup>.

## 2-6-1- حجاجية البلاغة الجديدة:

كشفت الثورات العلمية والتحويلات المعرفية أنّ مسألة اليقين هي مجرد فرضية وأنّ نظام التعقل هو نظام حوارى وتناجيه إمكانات معرفية، واكتشف العقل المعاصر أنّ قوّته ليست في انسجامه وتناغمه وتوحّده، بل في تعدّده واختلافه، وأنّ البحث عن تطابق الفكر مع ذاته أمر

---

1 ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص22، نقلا عن: Olivier Reboul, la Figure et l'argument.

مستحيل، لذلك توجه الفكر نحو إدراج اختلافاته ضمن صيرورة تاريخية، وهو ما يعني اعتبار هذه الاختلافات كأراء وليس كتوانين، وأنّ مبدأ انتصار الرأي هو الحاجة والإقناع وليس شكلا صوريا معزولا عن شروطه التاريخية.

"وقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين عودة البلاغة إلى الأطروحات المعرفية وإلى صلب النظريات الفلسفية والأدبية تحت صيغ شمولية تنافس الفلسفة نفسها هي " الإمبراطورية البلاغية"، البلاغة الجديدة (شاييم بيرلمان)، ليس لإعادة البلاغة كفصاحة (élonguence)، ولكن كحجاجية (Argumentation)<sup>1</sup>، وتزامنت هذه العودة مع تزايد الاهتمام بدراسة اللغة وهيمنة الخطاب اللغوي داخل الأنساق المعرفية في العلوم الإنسانية، وتعدّد الأبحاث والنظريات حول هذا الخطاب بوصفه ملكة إنسانية 'طبعيا'.

## 2-7- مقدمات الحجاج

- أ- "إنّ الحجاج ينبنى على مقدمات هي موضوع اتفاق مسبق بين السامع والمتكلم.
- ب- إنّ الحجاج يفترض وجود اتصال ثقافي أو فكري، ويتطلب هذا أن نأخذ بعين الاعتبار الشروط النفسية والاجتماعية للمستمع والتي بدونها لا يمكن أن يكون للحجاج تأثير أو موضوع.

---

1 علي الشبعان، الحجاج في الخطاب، مقال في كتاب الحجاج، مفهومه، ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج2، الحجاج مدارس وأعلام، ص 217.

ج- إنَّ الحجاج يحتاج إلى التفاعل، بل إلى الترابط بين المتكلم والسامع<sup>1</sup>. وإنَّ التأثير المتبادل الذي يمارسه المتخاطبان، أحدهما على الآخر في الخطاب، أي المتكلم والسامع يمتاز بالديناميكية، وهو ذو غايات إقناعيه، وبهذا فهو يشكل حجر الزاوية في البلاغة الجديدة.

#### 2-7-1- القوالب الجاهزة:

من شأن هذه القوالب الجاهزة أن تسمح بنشوء اتصال نفسي ما بين المتكلم والسامعين، وهذا بالاستفادة من القيم السائدة والفاعلة في التراثية الاجتماعية (القيمة) المتعارف عليها بين الأشخاص، المواضيع (Topics): "وتوجد أصلاً في المقدمات وهي عبارة عن أماكن مشتركة يدعم بها المتكلم حججه، وقوالب فارغة أو قواعد حججانية؛ من قبيل القوالب الجاهزة: (كلّ حيّ يموت)؛ (الكثير أحسن من القليل)"<sup>2</sup>، وهي عبارة عن اتفاق أولي بين المتكلم والمخاطب يستثمره في النتائج ويستفيد منه.

#### 2-7-2- الاتصال الثقافي أو الفكري:

إنَّ الحجاج يفترض وجود اتصال ثقافي أو فكري ويتطلب هذا أن نأخذ بعين الاعتبار الشروط النفسية والاجتماعية للمستمع والتي بدونها لا يمكن أن يكون للحجاج تأثير أو موضوع.

<sup>1</sup>Amossy , L'analyse de l'argumentation dans le discours tient compte du dispositif d'énonciation (qui parle, à qui, dans quelle situation de discours) et de la dynamique interactionnelle (selon quelle logique et en fonction de quelle stratégies s'effectue l'échange entre les partenaires). Mais elle accorde aussi une importante privilégiée aux données institutionnelles, sociales et historiques..., Avant propos : VII. ترجمة علي الشبعان، الهامش، ص 501.

<sup>2</sup>عليوباً باسيدي، التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية في الحوار (التفكير النقدي) نموذج المدرسة الهولندية، أميرين وغروتدورست، مقال في كتاب الحجاج، مفهومه، ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج2، الحجاج مدارس وأعلام، ص 258.

" إنَّ الحجاج يحتاج إلى التفاعل؛ بل إلى الترابط بين المتكلم والسامع، وإنَّ التأثير المتبادل الذي يمارسه المتخاطبان أحدهما على الآخر في الخطاب"<sup>1</sup>، أي المتكلم والسامع يمتاز بالديناميكية وهو ذو غايات إقناعية.

### 2-7-3-قرائن المنظومة اللغوية:

إنَّ العملية التأويلية لا تنطلق من العدم؛ بل على المؤل أن ينطلق من المنظومة اللغوية المبنية بطريقة منطقية تبعا للبنية النحوية، حيث تمنح هذه المنظومة المؤل بعض القرائن التي هي بمثابة مقدمات تساعد على اختيار بعض مفاهيمه الذهنية أو ترشيح بعض مما هو مخزون في محيطه المعرفي، ستساعده في المرحلة التالية من التأويل، بمعنى أنه يستطيع حصر الظروف الخارجية المحيطة بالنص من ((هوية المتخاطبين) و(الظروف الزمانية) و(المكانية))<sup>2</sup> المحيطة بهما، وإن كان ذلك بشكل نسبي.

وقد اهتم اميلبنفنيست (E. Benveniste) في إطار البحث اللساني بالمفوضية كعملية ذاتية تقابل الكلام أو الاستعمال الفردي للسان وتعرف أنها جملة من العوامل والأفعال التي (تنسب) في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوضية، فتتحول الجملة التصريحية إثر هذه العملية إلى ملفوظ، أي تضمين معنى آخر غير مصرح به.

1 سعاد أفتار، البلاغة والاستعارة من خلال كتاب فلسفة البلاغة، إ.أ. ريتشاردز، مقال في كتاب الحجاج، مفهومه، ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج2، الحجاج مدارس وأعلام، ص 142.

<sup>2</sup>جان سيرفوني، الملفوضية، تر: قاسم المقداد، (د. ط) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 27.

يفترض التواصل كحالة من حالات الملفوظية، أو كما يسميها 'فان ديك' (Van.Dijk) المركز الإشاري، فالكلمات "أنا، أنت، هنا، الآن" عبارة عن كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكوّنة للملفوظية، وهذه العناصر هي: المتحدث، ومكان وزمان. ورغم هذا فإن عالم الخطاب والتواصل متدافع ومتجدد بتدافع البشر وتجدد أفكارهم، فلا يمكن حده بنظرية أو قانون يحكمه، بل هو من شأنه تجديد القوانين بحسب توجيهات الفكر البشري المتطور بلا حدود.

## 2-8- تحديد مفهوم الحجاج:

إنّ الحقيقة متى تنزلت في إطار العلاقات الإنسانية والاجتماعية صعب إدراكها وأضحت محلّ نزاع وجدال في غياب الحجج المادية والموضوعية، يقول جيل دكلارك (GillesDeclereq): «إنّ الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلًا له يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة»<sup>1</sup>.

إنّ محاولة محاصرة مفهوم الحجاج محاصرة دقيقة صارمة تقودنا إلى الحديث عن النص الحجاجي لتقارنه بنصوص أخرى تباينه ونظهر نقاط التمايز بشكل تقليدي جدا، لكنّه مُجدد. يقول عبد الله صولة: « فالباحثان (برلمان وتيتكاه) قد عملا من ناحية أولى على تخلص الحجاج من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة. وهذه التهمة هي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا، ودفعه إلى القبول باعتبارية الأحكام ولا معقوليتها، وعمل الباحثان

<sup>1</sup> جيل دكلارك، فن الحجاج: البنى الخطابية والأدبية، المنشورات الجامعية، ص 34.



من ناحية ثانية على تخلص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب فالحجاج عندهما معقولة وحرية»<sup>1</sup>.

وفي كتابه الحجاج في القرآن الكريم، وخصائصه الأسلوبية يتكلم عبد الله صولة عن جواز دراسة الحجاج في القرآن.

"إن هذا التغيير الجوهرى الذى طرأ على مفهوم الحجاج هو الذى جعلنا نسمح لأنفسنا بالبحث فى ما اشتمل عليه القرآن من حجج بعيدا عن آية مجازفة"<sup>2</sup>.

وما يعتبره صولة (رحمه الله) - نحن نقاش وجهة نظر، وليس الشخص مع احترامنا لرأيه- ما يعتبر هو وغيره ممن يوافق مجازفة، فهي مزية خصَّ بها القرآن مخاطبيه [ أولى الأبواب، والرّاسخين فى العلم ] وتسلّل إلى ذهنى السؤال، هل بالفعل يحتاج الباحث إلى تأشيرة لدراسة القرآن بروية العصر؟ هل القرآن يوجّهنا، أم نحن نستمدُّ الشرعية من الآخر حتى نفهم القرآن؟ كان المفروض أن أمة القرآن هي من يصنع الحدث فى كل جيل لأنّ القرآن غير محدود بعصر أو بمصر، فحجج القرآن قائم بذاته صنع عناصره بنفسه المخاطبين (من بنى البشر: المؤمنون، الكافرون، المشركون، المخلصون، المنافقون، التائبون، العابدون، العاكفون...)، ولكل فئة ظروفها

<sup>1</sup> الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف فى الحجج: الخطابة الجديدة لبرلمان وتيكان، كتاب أهم نظريات الحجج فى التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم، لفريق البحث فى البلاغة والحجج، بإشراف حمّادى صعود، منشورات كلية الآداب منوبة، سلسلة آداب، مجلد، سنة 1998، ص 298.

<sup>2</sup> عبد الله صولة الحجج فى القرآن الكريم، وأهم خصائصه الأسلوبية، دار الفراجى ط2 2007 تونس-منولة عن منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات ص 22.

ولكل فئة ما يقابلها من كل عصر ومصر، إليهم جميعاً يوجه هذا القرآن، ذلك الخطاب الذي قال عنه عبد الله صولة، القرآن خطاب وكل خطاب حجاج، والقرآن حجاج وحجاجة كامن فيه... . . . وكان من المفروض أننا نستمدُّ شرعيتنا من القرآن، ومن إيماننا بالقرآن وأنه حق وليس مناورة، ولا تلاعباً بالذهنيات. ألا نلاحظ ذلك الإعجاز العلمي كلما تطورت البشرية شبراً وجدت نفسها أمام معجزة مرّ عليها أربعة عشر قرناً من الزمن، وقد أشار إليها القرآن الكريم، من أدواء، وماديات في الأنفس، وفي السماوات والأرضين.

## 2-8-1- المتلقي:

يتحقق الترابط بين البشرية بواسطة الإرسال والاستقبال للعلامات بجميع أنواعها. ولقد ساهمت هذه الخبرة البشرية المتواصلة في تنمية قدراته وملكاته الفردية في الإرسال والاستقبال، فكان الإنسان مرسلًا ومستقبلًا من الدرجة الأولى. ومّا زاد في هذه الخبرة هو تطور وتنوع وسائل الإعلام والاتصال، التي استطاعت أن تمحو الحدود بين البلدان، وأن تقرب المسافة بين مختلف الأجناس البشرية "ومّا لاريب فيه أن الاجتماع المعاصر الذي تميز بطغيان وسائل الإعلام على المدينة والمجتمعات البشرية، قد نَمَّى لدى الإنسان بلاغة التلقي، والقدرة على فك المادة الخطابية والإعلامية بوجهيها المنطوق والمسكوت عنه"<sup>1</sup> هذا يبين لنا مزايا وسائل الإعلام. أمّا عن النقائص يقول:

---

<sup>1</sup> سليمان عشارتي: الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، مقارنة حول سيمونتيك الفعل والقول والحال، دار الغرب للنشر والتوزيع

"لقد طور المتلقي أذنا تتلقف المادة الإعلامية بكفاءة وسرعة تعادل سرعة ورود الخبر في وسائل الإعلام، ذلك لأنّ الاتصال أصبح مركزا على بعد واحد هو بعد التلقي وهو ما استحال معه الإنسان المعاصر فعالية سمعية، أو أذنا تتلقف مادتها الخبيرة ليس من المحافل البشرية التي تزدهر فيها أنواع الخطب كما كان يحدث قديما في المجالس الأسرية والأندية والنوادي العاجّة، والساحات الحاشدة، فواقع الإنسان كان على هذا النحو في مرحلة ما قبل عصر السمعي والبصري، لكن الإنسان في عصر الاتصال السمعي والبصري يجد الآلة أنيسه وجهاز البث ( تلفاز، مذياع، الانترنت... ) جليسه ومحدثه، يتلقى عنه ويأخذ منه ويستمتع إليه ويستقيته ويتعلم منه ويروي عنه، وكل ذلك شحذ في الإنسان المعاصر ملكة التلقي والسماع، وأخمل -كثيرا- قدرة المحاوره وتبادل القول"<sup>1</sup>. وتعقيا على رأي الدكتور سليمان نقول: رغم ذلك الخمول فإن وسائل الإعلام قد قدمت للباحث على وجه الخصوص خدمة عظيمة، فلولا وسائل الإعلام لما تمكنا من إنجاز هذا العمل ومن سماع ومباشرة مدونة بحثنا(خطاب الشعراوي، أو الخواطر)، فإننا نسمعها باستمرار ونعود لنقارنها بما كتبه تلامذته، لنكتشف أن ذات الوسيلة قد ساعدتهم دون شك في ذلك النقل الحرفي للنصوص، أو لكلام الشيخ الشعراوي ما عدا تلك الهوامش التي احتوت على تخرجات الأحاديث، أو ترقيم الآيات داخل المتن حيث وجدناه يرصد الآيات في موضوع واحد مشترك مع الآية موضع الخواطر على حد تعبير الشيخ : الآية التي نحن بصدد خواطرها فيها

---

<sup>1</sup> نفسه ص 84.

فيتنقل من سورة إلى سورة وهو يتكلم عن سورة يونس: "في قوله تعالى

﴿الْحَكِيمِ الْكِتَابِ آيَاتُكَ الرَّ﴾<sup>1</sup>

وبالاستقراء نجد الأربعة عشر حرفا التي تأتي في فواتح السور تمثل كل أنواع الحروف: من رقيق ومفخم، ومهموس، ومستعل، وبدأ الله بها على أشكال مختلفة فمرة يبدأ بحرف واحد مثل:

﴿الذِّكْرِ ذِي وَالْقُرْءَانِ صَّ﴾<sup>2</sup>، (حرف واحد)

﴿الْمَجِيدِ وَالْقُرْءَانِ قَ﴾<sup>3</sup> (حرف واحد)

﴿يَسْطُرُونَ وَمَا وَالْقَلَمِ نَ﴾<sup>4</sup> (حرف واحد)

إذن فثلاث سور بدأت بحرف واحد .

وهناك سور ابتدأت بحرفين اثنين ﴿ طه، يس، حم، طس ﴾، وهناك سور ابتدأت

بثلاثة أحرف " ألم " مثل ما بدأت سورة البقرة وسورة آل عمران، العنكبوت، الروم، السجدة،

وهناك سور قد بدأت ﴿الر﴾<sup>5</sup>.

كيف يمكن أن يسجل المرء كل هذه الحروف المتشابهة وفق هذا التسلسل لولا مساعدة

وسائل الإعلام التي كانت تسجل خواطر الشيخ سواء في التلفزيون أو من داخل مسجده حيث

يلقي الدروس، أو الخواطر كما سماها الشيخ.

<sup>1</sup> سورة يونس، آية 1 .

<sup>2</sup> سورة ص، آية 1 .

<sup>3</sup> سورة ق، آية 1 .

<sup>4</sup> سورة القلم، آية 1 .

<sup>5</sup> تفسير الشعراوي، ج9، ص 5628-5631 .

## 2-8-2- مسألة السامع (الجمهور الكوني):

يقسّم الجمهور المخاطب إلى طبقات، وذلك من خلال رصد كل طبقة في النص، أو من خلال تأكيد بعض القيم التي تبني التمييز بين كل طبقة؛ والنظر في كفاءات اجتماع المسلمات والبدايات المشتركة، والوقوف على مبدأ تمايز الجمهور: جمهور متنوع.

## 2-8-3- الجمهور الكوني:

لا بد من التمييز بين جمهور كوني وآخر خاص، فالخطاب الذي يكون جمهوره خاصا هو خطاب متداعٍ وهش، أما الخطاب الذي يكون جمهوره كونيا، فهو خطاب متنوع. من ثمة، فإن مقولة السامع الكوني إنما هي مقولة نظرية افتراضية، وهي إضافة إلى ذلك نتاج اجتماعي تاريخي، فهذه المقولة ليست موجودة حقيقيا وحضورا موضوعيا يدرك بالعيان؛ بل هي إلى جانب كونها كذلك تخيل لفظي صنع بمختلف مكوناته، وهيئاته من لدن الخطيب/ الحاج في وضعية تلفظية معينة، وضمن مقام مخصوص، فالسامع الكوني، إنما هو عبارة عن تلك الصورة التي يمتلكها الخطيب/ الحاج، أو يصنعها عن الإنسان المتصور وطرائق تفكيره وقناعاته الشخصية، فالثقافة التي ينتمي إليها الإنسان إنما هي التي تصنع صورته، وتبني مظاهر سلوكه، وتقيم ملامح شخصيته<sup>1</sup>.

---

1 علي الشبعان، الحجاج في الخطاب، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي: الحجاج في الخطاب، مقال في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج2، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2010، ص 227.

## 2-8-4- حجاجية القارئ الضمني:

رغم اهتمام النظريات النقدية على اختلافها بدور القارئ، إلا أنها لم تحقق شرط التفاعل بين المتلقي والنص، لذلك يسعى إيزر<sup>1</sup> إلى تأصيل نظرية في الفهم تقوم على مبدأ التفاعل بين بنية النص وملتقيه. ولتحقيق هذا الشرط يفترض وجود قارئ ضمني يتجسد في بنية النص، وهو قارئ يخلقه النص وحده وهو يساوي شبكة البنى التي تُغري بالاستجابة وتستهيونا لقراءة النص بطرق معينة<sup>2</sup>. إن هذا القارئ يحضر في النص دون تحديد مسبق لشخصيته أو لموقفه التاريخي؛ وهو يجسد كل الميول المسبقة اللازمة لأي عمل أدبي لكي يمارس تأثيره، هذه الميول لم يفرضها واقع تجريبي خارجي، بل يفرضها النص نفسه؛ أي أن القارئ الضمني بوصفه مفهوماً فإن له جذور راسخة في بنية النص، بمعنى أنه القارئ الذي في النص.

وبالتالي فإن مفهوم القارئ الضمني هو بنية نصية تتوقع وجود متلق دون أن تحدده بالضرورة، والذي يُبين الدور الذي يتخذه كل متلق مسبقاً.

وهكذا فإن إيزر (IZER) يحدد بوضوح عناصر عملية التفاعل بين النص والمتلقي، فالنص يقدم قارئاً من عنده هو شبكة البنى التي تُغري بالاستجابة، والمتلقي يقوم بفعل القراءة على هدي من محفزات القارئ الضمني بنية النص. على أن إيزر هنا يُشير إلى أن هذه العملية تصبح تبادلية أثناء فعل القراءة أي أن القارئ الضمني يثير القارئ الفعلي فيستجيب لعملية التفاعل غير أنه لا

<sup>1</sup> إيزر، كتاب "فعل القراءة" للكاتب الألماني فولفغانغ إيزر من أبرز المنظرين لنظرية المتلقي والقراءة، وأحد أهم أقطاب مدرسة كونستانس الألمانية. في الكتاب ثلاثة أقسام: 1: المبادئ الأولية لنظرية جمالية التجارب. 2: استيعاب النص. 3: اللاتماثل بين النص والقارئ.

<sup>2</sup> رومان سلون سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ص 164.

يرتهن لمعطيات القارئ الضمني، وإنما يصفى على عملية القراءة من مخزون تجربته، هذا المخزون يسميه آيزر الرصيد<sup>1</sup>.

وهذا الرصيد ليس مقصوراً على القارئ الفعلي وحده، وإنما القارئ الضمني له رصيده الذي يتشكل من مكونات تجربته، على أن هذه المكونات لا تتبع من إطار مرجعي أو معرفي خارجي، وإنما يبرزها القارئ الضمني الذي يتخلف في النص. وهنا يحدث تفاعل بين التجريبتين، وقد تبرز أثناء عملية التفاعل بين التجريبتين مجالات من التناقض<sup>2</sup>، وقد تظهر عناصر غير محددة حينما يرسل القارئ الضمني بعض الصور العقلية إلى المتلقي<sup>3</sup>، وقد تنشأ مساحة من الفراغ داخل البنية النصية، هذه المساحة لا يشعر بها إلا القارئ الفعلي، عندها يلجأ إلى نشاط تأويلي يسعى من خلاله إلى ملئ هذه الفراغات<sup>4</sup>، وقد يضيف عليها شيئاً من تجربته أو من شعوره عندما يحدث تقاطع بين التجريبتين: تجربة القارئ الضمني وتجربة المتلقي، هذا التقاطع يسمح بحضور دورين متداخلين من القراءة، هما: دور القارئ الضمني بوصفه بنية نصه، ودور المتلقي باعتباره فعلاً مركباً<sup>5</sup> يتواصل مع النص عبر عمليات القراءة من خلال وجهات<sup>6</sup> نظر متغيرة تفرضها بين النص<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> آيزر، "فعل القراءة"، ص 170.

<sup>2</sup> آيزر، المرجع نفسه، ص 172.

<sup>3</sup> نفسه، ص 143.

<sup>4</sup> نفسه، ص 197.

<sup>5</sup> نفسه، ص 40.

<sup>6</sup> نفسه، ص 116-117، حيث يسميها وجهة النظر الشاردة.

<sup>7</sup> نفسه. وينظر: رومان سلون، المرجع السابق، ص 164-165.

ويتمثل ذلك في الاعتبارات التي يأخذها المتكلم أثناء إنشاء خطابه أو ما يسمى في البلاغة مقتضى الحال ، حالة المتلقي سواء السامع، أو القارئ، وذلك ما اصطاح عليه بالقارئ الافتراضي (الضمني)، ويتوفر هذا في مواقع الكترونية والرسائل التي تُبث في هذه المواقع، فهي ملك لكل القراء ما ظهر، وما ضمُر .

### 3- الحجة في السياق القرآني:

وردت لفظة الحجة في القرآن بمشتقاتها المختلفة في آيات كثيرة، وباستقراء هذه الآيات نجد

أن اللفظة في القرآن كانت تدور حول معنيين اثنين:

أولهما: بمعنى المناظرة والمخاصمة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿رَبِّهِ فِي إِبْرَاهِيمَ حَاجَّ الَّذِي إِلَى تَرَأَلَمْ<sup>1</sup> . وقوله: ﴿اللَّهُ فِي أُنْحَا جُونَنَا﴾<sup>2</sup> .

وقوله: ﴿الْعَلَمِ مِنْ جَاءَكَ مَا بَعْدَ مِنْ فِيهِ حَاجَّكَ فَمَنْ﴾<sup>3</sup> وقوله

تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي تُحَا جُونِ لِمَ الْكِتَابِ يَأْهَلْ﴾<sup>4</sup> . وقوله

تعالى: ﴿عَلِمُ بِهِ لَكُمْ لَيْسَ فِي مَا تُحَا جُونِ فَلِمَ عَلِمُ بِهِ لَكُمْ فِي مَا حَاجَّ جُتْمَ هُنُوْلَاءِ هُنَا نُمْ﴾<sup>5</sup> .

في هذه الآيات جميعها يتضح لنا أمران:

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 258 .

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 139 .

<sup>3</sup> سورة آل عمران، آية 61 .

<sup>4</sup> سورة آل عمران، آية 65 .

<sup>5</sup> سورة آل عمران، آية 66 .



الأول: أن معنى الحجة على اختلاف اشتقاقها قد أتى بمعنى المناظرة والمخاصمة.  
والثاني: أن الحديث في هذه الآيات يدور حول أهل الكفر على اختلاف ملله واشكاله، ذلك لأنهم أهل الخصام والجحود والعناد، بخلاف أهل الإيمان، فهم أهل الانقياد والطاعة والتسليم لأمره تعالى وجل شأنه.

ثانيهما: وردت لفظة الحجة في القرآن بمعنى البرهان، وقد وردت تارة من المؤمنين مع الكفار كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبِّئْكُمْ بَيْنَنَا حُجَّةً لَّا<sup>1</sup>﴾، وتارة من الكفار بحسب اعتقادهم في قوله: ﴿صَدِّقِينَ كُنْتُمْ إِن بَعَّا بَيْنَا أَن تَوَاقَلُوا أَن إَلَ حُجَّتْهُمْ كَانَ مَا<sup>2</sup>﴾

وتارة من إبراهيم عليه السلام في تمهيد قواعد الإيمان: ﴿قَوْمِهِ<sup>3</sup>﴾ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ءَاتَيْنَهَا حُجَّتِنَا وَتَلَّكَ<sup>3</sup> وتارة من الحق إلى الخلق بآيات القرآن وإظهار البرهان ومنه قوله تعالى: ﴿الْبَلِغَةُ الْحُجَّةُ فَلِلَّهِ قُلُ<sup>4</sup>﴾ وقوله: ﴿ظَلَمُوا الَّذِينَ إَلَ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ لِلنَّاسِ يَكُونُ لِعَلَّا<sup>5</sup>﴾.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> سورة الشورى ، آية 15 .

<sup>2</sup> سورة الجاثية، آية 25 .

<sup>3</sup> سورة الأنعام، آية 83 .

<sup>4</sup> سورة الأنعام، الآية 149 .

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 150 .

<sup>6</sup> الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، (ج2/431) .

وبالجملة، نلاحظ أن مفهوم الحجة في السياق القرآني لم يخرج عن المعنى اللغوي لها، حيث مرّ بنا في تعريفات اللغويين للحجة بأنها البرهان، أو ما دفع به الخصم، وهذه هي المعاني التي دارت حولها لفظة الحجة الواردة في سياق الآيات.

وقد عزز الله تعالى كتابه العزيز بالحجج التي تقطع كل شبهة تعترض سبيل الحق، وتلجم كل خصم ألد وكانت هذه الحجج تارة يأتي بها الله تعالى ابتداء من عنده على لسان نبي من أنبيائه، وتارة في ثنايا قصة من القصص وتارة على لسان طير.

#### 4- تعدد أصناف المتلقين أو المخاطبين بالقرآن:

##### 4-1- الصنف الأول: الكفار عموماً:

هنالك حجج قرآنية اتسمت بالعموم والشمول وتقصّد بهذا النوع الحجج التي لم يوردها الله تعالى احتجاجاً على صنف معين من القرآن. بل هي حجج عامة جاءت للرد على كل الكافرين من غير تخصيص أو تعيين، فهي موجهة لكل ملل الكفر على اختلاف أصنافه. والأمثلة على هذا النوع من الحجج كثيرة، منها قوله تعالى:

"تَتَّقُونَ لَعَلَّكُمْ قَبْلَكُمْ مِنْ وَالَّذِينَ خَلَقَكُمْ الَّذِي رَبَّكُمْ أَعْبُدُوا وَالنَّاسُ يُتَأَيَّئُونَ"<sup>1</sup>

فهذه حجة عامة لم ترد رداً على صنف معين من الكافرين، حيث ذكر ابن كثير في تفسيره، تعليقا على هذه الآية "أنها للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 21

<sup>2</sup> ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص196.

ومضمون هذه الحجة: أن الله هو الخالق الرازق وهذه الحجة - وإن كانت شاملة للرد على المشركين - إلا أنها تبقى غير مخصصة لفئة منهم.

4-2- الصنف الثاني: المشركون، والمنافقون، وأهل الكتاب (وهم اليهود والنصارى)

وهذه حجج يمكن تسميتها "بالحجج الخاصة"، حيث اتسمت بالخصوص كونها سيقت للرد على فرقة من فرق الكفر بذاتها.

ويمكن حصر الفرق التي وقع عليها الاحتجاج في القرآن بثلاث فرق المشركون، والمنافقون، وأهل الكتاب.

4-2-1- أسلوب محاجة المشركين في القرآن:

جاء القرآن ليزيل عن الأذهان فكرة جحود ألوهيته، وعبادة الأصنام. فبدأ بإبراز الأساليب التي اتخذها لهدايتهم، على الشكل الآتي:

4-2-1-1- إبراز ضلالات المشركين:

عبادة الأصنام: لم يكن المشركون ينكرون توحيد الربوبية، فكانوا يقرون بالله تعالى خالقاً ومتصرفاً ومدبراً لهذا الكون، ولكنهم جحدوا الألوهية فعبدوا الأصنام ظناً منهم أن هذه الأصنام تقربهم إلى الله زلفى.

وكانت عبادة الأصنام محور الخلاف بين الدعوة الإسلامية والمشركين، ففي الوقت الذي

دعا به النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، تمسك المشركون

عبادة الأصنام ودافعوا عنها دفاع المستميت . وكان القرآن - بدوره - يسوق للمشركين الحجّة تلو الحجّة، يقرع بها أسماعهم لثنيهم عن هذه العبادة ، تارة بالترغيب وتارة بالترهيب . وقد اتخذت حجج القرآن في إبطال عبادة الأصنام أسلوبين: أسلوب الإثبات و أسلوب النفي .

4-2-1-2-أسلوب الإثبات: أي استحقاق الله تعالى للتفرد بالألوهية .

وتمثل الأول (أسلوب الإثبات) في إقامة الحجّة على المشركين بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، حيث كان يسوق كثيرا من مظاهر قدرته، وأنه المتفرد بالخلق والرزق والتصرف، كقوله تعالى:

﴿تَذَكَّرُونَ أَفَلَا تَحْقُقُونَ لَأَكْمَنُ تَخْلُقُ أَفَمَن ۙ﴾<sup>1</sup>

والمقصود بالآية الكريمة أنه من تفرد بالخلق والرزق فهو المستحق للعبادة لا غيره . وهم مقرون بهذا ومعترفون به، وقد سجل الله اعترافهم في أكثر من موضع في القرآن، قال تعالى:

﴿يُؤْفِكُونَ فَأَنىٰ لِّلّٰهِ لِيَقُولَنَّ وَالْقَمَرَ الشَّمْسُ وَسَخَّرَ وَالْأَرْضَ السَّمٰوٰتِ خَلَقَ مَنْ سَأَلْتَهُمْ وَلِيْنَ ۙ وَقَالَ ۙ﴾

ال:

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ لِيَقُولَنَّ مَوْتَهَا بَعْدَ مِنَ الْأَرْضِ بِهِ فَأَحْيَا مَاءَ السَّمَاءِ مِنْ ۙ نَزَلَ مَنْ سَأَلْتَهُمْ وَلِيْنَ ۙ﴾

﴿يَعْقِلُونَ لَأَكْثَرُهُمْ بَلَّ لِّلّٰهِ ۙ﴾<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سورة النحل، آية 17

<sup>2</sup> سورة العنكبوت ، آية 61

<sup>3</sup> سورة العنكبوت، آية 63

والحق أن اعترافهم بهذا كان أعظم حجة على فساد عبادتهم، إذ جعل الله ما يعترفون به حجة على من أنكروه وجحدوه.

4-2-1-3- أسلوب النفي: أي نفي استحقاق الأصنام للعبادة.

ويمثل الثاني (أسلوب النفي) بإظهار عجز الأصنام التي كانوا يعبدوها حتى عن أدنى قوة يتمتع بها الإنسان، وقد أكثر الله تعالى في سبيل ذلك من ضرب الأمثال منها: قوله تعالى: ﴿لَوْ ذُبابًا تَخْلُقُوا لَنِ اللَّهُ دُونَ مِمَّن تَدْعُونَ الَّذِينَ إِنَّا لَهُمْ رَفَاسٌ مِّمَّ مَثَلُ ضَرْبِ النَّاسِ بِتَأْتِيهَا﴾<sup>1</sup> ﴿وَالْمَطْلُوبُ الطَّالِبُ ضَعْفٌ مِنْهُ يُسْتَنْقِذُوهُ لَا شَيْءَ الدُّبَابُ يَسْلُبُهُمْ وَإِنَّ لَهُ رَاجِعًا مَعُوا<sup>ط</sup>﴾<sup>2</sup> وغيرها كثيرا من الأمثلة.

ومن ضلالات المشركين أيضا الادعاء بأن الملائكة بنات الله، وقد رد الله تعالى بنفي الولد مطلقا (ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله) وهذه الحجة رد على كل من ادعى لله ولدا - ذكرا- كما زعمت اليهود والنصارى - أو أنثى- كما زعم المشركون.

استبعاد وقوع البعث والساعة، وهذه القضية حصل فيها جدل كبير مع المشركين إذا لم تكن لهم عقولهم تتصور هذا الأمر فهو مستبعد في نظرهم، قال تعالى ﴿رَمِيمٌ وَهِيَ الْعِظَمُ يُحْيِي مَنْ قَالَ خَلَقَهُ رُونَسِي مَثَلًا لَنَا وَضَرَبَ﴾<sup>3</sup> وقال مبينا قولهم في البعث ﴿بِمَبْعُوثِينَ نَحْنُ وَمَا وَحْيَانُمُوتُ الدُّنْيَا حَيَاتُنَا الْإِلَهِي إِنَّا﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الحج، آية 73

<sup>2</sup> سورة يس، آية 78

<sup>3</sup> سورة المؤمنون، آية 37

وقد أثرى المولى عز وجل أسلوب القياس لتقريب الصورة من أذهانهم، ونقلهم من المحسوس إلى المجرد علّ عقولهم تستوعبه، ولذلك ردّ عليهم ﴿تَعُودُونَ بَدَأَكُمْ كَمَا<sup>1</sup>﴾ وقال ﴿عَلِيمٌ خَلْقٍ كُلِّ وَهُوَ مَرَّةٌ أَوَّلٌ أَنْشَأَهَا الَّذِي يُحْيِيهَا قُلْ<sup>2</sup>﴾  
﴿قَدِيرُ شَيْءٍ كُلِّ عَلَىٰ إِنَّهُ الْمَوْتَى لَمْحَىٰ أَحْيَاهَا الَّذِي إِنْ<sup>3</sup>﴾

إنكار الرسالة ونسبة القرآن إلى البشر:

وكان أبرز أسلوب اتخذ الله سبحانه وتعالى للرد عليهم هو التحدي، حيث تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن إن كانوا صادقين في دعواهم.

ثم زيادة في التحدي سجل هزيمتهم في القرآن  
﴿هُمْ كَانُوا لَوْ بِيَمِينِهِ يَأْتُونَ لَا الْقُرْآنَ هَذَا بِيَمِينِهِ يَأْتُونَ أَلَيْسَ أَلَا نَسُ أَجْتَمَعْتِ لِيْنِ قُلْ<sup>4</sup>﴾  
﴿ظَهَرَ الْبَعْضُ بَعْضًا<sup>4</sup>﴾

3-4 - محاجة المنافقين في القرآن:

المنافقون هم الذين كانوا يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام وقد سجل الله تعالى في القرآن الكريم كثيرا من ضلالاتهم، منها:

<sup>1</sup> سورة الأعراف، آية 29

<sup>2</sup> سورة يس، آية 79

<sup>3</sup> سورة فصلت، آية 39

<sup>4</sup> سورة الإسراء، آية 88

1- ادعاء الإيمان: قال

تعالى ﴿بِمُؤْمِنِينَ هُمْ وَمَا إِلَّا خَرُوبًا لِيَوْمِ اللَّهِ ءَامَنَّا يَقُولُ مَنْ النَّاسِ وَمِنْ﴾<sup>1</sup>

2- ادعاء الصّلاح: قال

تعالى ﴿مُصْلِحُونَ حَنُّنًا قَالُوا الْأَرْضُ فِي تَفْسِدٍ وَاللَّهُمَّ قِيلَ وَإِذَا﴾<sup>2</sup>

3- إيذاء النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال

تعالى: ﴿أُذُنٌ هُوَ وَيَقُولُونَ النَّبِيُّ يُؤْذُونَ الَّذِينَ وَمِنْهُمْ﴾<sup>3</sup>

4- وقد كان أبرز أسلوب اتبعه القرآن في محاجة المنافقين هو كشف سرهم، وفضح

أمرهم، وبيان أوصافهم. إذ كانوا يعتمدون في كيدهم على التظاهر بشيء وإبطان آخر فاتاهم الله

من حيث كانوا يخفون، بل كان في بعض يعمد إلى تصوير حالتهم النفسية والانفعالية التي تشي

بسرهم قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ صَيِّحَةٌ كُلٌّ يَحْسَبُونَ﴾<sup>4</sup> وكانت أبرز طريقة عامة اعتمدها في محاجتهم

هي المناظرة، كما جاء في أوائل سورة البقرة.

5- الأخطاء التي ارتكبها أهل الكتاب:

1. التحريف: حيث قاموا بتحريف كتبهم بأن أضافوا إليهم ما يوافق هوى نفوسهم،

وحذفوا ما يخالفها. وقد سجّل الله تعالى عليهم هذه الضلالة حيث قال:

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 8

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 11

<sup>3</sup> سورة التوبة، آية 61

<sup>4</sup> سور المنافقون، آية 04

مَعَ غَيْرِهِمْ وَأَسْمَعُ وَعَصِينَا سَمِعَنَا وَيَقُولُونَ مَوَاضِعَهُ عَنِ الْكَلِمِ تَحْرِفُونَ هَادُوا الَّذِينَ مَنِ ﴿١﴾  
الَّذِينَ فِي وَطْعِنَا بِالْسِنْتِهِمْ لِيَأْوَرَّ عِنَانُ<sup>1</sup>

2. نسبة الولد إلى الله تعالى، وهذه الضلالة سجلها الله على اليهود والنصارى معا،  
قال تعالى:

أَهِمَّ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ اللَّهُ آبٌ الْمَسِيحِ النَّصْرِيِّ وَقَالَتِ اللَّهُ ابْنُ عَزِيرٍ الْيَهُودُ وَقَالَتِ ﴿٢﴾  
بِأَفْو<sup>2</sup>

3. دعوى التثليث: وهو القول بألوهية مريم وعيسى مع الله، قال تعالى  
﴿وَأَحَدٌ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ مِنْ وَمَا ثَلَاثَةٌ تَالِثُ اللَّهُ إِنْ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَقَدْ ﴿٣﴾

4. إدعاء النبوة والمحبة من الله: قال تعالى:  
رَأْتُمْ بِلِّبْدُنُوبِكُمْ يُعَذِّبُكُمْ فَلِمَ قُلْتُمْ وَأَحْبَبْتُمْهُ، اللَّهُ أَبْتَنُوا الْخَنُ وَالنَّصْرِيُّ الْيَهُودُ وَقَالَتِ ﴿٤﴾  
خَلَقَ مِمَّنْ دَش<sup>4</sup>

5. وصف الله تعالى بأوصاف لا تليق بجلاله وكماله: قال تعالى:  
يَفِينْفِقُ مَبْسُوطَاتِنِ يَدَاهُ بَلَّ قَالُوا بِمَا وَلَعِنُوا أَيْدِيَهُمْ غُلَّتْ مَغْلُوةً اللَّهُ يَدُ الْيَهُودُ وَقَالَتِ ﴿٥﴾  
يَشَاءُ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سورة النساء، آية 46

<sup>2</sup> سورة التوبة، آية 30

<sup>3</sup> سورة المائدة، آية 73

<sup>4</sup> سورة المائدة، آية 18

<sup>5</sup> سورة المائدة، آية 64



6. ادعاء اليهود قتل عيسى ابن مريم: قال

تعالى:

هُمْ شُبِّهَ وَلَكِنْ صَلَبُوهُ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا اللَّهُ رَسُولَ مَرْيَمَ ابْنَ عِيسَى الْمَسِيحَ قَتَلْنَا إِنَّا وَقُولِهِمْ

﴿٤﴾

6- منهج القرآن في الاحتجاج على أهل الكتاب:

يمكن الوقوف على ظاهرتين عامتين اتخذهما القرآن للرد على أهل الكتاب.

أولهما المناظرة: حيث أثبت الله تعالى كثيرا من المناظرات التي جرت مع أهل الكتاب كالمناظرة

التي سجلها الله بين اليهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى

﴿قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ وَرَاءَهُ رَبِّمَا وَيَكْفُرُونَ عَلَيْنَا أَنْزِلْ بِمَا نُوِّمَنْ قَالُوا اللَّهُ أَنْزَلَ بِمَاءٍ آمَنُوا لَهُمْ قِيلَ وَإِذَا

﴿مُؤْمِنِينَ كُنْتُمْ إِنْ قَبْلُ مِنْ اللَّهِ أَنْبِيَاءَ تَقْتُلُونَ فَلِمَ قُلْ مَعَهُمْ لِمَا مُصَدِّقٌ

فهذه حكاية مناظرة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود.

وثانيهما القصة، فقد كان القرآن يأتي بجوانب من قصص بني إسرائيل ليفضح ما هم مقيمون عليه

من الكفر احتجاجا عليه. ومنهم قوله

تعالى

﴿لِأَنَّ التَّوْرَةَ نُزِّلَتْ أَنْ قَبْلَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ حَرَّمَ مَا إِلَّا إِسْرَائِيلَ لِبَنِي حِلًّا كَانَ الطَّعَامِ كُلُّ

فَاتْلُوها بِالْتَّوْرَةِ فَاتَّوَأَق

<sup>1</sup>سورة النساء، آية 157

<sup>2</sup>سورة البقرة، آية 91

﴿صَدِيقِينَ كُنْتُمْ إِنْ<sup>1</sup>

أما الأساليب الخاصة التي اتبعها القرآن في محاجة أهل الكتاب، فيمكن إجمالها بالأساليب

التالية:

1- التحدي: وهو أن يطلب منهم أمر للتدليل على صدقهم، ومنه قوله تعالى:

﴿صَدِيقِينَ كُنْتُمْ إِنْ فَاتَلَوْهَا بِالتَّوْرَةِ فَاتُوا قُلًّا<sup>2</sup>

2- إظهار تناقص أفعالهم مع أقوالهم: قال تعالى:

﴿وَهُوَ وَرَاءَهُ رُبَمَا وَيَكْفُرُونَ عَلَيْنَا أَنْزَلَ بِمَا نُؤْمِنُ قَالُوا اللَّهُ أَنْزَلَ بِمَاءٍ آمِنُوا لَهُمْ قِيلَ وَإِذَا

﴿مُؤْمِنِينَ كُنْتُمْ إِنْ قَبْلُ مِنَ اللَّهِ أَنْبِيَاءَ تَقْتُلُونَ فَلِمَ قُلْتُمْ مَعَهُمْ لِمَا مُصَدِّقًا لِحَقِّ<sup>3</sup>

3- بيان ما وقعوا فيه من اللبس: قال تعالى

﴿نِ لَهُمْ شُبُهَةٌ وَلَكِنْ صَلَبُوهُ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا اللَّهُ رَسُولَ مَرْيَمَ ابْنِ عِيسَى الْمَسِيحَ قَتَلْنَا إِنَّا وَقُولِهِمْ

﴿يَقِينًا قَتَلُوهُ وَمَا الظَّنُّ أَتَّبَاعَ إِلَّا عِلْمٌ مِنْ بِهِ هُمْ مَا مَنَّهُ شَكٌّ لِي فِيهِ اخْتَلَفُوا الَّذِينَ وَإِ<sup>4</sup>

4- مطالبتهم بالدليل البرهان على ما يزعمون قال

تعالى:

﴿بُرْهَانِكُمْ هَاتُوا قُلِّ أَمَا نِيَّهُمْ تِلْكَ نَصْرِي أَوْ هُوَ دَأَّكَانَ مَنْ إِلَّا الْجَنَّةَ يَدَّ حُلَّ لَنْ وَقَالُوا

﴿صَدِيقِينَ كُنْتُمْ إِنْ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سورة آل عمران، آية 93

<sup>2</sup> سورة آل عمران، آية 93

<sup>3</sup> سورة البقرة، آية 91

<sup>4</sup> سورة النساء، آية 157.

<sup>5</sup> سورة البقرة، آية 111.

ولا يزال هؤلاء الذين ذكرهم القرآن على ضلالتهم برغم تعاقب الأجيال، وتطور الحضارات خاصة اليهود بكيدهم وما يبطنون من مكر وضمينة للمؤمنين .

يأخذ الحجاج عند الشعراوي مظهر خطابة لا تتوخى الحوار، والتأثير المباشر بقدر ما تتوخى إنشاء حركة للتفكير بالمفهوم .

ومن شأن ذلك التفكير أن يدفع بصاحبه إلى تغيير نمط حياته ابتداءً بالتوبة وصولاً إلى تحقيق الهدف المنشود ألا وهو الإصلاح الذاتي، وقد طرق القرآن الكريم مدارج النفس، بوصف المخاطبين في درجات المؤمنون، المؤمنون حقاً وصدقاً، الشهداء والصديقون . . .

ما دون المؤمنين درجة: المؤمنون شكلاً: ينتمون إلى الإسلام بالرتابة التي يسير عليها المجتمع، بحيث تؤثر فيهم التيارات الوافدة والمستهدفة من كل مكان، خاصة من الأعداء، وأخطر هذه التيارات التي تأتي مغلفة بغطاء الدين، وقد تنبه لها القرآن- وقت البعثة- وسماهم المنافقون الذين كانوا ينحرون في كيان الأمة ويثيرون الفتن بين أبنائها، وهذا الطريق غالباً ما ينتهجه الاستعمار في سياسته فرق تسد .

وقد أشار الشعراوي إلى خطورة هذه السياسة التي جعلت الإسلام مصدر تفريق بدلا عن كونه مصدر جمع وتوافق .

في الدرجة الثالثة يأتي العصاة المذنبون، الذين يتعشرون عند تطبيق الإسلام لعدم توافق الواقع مع المبادئ الإسلامية العظيمة، ثم درجة عامة الكفار الملحدين المشركين المنافقين، وتكمن حجاجية هذا الخطاب في أنه يعالج كل فئة على حدة في حال الكلام عن الجزء وفي حال المقارنة بين الفئتين "هل يستوي الذين" ومرة يبين مصير كل فئة على حدة، وتبقى الفئة المتوسطة بين الفئتين

لا هي من الفئة الأولى ولا هي من الفئة الثانية. نستطيع إدراج هذا الخطاب في السلم الحجاجي التفاضلي غير أن الخطاب القرآني يُبقي المجال مفتوحاً لإمكانية تغير معطيات هذه التراتبية عن طريق توبة المخطئ وانحراف المصيب.

# الفصل الرَّابِع

## آليات الحجاج عند الشعراوي

مباحث الفصل

- 1- دور الباطِّ ومواصفاته.
- 2- دور المتلقي في تحقيق أهداف الحجاج.
- 3- نماذج متنوعة.

## توطئة

نروم من خلال هذا الفصل القيام بدراسة تحليلية لبعض المواقف الحجاجية في القرآن الكريم، بعض طرائف استقبالها في العصور المتأخرة -عند الشعراوي- مفكراً، داعية، مفسراً وكيف وظّفها في مساره الدعوي الإصلاحية؛ إذن ننظر إلى الشيخ متولي الشعراوي من جانبي التلقي والتبليغ، وكل متلق في الإسلام - لكتاب الله وتعاليمه، مكلف بالتبليغ، وهذا ما قام به هذا الداعية، ونواصل بعرض كيف تلقى طلاب الشيخ وأبناءه كلامه الشفوي، سواء الخواطر أو الدروس والمحاضرات.

وقام هؤلاء الطلبة بنقلها وكتابتها؛ من خلال هذا التقديم نحن أمام مشروع متداخلة أطرافه: القرآن - قراءة الشيخ - وكتابة طلبته، أي وجود طرفي الخطاب، (باث ومتلقي) لممارسة فعل الإقناع ويشترط عمل الحاجة كما يعرفه بيرلمان: « في وجود خطيب يتوجه بخطاب إلى جمهور»<sup>1</sup>.

وهذا القول يرمي إلى تغيير موقف أو شيء موجود، أو إلى كسب موافقة، وخطاب الشيخ الشعراوي بشتى تظاهراته يعتمد أساساً على الإقناع، ومن أهم أدواته المساءلة.

يقول الشيخ الشعراوي في مقدمة خواطره حول القرآن الكريم:

« إنه يخاطب قوى خفية في النفس لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان وهو أعلم به، هذه الملكات تنفعل حين تسمع القرآن فتلين القلوب ويدخل الإيمان إليها.

---

<sup>1</sup>Voir: Perelman, The new Pretoric and th humanities, O. Reidel, Holland, 1979, P. 10

ولقد تنبه الكفار إلى تأثير القرآن الكريم في النفس البشرية تأثيراً لا يستطيع أن يفسره أحد...  
ولكنه يجذب النفس إلى طريق الإيمان ويدخل الرحمة في القلوب»<sup>1</sup>.

ولو وقفنا على قيمة الإيقاع والنظام الصوتي البديع للقرآن الكريم لوجدنا أنها تتركز على قوة الإيحاء ومراعاة التقديم والتأخير وعذوبة الصوت، وانتقاء موضع الفاصلة، ووزن إيقاعها، وقوة دلالتها، وما تعمل من معانٍ ملائمة للغرض ومناسبة للسياق.

وهذه السمات التي تتسم بها الفاصلة وإيقاعاتها تدق على الأذان وتسحر القلوب، فتسرب إلى الروح لتتمكن منها. والقارئ يتنبه إلى إيقاعها أثناء التلاوة؛ وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي:

"كان أئمة الكفر يخافون أكثر ما يخافون، من سماع الكفار للقرآن، ويحاولون منع ذلك بآية وسيلة ويعتدون على من يتلو القرآن، بل تعدوا إلى أبعد من ذلك كما يروي لنا القرآن: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾"<sup>2</sup>.

الاستشهاد بالقرآن لتفسير القرآن، فهو يفسر آية بآية أخرى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قوة ومصداقية القرآن الكريم، وقدرة هذه الآيات البينات على التأثير في السامعين، مجرد سماع، فما بالك أن استمعوا بإتقان وتمعن.

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، المجلد الأول، مدخل، ص 6.

<sup>2</sup> سورة فصلت، الآية 26.

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، المجلد الأول، مدخل، ص 6.

## 1- دور الباث ومواصفاته في إنجاز عملية الحجاج

### 1-1- الداعية أنيق ومنظم:

يجب أن تظهر هيبة العالم على الداعية، وهذه الخاصية من الوسائل التي تساعد على نجاح مهمته في الدعوة إلى الله، وقد تعود الشيخ أن يخدم نفسه بنفسه، لباسه أصيل، ويمشي بتلقائية متواضعا.

يعرف الشيخ الشعراوي نفسه قائلا:

"أنا صاحب قضية نذرت لها العمر كله ولي مهمة هي الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وأعرف ما سينالني من ورائها، ولذلك فلن يصرفني المتقولون عن قضيتي ومهمتي؛ ومهما ارتفع صياح غير الملتزمين، وحملااتهم، هذا دليل على أنني ضرورة وجودية وأن لي مهمة"<sup>1</sup>.  
عالم مسلم ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ حيث عمل على تفسير القرآن الكريم بطرق مبسطة وعامية مما جعله يستطيع الوصول لشريحة أكبر من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، لقبه البعض بإمام الدعوة.

### 1-2- مهمة الداعية:

كان- رحمه الله- فصيحا بليغا ذا حجة قوية، لم يتردد يوما في الإجابة على أي سؤال، ودائما كانت إجابته مباشرة وتلقائية.

---

<sup>1</sup> محمد متولي الشعراوي، التوبة، أعده وعلق عليه وقدم له عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، المكتبة التوفيقية القاهرة مصر 2004، ص6.



"لخص مهمته في الحياة بقوله: أجاهد بكلمة طيبة أحمل بها منبهج الله إلى الناس وهذه هي مهمتي في الحياة"<sup>1</sup>.

### 1-3-الداعية والقرآن:

كان سبيله كتاب الله الذي لا تنتهي عجائبه، وقد ظل الشيخ الشعراوي ينهل من كتب العلم، وألوانه ما يخدم هدفه في الحياة. وقال في أواخر حياته، أنا أتممت القرآن ولم أكمله، بمعنى أنه أتمّ التفسير ولكن معاني القرآن ستظل جديدة.

### 1-4-الداعية مستمع جيد:

كان رحمه الله حاضر الذهن حتى آخر لحظات حياته، وكان مريضاً ينفذ تعليمات الأطباء بدقة ورضا، وكان يسألهم وكأنه يجمع معلومات عن الطب. وبالرغم من سعة أفقه وثقافته التي تعدت حدود العالم، إلا أنه كان مستمعا جيدا، ويجب تلقي المعلومات من متخصصين، وكان يقول: "إنها مهمة ليتعلمها ويستفيد منها في حياته وتفسيراته لأمر الحياة، وكان يحكي لأطبائه عن مشاكل الأمراض وكأنه متخصص"<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup>عبده مباشر، الشيخ الشعراوي وقضايا معاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، ص30.

<sup>2</sup> ينظر عبده مباشر، الشيخ الشعراوي وقضايا معاصرة، ص30.

## 2- الحجاج اللغوي عند الشعراوي:

اهتم الشعراوي باللغة وفاعليتها، وبيّن المعنى الحجاجي للغة القرآن، من خلال أمثلة نوردها فيما يلي:  
ففي تفسيره يقول:

"يقال محل فلان بفلان، أي كاد له كيدا خفيا ومكربا، والمحال هو الكيد والتدبير الخفي لكن حين يكيد الله، فلا أحد بقادر على كيده، وهو القائل سبحانه:  
﴿رُؤِيدًا أَمْهَلُهُمُ الْكَافِرِينَ فَمَهَلِ ﴿١٦﴾ كَيْدًا أَوْ أَكِيدُ ﴿١٥﴾ كَيْدًا يَكِيدُونَ إِيَّاهُمْ﴾<sup>1</sup> لأن كيد الله لا غالب له، وهو كيد غير مفضوح لأحد، لذلك قال تعالى:  
﴿الْمَكْرِبِينَ خَيْرُوا لَلَّهِ وَاللَّهُ وَّيْمَكُرُ وَيْمَكُرُونَ﴾<sup>2</sup>، هم أرادوا أن يبيتوا لرسول -صلى الله عليه وسلم- وأرادوا قتله، وجاءوا بشاب من كل قبيلة ليمسك سيفا كي يتوزع دمه بين القبائل، وترصدوا له المرصاد ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تصاحبه العناية، فخرج عليهم ملهما قوله تعالى: ﴿يُبْصِرُونَ لَا فَهَمَّ فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾<sup>3</sup>.

وبذلك أوضح لهم أنهم لن يستطيعوا دفع دعوة الإسلام، لا مجابهة ومجاهرة، ولا كيدا وتبينا؛ حتى ولو استعنتم بالجن؛ فالإنسان قد يمكر ويحابه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة الطارق آية 15-16-17.

<sup>2</sup> سورة الأنفال آية 30.

<sup>3</sup> سورة يس آية 9.

<sup>4</sup> تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7258.

من خلال النصوص القرآنية التي استدعاها النص الأول (الآية)، أثناء حديثه عن الكيد وأساليبه، بين لنا كيف رد الله سبحانه وتعالى على أعداء الإسلام، وأعداء نبيه -عليه الصلاة والسلام-؛ استدعى أو حضرته عدة نصوص قرآنية متعاقبة، الآية السابعة عشر من سورة الطارق، الآية الثلاثون من سورة الأنفال، الآية التاسعة من سورة يس؛ وذلك لتوافقها مع موضوع وسياق الآية التي هو بصدد تفسيرها من سورة الرعد، ومن بعد ذلك ينتقل إلى الآية التي تليها (رقم أربعة عشر من سورة الرعد)؛

يَبْلُغُ الْمَاءَ إِلَى كَفِّهِ كَبْسِطٍ إِلَّا بَشَىٰ لَّهُمْ يَسْتَجِيبُونَ لَا دُونَهُ مِنْ يَدْعُونَ وَالَّذِينَ الْحَقَّ دَعْوُهُمْ ﴿١٤﴾ ضَلَّلَ فِي الْكُفْرِينَ دُعَاءَ وَمَا يَبْلُغُهُ هُوَ وَمَا فَاهُ<sup>1</sup>.

والله سبحانه قد دعانا إلى أن نومن بآله واحد، وهي دعوة حق، والذين من دونه يدعون لإله غير حق.

وهكذا يتأكد لنا أن دعوة الحق هي أن تدعو القادر، أما الذين يدعون المعبودات الباطلة فهي تخيب من يدعوها في مقصده، ولذلك يقول الحق سبحانه هنا:

﴿بَشَىٰ لَّهُمْ يَسْتَجِيبُونَ لَا دُونَهُ مِنْ يَدْعُونَ وَالَّذِينَ الْحَقَّ دَعْوُهُمْ﴾<sup>2</sup> لأنهم لا يملكون شيئاً، فالصنم من هؤلاء لا

يسمع فكيف يستجيب؟

<sup>1</sup> سورة الرعد، آية 14.

<sup>2</sup> نفس الآية.

ثم يضرب الحق سبحانه المثل بشيء محس؛ ففعله كلنا، فيقول:  
﴿بَلِّغْهُهُهُوَ وَمَا فَاهُ لِيَبْلُغَ الْمَاءَ إِلَى كَفِّهِ كَبَسِطِ إِلَّا﴾<sup>1</sup> إذن هذا التشبيه التمثلي، (من يطلب غير  
الله،

يعود خائباً كالعطشان الذي بسط يديه إلى ماء ما هو ببالغه) وبهذا تكتمل الحلقة بالمسألة ثم  
بالغة، ثم بالبلاغة التي طبقنا عليها هذه الآية الكريمة، الإقناع بالتشبيه.

وكان الشيخ يقول الحل عندكم في القرآن، لكن لما ضاقت بكم الدنيا لم تلجأوا إلى الله،  
فاستقدمتم الخبراء. ولو أن هؤلاء الخبراء لم يعتدوا على شبر من الأراضي الزراعية، وهذا لعمرى  
بحق مواصفات الخطاب الحجاجي، متضمنات القول، المقابلة، الاستقصاء، الاندماج في مشاكل  
الأمة أو المجتمع الذي يشترك في رقعة جغرافية واحدة، ويشترك في الألم والأمل.

### 3- حمولة الكلمة الحجاجية عند الشعراوي:

في قوله عز وجل: ﴿عِبَادُكَ فَإِنَّهُمْ تُعَذِّبُهُمْ إِنَّ﴾<sup>2</sup>

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَتُوْلَا عِبَادِي أَضَلَلْتُمْ أَنْتُمْ﴾<sup>3</sup>

يبين الشيخ الحمولة الحجاجية لكلمة عباد، المكررة في الآيتين المذكورتين وذلك بالرجوع إلى  
قضية علاقة الإنسان بالكون، حيث نجده مخير في أمور، ومقهور في أخرى، فهم جميعاً عبيد، بهذا  
المعنى يستوي في القهر المؤمن والكافر، إذ كل الخلق عبيد فيما لا اختيار لهم فيه. ثم بعد ذلك  
نقسمهم إلى قسمين:

1 نفس الآية.

2 سورة المائدة، آية 118.

3 سورة الفرقان، آية 17.

عبيد يظنون عبيداً لا يدخلون في مظلة عباد الله، و عبيد انصاعوا إلى ربهم؛ ولطول النص نبينه في هذا الجدول:

عبيد تمردوا واختاروا غير مراد الله		عبيد انصاعوا إلى ربهم	
أما الكفار فاختاروا مرادهم وتركوا مراد الله، واستعملوا اختياراتهم ونسوا اختيار الله ربهم حيث خيبرهم تؤمن أم تكفر قال أكره - شرب الخمر، السرقة- فهم لا يستحقون شرف هذه الكلمة أن يقال لهم عباد .	تقابل	خرجوا من مرادهم لمراده سبحانه وتعالى وذلك لوجود اختيار في الدنيا وهؤلاء هم المؤمنون	في الدنيا عباد وعبيد
		سماهم عباد لأنهم لم يعد لهم خيار يتمردون فيه فاستوا مع المؤمنين في عدم الاختيار مع مرادات الله عز وجل.	في الآخرة كل الناس عباد

ويواصل مع هذه الكلمة في سورة الإسراء ﴿شَدِيدِ بَأْسٍ أُولِي لَنَا عِبَادًا عَلَيْكُمْ بَعَثْنَا﴾<sup>1</sup>؛ فيقول في خواطره عنها:

"المقصود بها الإفساد الأول الذي حدث من اليهود في ظل الإسلام، حيث تقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباد هم رسول الله والذين آمنوا معه عندما جاسوا خلال ديارهم، وأخرجوهم من المدينة وقتلوا منهم من قتلوه وسبوا من سبوه".<sup>2</sup>

وبعد هذه الجولة مع آيات الله التي تتكلم عن كلمة عباد، وما تحله من طاقة حجاجية . . . يقول الشعراوي: " لما تخلى المسلمون عن منهج الله الذي ارتفعوا به، تنصلوا عن كونهم عباداً لله،

<sup>1</sup>سورة الإسراء، آية 5

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ج14، ص 8356، وذكر هذا المعنى في تفسيره سورة المائدة ج6، ص 3481.

فدارت عليهم الدائرة، وتسلب عليهم اليهود، وتبادلوا الدور معهم؛ لأن اليهود أفاقوا لأنفسهم بعد أن أدبهم رسول الله والمسلمون في المدينة، فأخذوا ينظرون في حالهم وما وقعوا فيه من مخالفات<sup>1</sup> ولا بد أنه قد حدث منهم شبه استقامة على منهج الله، أو على الأقل حدث من المسلمين انصراف عن المنهج وتنكب للطريق المستقيم<sup>2</sup>

لو تمعنا في الروابط الحجاجية المستعملة في هذا النص وهي: (ولا بد)، (أنه)، (قد)، تدل على حيرة، وأسى في نفسه على ما آل إليه حال المسلمين، كما تدل على اهتمامه بشأن الإسلام والمسلمين، كما أن هذه العبارة تشي بعمق تفكير، وبجث عميق في أمر المسلمين، "أي احتمال أن يكون تراجع المسلمين سببه انصرافهم عن منهج الله، وفتح الطريق أمام اليهود لأنه - وهو أمر مستبعد - قد يكون اليهود استفادوا من درس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، إنما تلك صحوة من اليهود ليست صحوة الإسلام والتوبة، بل هي صحوة المكر والمكيدة"<sup>3</sup>، ويؤيد كلامه بقوله عز وجل:

﴿نَفِيرًا أَكْثَرُ وَجَعَلْنَاكُمْ وَبَنِينَ بِأَمْوَالٍ وَأَمْدَدْنَاكُمْ عَلَيْهِمُ الْكِرَّةَ لَكُمْ رُدَدْنَا ثُمَّ﴾<sup>4</sup>.

1 نفسه ص 7924 .

2 نفسه ص 7924 .

3 نفسه ص 7924 .

4 سورة الاسراء، آية 6.

يقول الشيخ الشعراوي عن هاتين الآيتين الكريمتين: "وفعلا أمدهم الله بالمال حتى أصبحوا أصحاب رأس مال في العالم كله وأمدهم بالبنين"<sup>1</sup>. وهذا خير دليل على ترسّ الشيخ وخبرته السياسية.

#### 4- دور المتلقي في تحقيق أهداف الحجاج ونجاحه:

بعد أن يعتدل الشيخ في جلسته، ويستقبل مرديه الذين يجدهم متحلّقين (أي في حلقة جالسون) يرقبون جلوس الشيخ وبداية الحلقة: أو اللقاء، يسود الهدوء، يبدأ باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله يتذكر معهم الموضوع الذي توقفوا عند شرحه في اللقاء السابق يقول الشيخ "وصلنا في خواتمنا لهذه الآية عند قوله تعالى . . ."

ويواصل الشرح بعد قراءة الآية المراد تفسيرها من المصحف، والمصحف بيمينه ثم يرفع رأسه بعد أن كان مائلا إلى اليمين . . . ينظر إلى الجمهور (المتحلّقين أمامه) حتى يلاحظ مدى انسجامهم، وذلك بملاحظة جلوسهم، وهيئتهم، وتهليلاتهم إن راق لهم الحديث.

فمرات عديدة يبدأ الإجابة عن الأسئلة ويشير بيده على أساس أن بقية الكلام المسكوت عنه معلوم لديهم. وهنا تبرز حجاجية الإشارة، و حجاجية الصمت كذلك.

حجاجية ضرب المثل من الواقع:

---

<sup>1</sup>خواتم الشعراوي، عبر برنامجه التلفزيوني.

ويبين الشيخ نفسه هذه الميزة بقوله في تفسير سورة النحل: " ونذكر مثالا كثيرا ما كررناه ليرسخ في الأذهان- والله المثل الأعلى- هب أنك سائر في طريق تقصد بلدا ما، فصادفك مفترق لطرق متعددة، وعلامات لاتجاهات مختلفة، عندها لجأت لرجل المرور: من فضلك أريد بلدة كذا، فقال لك من هنا، فقلت الحمد لله، لقد كدت أضل الطريق، وجزاك الله خيرا .  
فلما وجدك استقبلت كلامه بالرضا والحب، وشكرت له صنيعه أراد أن يزيد لك العطاء، فقال لك: لكن في هذه الطريق عقبة صعبة، وسوف أصحبك حتى تمرّ منها بسلام"<sup>1</sup>. هنا ضرب المثل من الواقع، وتوجيه السلوك استلهما الشيخ من القرآن الكريم، وهذه الآلية لها دور عظيم في التعليم والتوجيه .

## 5- تنوع الخطاب بتنوع مستويات المخاطبين:

يتنبه الشيخ الشعراوي إلى مستويات المخاطبين بالقرآن الكريم: «فالذين يسمعون هذا سينفعلون انفعالات مختلفة»<sup>2</sup>، وكذلك قوله: « فهناك الكثير من الملكات التي يمكن أن تتحرك، فملكات الواجد حين تتحرك فحركتها تكون بأسلوب غير الأسلوب الذي تتحرك به ملكات المعدم. فقبل أن يُحرك وجدان المعدم إلى أنه معدم، حتى لا يتلقى ذلك بجمرة، فإنه سبحانه يكون قد عمل رصيذا لهذا المعدم فيرقق قلب الواحد أولا»<sup>3</sup>.

هذه العبارات وغيرها كثير يكشفها لنا الشيخ الشعراوي عبر خواطره ليتبين لنا تنوع ملكات المخلوقات، فإحساس الغني يختلف عن إحساس الفقير حين ذكر الطعام، ونلاحظ كلمة

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 7922، 7923 .

<sup>2</sup> للتفصيل في هذا، ينظر: تفسير الشعراوي، ص 1620 .

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، ص 1621 .



"حسرة" وهي تمثل الانفعال النفسي الذي يحدث عند (المعدم) عند ذكر الطعام أو تحريمه، وخالق الأنفس أدرى بمخارجها، لذلك فهو قبل أن يُعرض هذا الفقير للإحساس بالحسرة فإنه يرقق قلب الغني، ويأمره بالصدقة. ويفصل الشيخ في هذا الموضوع إذ يوصي إلى أمر مهم؛ هو أن تقلب الزمان قد يردي ذلك الغني فقيراً، فلا يُحرم من فضيلة الأخذ من الغني، وبالتالي، نجد الشيخ ينبهنا إلى قضية حجاجية مهمة هي مراعاة الخطاب القرآني لمستويات المخاطبين المختلفة، فخطاب المولى عز وجل للغني فيه مراعاة لشعور الفقير، إذ ينتزع من الأول نصيباً من المال، إذا ما أذاه يصبح كأنه يحفظ ذلك الحق لنفسه حسب فهم الشيخ، فإن الغني قد تدور عليه عجلة الحياة فيصبح فقيراً، فيضمن له الحق سبحانه وتعالى كرامته ونصيبه من غيره.

#### 6- من الخواطر إلى التداول:

بدأ الشعراوي كلامه عن التفسير، وهو يقر بأن مسيرته مع القرآن مجرد خواطر إيمانية، وسبحات ربانية لاحت لرجل عاش مع القرآن طيلة عمره، يتفكر في آياته، ويتدبر معانيه، ويتشوق إلى فضائله وبركاته، ولكن سرعان ما وجدنا الشيخ الشعراوي يتوسع في تفسيره لتتلاشى الخواطر، وتحل محلها النزعة اللغوية والبلاغية والاجتماعية، ليخرج بذلك من دائرة (الخواطر) إلى دائرة التفسير الموسوعي، الذي يشتمل على كل ألوان التفسير ونماذجه، وهذا يحمل بصمات أستاذه سيد قطب ومنهجه في التفسير.

#### 7- الشعراوي بين الأصالة والعصرية:

للشيخ قدم راسخة في التراث اللغوي والديني، غير أنه اندمج في المجتمع بمختلف طوائفه ومستوياته من القاعدة - مع الفلاحين والفقراء - إلى وسط التعليم - مع الطلبة والأساتذة - إلى

الوزارة... من البداوة إلى الحضارة مروراً بجسر الاستعمار واختلاط الشعوب ونهضتها السريعة، ثم صحوتها وتعصبها للدين وتنبه إلى خطورة الانغماس في التطرف واطلع على قوانين المجتمع المعاصر، وما وصل إليه من تطور خاصة الآثار السلبية التي تمخضت على هذه النقلة، سواء أقصى التفتح وأقصى درجات الانغلاق.

وهذه قصة عن الواقع الذي عايشه الشعراوي وتنبأ بخطورة مستقبله.

صاحت الفتاة فرحة بالجيل الرابع، وكأن قريبة لها ولدت، نظرت إليها مستغربة لانفعالها المفاجئ، فأشارت إلى هاتفها قائلة، أطلقوا قمراً صناعياً (Satellite)، في الفضاء يسهل عملية الاتصال صوتاً وصورة.

تبسّمت وحضرتي الناقد عبد الله الصائغني إطلالته من خلال كتابه الموسوم بـ "الخطاب الإبداعي الجاهلي والصور الفنية"، حيث يقول:

" كان الخطاب النقدي موجّهاً قبل خمسة عشر قرناً إلى نمط من الناس على شيء من المعرفة البسيطة تناسب ذهنية المتلقي عهد ذلك، ومسوخ الخطاب النقدي الحديث إذا أراد التوصل الكامن في مقارنته لذهنية هذا العصر. إن مخاطبة المتلقي الجاهلي بلغة القرن الحادي والعشرين والانقسام قائم في الحالين<sup>1</sup>، وبطبيعة الحال لا بدّ من الموازنة بين التطور والأصالة، غير أنّ الأصالة تبقى كامنة في الأعمال الأصيلة، وقد أوافق الرأي والأمر يتعلق بالشعر الجاهلي، لكنّ الرأي يختلف إذا انتقلنا من مجال النقد الأدبي إلى دراسة القرآن الكريم، فالدكتور عشارتي يقول:

---

<sup>1</sup> عبد الصائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصور الفنية، ص 25

"فالنص القرآني بحكم طابعه الإلهي يتأبى إلى حدّ كبير عن أن يُضاهى بعدة إجرائية وضعيّة، فهو منزل تنظمه هيئة خطابية امتازت بتساوق استثنائي بين الضمنية والأداء"<sup>1</sup>.

لست أمام ذات الموقف من كلمة يتأبى، فإنه لم يقل باستحالة دراسة القرآن الكريم بمنظار العصر، وإنما يريد الإشارة إلى قصور العقل البشري أمام عظمة البناء القرآني في صيغته وأسلوبه وألفاظه.

## 8- تحديد هوية المخاطبين:

يخاطب الشيخ الشعراوي جماعة من المسلمين بقوله: "أخي المسلم، أختي المسلمة"<sup>2</sup> لفظة الأخوة، فكل المسلمين إخوة، في أي زمان وفي أي مكان. وقد بدأ بالمذكر، ثم المؤنث (أخي، أختي) على معهود العرب، فلو خاطبنا جماعة من النساء وفيهم رجل واحد نخاطبهم بصيغة المذكر.

وكذلك في الخطاب القرآني نجد في سورة التوبة

﴿فِيهَا خَلِيدِينَ الْأَنْهَارِ تَحْتَهَا مِنْ تَجْرِي جَنَّتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ اللَّهُ وَعَدَّ﴾<sup>3</sup>

﴿هُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُمْ حَسِبَهُمْ هِيَ فِيهَا خَلِيدِينَ جَهَنَّمَ نَارًا وَالْكَفَّارَ وَالْمُنْفِقَاتِ الْمُنْفِقِينَ ۖ اللَّهُ وَعَدَّ﴾<sup>4</sup>

﴿مُقِيمٌ عَذَابٌ ۗ﴾<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سليمان عشراطي، الخطاب القرآني: مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 4.

<sup>2</sup> محمد متولي الشعراوي، التوبة، أعده وعلق عليه وقدم له عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، ص 66.

<sup>3</sup> سورة التوبة، آية 72

<sup>4</sup> سورة التوبة، آية 68

غير أن التقاليد الغربية تقدّم خطاب الأثني على الذكر، ومن هذا يظهر لنا مراعاة الخطيب للثقافة السائدة، والذهنية العربية المسلمة.

ثم يواصل الخطاب بالجمع: " اعلموا عباد الله، أنّ التوبة من الذنوب، بالرجوع إلى ستار العيوب، وعلام الغيوب، واجبة على الفور والدوام".

أي أنّ باب التوبة مفتوح للجميع ذكورا وإناث، لا يفرق بين الجنسين في الثواب، والعقاب، فالمصير يحدده إيمان الإنسان (ذكر، أو أثنى) بلا تفرقة في الجنس.

#### 9- مبدأ مناسبة الصلة: Principe de pertinence

جمهور الشيخ الشعراوي واسع جدا حيث تنقل عبر كل القارات أمريكا، أوروبا وإفريقيا، وبفضل وسائل الإعلام يخترق صوته عبر الفضائيات كل أرجاء المعمورة، مما يجعلنا ندرج مبدأ "مناسبة الصلة". وذلك في أحاديثه الأسبوعية، إذ يربط كلامه بالمقام، فالحديث مع عامة الناس من الوطن غير الحديث مع عامة الناس خارج الوطن؛ فلكل مقام مقال.

رسالة الداعية (الشعراوي) واضحة، ودعوته للخير يستمدّها من كتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وعن سؤال ماذا نصنع أمام الأفكار الوافدة؟ يرد بما يلي: "أقول ببساطة أن يبدأ مستقبل الفكرة بدراستها وتحصيلها، لينقيها من الدعايات والزيف الذي قد يغلب مقاصدها ومن الهالة التي يحيطها بها الأنظار.

وبعد تجلية الفكرة، يقدم على الخطوة التالية، وهي عرض الفكرة الأساسية، على رجال الدين والباحثين للبحث عما يقابلها من أفكار.

ويصبح واجبا عليه أن يأخذ بالفكرة الأصلية المستمدة من الإسلام ونبذ الفكرة الوافدة<sup>1</sup>.

هذه الإجابة دالة على عقل ناضج، مجرب ومنظم يتعامل بالبحث والتمحيص، ولا يفتخر بالدعاية والزيغ، والقائل على مبدأ التشاور والاحتكام لله ولشرع الله.

## 10- الحجة على طلاقة القدرة:

يتحدث الشيخ الشعراوي عن قصة الإسراء، ودقة القرآن في تعبيره عنها بكلمة (الرؤيا). وهذا التعبير يدل على الإسراء الضيق الذي لا يناسب القرآن، والإشكال المطروح يقول الشيخ "هل المقصود الرؤيا المنامية؟ أيعقل أن يعطي المولى عز وجل للكفار والمشككين فرصة لأن يقول: أن الإسراء والمعراج كان مناما؟

ولمن قال بذلك يحاججه الشيخ الشعراوي بمعهود العرب في لغتهم، ويستشهد لذلك بأشعارهم:

"نقول ومن قال إن كلمة رؤيا مقصورة على المنامية؟

إنها في لغة العرب تطلق على المنامية والبصرية. بدليل قول شاعرهم:

فكبر للرؤيا وهشّ فؤاده      وبشر نفسا كان قبل يلومها

---

<sup>1</sup> عبده مباشر، الشيخ الشعراوي وقضايا معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009.

أي: قال الله أكبر حينما رأى الصيد الثمين يقترب منه، فعبر بالرؤيا عن الرؤيا البصرية.  
ثم يواصل بقوله: فوجه الإعجاز هنا ليس في الذهاب إلى بيت المقدس، لأنه كثيرا من كفار مكة قد ذهب إليها في رحلات التجارة وغيرها بل وجه الإعجاز في الزمن الذي اختصر لرسول الله، فذهب وعاد في ليلة واحدة. بدليل أنهم سألوا رسول الله "صف لنا بيت المقدس"<sup>1</sup>.  
ولو كانوا يشكون في الحدث ما سألوا هذا السؤال، إذن فاعتراضهم على وقت هذه الرحلة التي كانوا يضربون إليها أكباد الإبل شهرا. وتخبر محمد صلى الله عليه وسلم أنه أتاها في ليلة واحدة.

وكعاداته يضرب مثلا من الواقع بقوله: وهب قائلا قال لنا: رأيت الليلة أنني ذهبت من القاهرة إلى نيويورك إلى هاواي إلى اليابان، أتكذبه ؟

ثم يواصل بهذا الأسلوب البسيط، ويغلب المسألة من كل الوجوه، كمن يقود طفلا، ويعلمه خطوة، خطوة فبعد إثبات المعنى اللغوي لكلمة رؤيا والتفريق بين رؤية المنام، والرؤيا البصرية، ينتقل بنا الشيخ إلى وجهة أخرى ليؤكد ما قاله، " ومن ناحية أخرى لو أن الإسراء والمعراج رؤيا منامية أكانت توجد فتنة بين الناس ؟ "<sup>2</sup>

إذن قول الله تعالى عن هذه الرؤيا أنها فتنة للناس عدلت المعنى من الرؤيا المنامية إلى الرؤيا البصرية، وكان الحق سبحانه اختار هذه الكلمة ليجعل من الكافرين بمحمد دليلا على صدقه، فيقولون نحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرا، وأنت تدعي أنك أتيتها في ليلة ؟

---

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي ، ص 8320 .

<sup>2</sup> نفسه ص 8321 .

فلو كانت هذه الحادثة مناما لما قالوا هذا الكلام. وفي الأخير يرجع الأمر إلى الله، بين لنا استدراج المكذبين ليشهدوا بألسنتهم على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل يواصل ليغوص في قلب الحدث محاولا استخلاص العبرة، فكلام الله وكلام رسوله، ولا تطرح قضاياها لإهدار كل هذا الوقت في الاحتجاج، والتفكير والتأويل دون الخروج بفائدة، يواصل الشيخ بطرح سؤال وجيه حتى لا يترك مجالاً في النفس للريبة في صدق الحجة، والسؤال:

" ما الحكمة من فتنة الناس واختبارهم بمثل هذا الحدث؟"<sup>1</sup>

ويجيب: " الحكمة تمحيص الناس وصهرهم في بوتقة الإيمان تمييز الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر"<sup>2</sup>، فلا يبقى في ساحتنا إلا صادق في الإيمان قوي العقيدة، لأن الله تعالى لا يريد أن يسلم، منهجه الذي سيحكم حركة الحياة في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، إلا إلى قوم موثوق في إيمانهم ليكونوا أهلاً لحمل هذه الرسالة.

## 11- الرد على المشككين

عزز الشعراوي هذا النص بالسؤال "ما الحكمة من فتنة الناس، واختبارهم بهذا الحدث؟" وما مجرد طرح السؤال من أثر على النفوس، وتهيئتها لانتظار الجواب. وقد مرّ ذكر هذا الحدث عشرات المرات في كل عام - يأتي موعد الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج - ولم يخطر بالهم مثل

---

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 8322.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ص 8650.

هذا التساؤل لأن المؤمن البسيط يتلقى الأحداث كما هي، دون مناقشة ولا جدال، بيد أن هنالك الأيدي الخفية تنبش لزرع الشكوك وإثارة الفتن.

فالشيخ الشعراوي تعامل مع الموضوع بذكاء، وفجر القلوب المحقنة، والمنكرة لهذه الحقائق بدعوى العقل والمنطق. وهو يريد أن يعالج هذا الموضوع، بذات الوسيلة التي يتذرعون بها؛ ثم يجب أن هذا الحدث ومثله كثير من المشاكل والابتلاءات، جعلها الله لعباده حتى يتمحص المؤمن المصدق لنبيه -صلى الله عليه وسلم- من الخبيث المنافق الذي يريد بث روح الفتنة والبلبلة في أوساط المؤمنين.

ولا بد أن الشيخ لفت الانتباه إلى هذه الزاوية من الحدث لأنه على دراية بما يتقوه به المتشككون في مصداقية الرسالة.

### 11-1- الشجرة الملعونة في القرآن

وعن خواتمه حول ( الشجرة الملعونة في القرآن):

أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس أيضا، وإن كانت الفتنة على الإسراء كامنة في زمن وقوع حدوثه، فهي في الشجرة كامنة في أنه تخرج في أصل الجحيم في تعرجهم.

يطرح الإشكال المنطقي بقوله: "ومعلوم أن الشجرة في جهنم؟ ومن هنا كانت الشجرة فتنة تمحص إيمان الناس، لذا لما سمع أبو جهل هذه الآية جعلها مشكلة، وخرج على الناس يقول: "اسمعوا ما يحدثكم به قرآن محمد، يقول: إن في الجحيم شجرة تسمى "شجرة الزقوم"، فكيف يستقيم هذا القول، والنار تحرق كل شيء حتى الحجارة؟"<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 8650-8651.



بعدها طرح الشيخ قضية شجرة جهنم، وصنفها في مصاف المشاكل التي اعترضت سبيل الدعوة، فما هو موقفه من هذه المشكلة ؟

روى الشيخ رواية أبي جهل (رد فعله) لما سمع هذه الآية بكيفية تختلف عن رواياتها من طرف تلامذته في الهامش، وقد تتبعنا كثير من الخواطر فوجدناه نقلا حرفيا لكلام الشيخ شفاهة غير أن هذا الهامش جاء مختلفا عن الرواية المذكورة في المتن والدليل: أن الشيخ لم يخرج الأحاديث، ولا يهتم بشيء رسمي مثل هذا وذلك لاهتمامه بإيصال الفكرة بأوضح عبارة حسب مقتضى الحال أي حالة المستمعين: الذين يستوحى كلامهم من نظراتهم ومدى انسجامهم عند السماع إليه فهو أمام عامة الناس، وليس في ندوة علمية حتى يدقق في تخرج الأحاديث. وقد اقتضى تلاميذه وأبنائه في أثر حديثه بالتنقيح: والإخراج والتمهيش زيادة في التوضيح للقارئ باعتبار ما سيكون.

الشيخ بكلامه الشفوي، مع الحضور والتلاميذ باعتبارهم عنصر تلقي، وعنصر موضح، وشارح بالدرجة الثانية يكملان بعضهما، والشيخ يعد متلقيا للقرآن، ولثقافة الإسلامية، ومفسر أو مؤول (عبر خواطره التي يعدها مجرد نفحات)

يقول الشيخ الشعراوي " وهذا الاعتراض مقبول عقلا. لكن المؤمن لا يستقبل آيات الله استقبالا عقليا، وإنما يعمل حسابا لقدرته تعالى لان الأشياء لاتأخذ قوامها بعنصر تكوينها، وإنما تأخذه بقانون العنصر نفسه، فالخالق سبحانه يقول للشجرة " كوني في أصل الجحيم، فتكون في أصل الجحيم - بطلاقة القدرة الإلهية التي قالت للنار: كوني بردا وسلاما على إبراهيم"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>خواطر الشعراوي، تسجيل صوتي.

"قد قال ابن الزبيري حينما سمع قوله تعالى:  
﴿لِّلظَّالِمِينَ فِتْنَةٌ جَعَلْنَاهَا إِنَّا﴾ <sup>1</sup> الزُّقُومِ شَجْرَةٌ أَمْ نُّزُلًا خَيْرًا ذَلِكَ﴾<sup>1</sup>

فقال: والله ما عرفنا الزقوم إلا الزبد على التمر. فقوموا تزقوموا معي". أي استهزاء بالكلام، وتكذيباً لرسوله صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

"أما المؤمن فيستقبل هذه الآيات استقبال الإيمان والتسليم بصدق كلام الله، وبصدق المبلغ عن الله، ويعلم أن الأشياء لا تأخذ صلاحيتها بعنصر تكوينها وإنما بإرادة المعنصر أن يكون، لأن المسألة ليست ميكانيكا وليست نواميس تعمل وتدبر الكون لأن قدرة الخالق سبحانه وطلاقة هذه القدرة"<sup>3</sup>.

يتراكب الشيخ في كلامه بصمات العصر بواسطة هذه المصطلحات الدالة على التكنولوجيا (ميكانيكا) وهذه الكلمة ما لها من طاقة حجاجية تحرك أذهان السامعين: وتوجه تفكيرهم إلى قدرة الله.

## 12- نماذج للحجاج عند الشعراوي:

بعد بسط الأرضية للعملية الحجاجية - في المبحث السابق - نعرض بعض المواقف الحجاجية عند الشعراوي لتبيان طريقته في فهم كتاب الله بشتى الوسائل: المنطق، المساءلة،

<sup>1</sup> سورة الصافات، آية 62-63.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ص 8651.

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، ص 8652.

والتسليم أمام القدرة الإلهية، وضرب الأمثال، وأبيات الشعر قديمه وحديثه، وكل ذلك بهدف الإيضاح، والإقناع والدعوة إلى الحق.

## 12-1- من المنطق إلى الحجاج:

إن كان رسول الله صلى عليه وسلم يريد فرض سلطانه فجأة وإن لم يفعل ذلك وهو في ريعان شبابه. حيث لم يكن يرق له بريق الدنيا وزهوها، ولم يكن يخالط أترابه من قتيبة قريش، وكان ينفرد بنفسه في الجبال، بعيدا عن كل ذلك، فكيف يريد كما اعتقدت قريش، ونسلم باعتقادهم هذا، فإن هذه الآية عن انتصار الروم لا تخدم ما سلمنا به، وتفتد اتهامهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على حد تعبير الشيخ الشعراوي، فلا المنطق ولا الحيلة يبران إتيانه بهذا الخبر عن انتصار الروم بعد غلبتهم، ولنتبع هذه الحجة كيف أبكت قريشا، وشتت أفكارهم، وكذبت مزاعمهم.

## 12-2- حجج القرآن في إثبات النبوة:

اتهمت العرب - رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما اتهموه به من سحر وجنون، بأن القرآن من تليفه، يقول الشيخ محمد متوالي الشعراوي:

" والقرآن نزل يتحدى العرب في اللغة، ولكن لأنه متحد لغير العرب وقت نزوله، فقد حدثت حرب بين الروم والفرس وقت نزول القرآن، وكانت الروم والفرس كالولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي في عصرنا. كاتنا أعظم وأقوى دولتين في ذلك العصر؛

سِّنِينَ بِضَعِّ فِي ۖ سَيَغْلِبُونَ غَلِبَهُمْ بِعَدَمٍ ۗ وَهُمْ الْأَرْضِ أَدْنَىٰ فِي ۖ الرُّومُ غَلِبَتْ ۖ الْمَ ﴿٤﴾  
المؤمنون يفرح ويومئذ بعدو من قبل من الأمر لله<sup>1</sup> لو أن هذا القرآن من عند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ما الذي يجعله يدخل في قضية كهذه، لم يطلب منه احد أن يدخل فيها،  
وكيف يغامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلام متعبد بتلاوته إلى يوم القيامة لا يتغير ولا  
يتبدل، وماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الدين كله لو أن الحرب حدثت وانتصر الفرس مرة  
أخرى<sup>2</sup>.

إذن فاختلاف أساليب القرآن الكريم والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، أكبر دليل  
على أن القرآن والأحاديث القدسية ليست من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لان  
الشخصية الأسلوبية لأي إنسان هي شخصية مميزة.

نلاحظ أن الحججة قوية في الرد على من اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن القرآن  
من عنده، من حيث المحتوى أولاً، أدرج حجة طرح قضية ليس في صالحه طرحها ولو كان فعلا  
القرآن من عنده، ولا يوجد أي داع إلى التنبؤ بنتيجة حرب لم تحدث بعد، هذا من ناحية، ومن  
جهة أخرى أجرى مقارنة بين أسلوب القرآن، وأسلوب الأحاديث القدسية التي هي من عند الله؛  
وأسلوب الحديث النبوي الشريف الذي هو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup>سورة الروم، آيات 1، 2، 3، 4.

<sup>2</sup>تفسير الشعراوي، ص 8، 9.

الشعراوي يفند مزاعم قريش، مرة بالمضمون المتمثل في سورة الروم حول حربهم مع الفرس، ومستقبل هذه الحرب. والمرة الثانية بالشكل، ويقال أنّ الرجل هو الأسلوب، فما سبب اختلاف هذه الأساليب الثلاث.

وهذه كلها حجج دامغة لا سبيل لمكذب في دحضها.

### 12-3- أنواع الخطاب القرآني حسب معهود العرب و حجاجية:

في المرحلة الأولى: ذكر خطاب الكاهن، وخطاب الساحر، وخطاب المجنون، لأنها هي أنواع الخطاب التي اعتادوها.

قالوا: إنّ محمداً بشرٌ مثلهم فلماذا يسلمون له بالنبوة والرسالة؟

وفي هذا يقول الحق: ﴿كَذَّابٌ سَاحِرٌ هَذَا الْكَافِرُونَ وَقَالَ مِنْهُمْ مُنذِرٌ جَاءَهُمْ أَنْ وَعَجِبُوا﴾<sup>1</sup>

﴿عَذَابٌ يَذُوقُوا الْمَابِلَ ذِكْرِي مِّنْ شَكِّ فِي هُمْ بَلَّ بَيْنَنَا مِنَ الذِّكْرِ عَلَيْهِ أُنزِلَ﴾<sup>2</sup>

ويبدي بعض كفار قريش نوعاً من التعجب المشرب بالاستهزاء من أن يكون بشرٌ مثلهم

يتلقى الوحي من الله، فيجيبهم القرآن:

﴿قَدْ مَلَّهِمْ أَنْ آمَنُوا الَّذِينَ وَبَشِّرِ النَّاسَ أَنْذِرِ أَنْ مِّنْهُمْ رَّجُلٌ إِلَىٰ أَوْحَيْنَا أَنْ عَجَبًا لِلنَّاسِ أَكَانَ﴾

﴿مُبِينٌ لِّسَاحِرٍ هَذَا إِنْ الْكَافِرُونَ قَالَ رَبِّهِمْ عِنْدَ صِدِّ﴾<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سورة ص، آية 4

<sup>2</sup> سورة ص، آية 8

<sup>3</sup> سورة يونس، آية 2

## 12-4- حجاجية ضرب المثل لتقريب صورة الوحي:

يذكر الجابري إلى جانب حيرة قريش أمام الخطاب القرآني، وعدم استيعابهم لقضية النبوة بعدها عن معهودهم في التفكير والاعتقاد، يذكر قضية مهمة أخرى تُعد من الأسباب القوية في رفضهم للدعوة المحمدية، بل الرفض الموجه بالعداوة والاضطهاد والتعذيب والحملات المسعورة على أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، هذه القضية هي خوفهم من ضياع مكانة آلهتهم التي يحج إليها العرب، ويقدموا لها الهدايا.<sup>1</sup>

يقول الحق جلّ وعلا: ﴿إِلَيْكَ أَوْحَيْنَا بِكَ﴾<sup>2</sup>

والموحى إليه هو محمد صلى الله عليه وسلم، وهو وحي خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلا تقل أنا لم أسمع ماذا أوحى إلي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أعرف كيف نزل الوحي<sup>3</sup> فقد جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه أن يعلن ما أوحى إليه، ولو كنت أنت قادراً على سماع الوحي من جبريل، فما ضرورة إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم إذن؟

إن الطاقة والقدرة العالية المرسله إلى الموحى إليه تحتاج إلى قوة تحمّل.

1 محمد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم - الجزء الأول في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمراء، بيروت لبنان، ص 103.

<sup>2</sup> سورة النساء، آية 163.

<sup>3</sup> "عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"، أخرجه البخاري في صحيحه (2) ومسلم (2333).

يُعرب عن هذا المفهوم الشيخ الشعراوي بـ: ضرب المثل من واقع الناس المعاش: " مثل المصباح الصغير الذي تضيئه في المنزل ليلا لينير بالقدر المناسب كي لا نرتطم بالأشياء، وهو ما نسميه بالعامية: "وناسة". إذن: فمهمة الحوّل أن يستقبل من مصدر الطاقة القوي ليضيء لمصدر الطاقة الضعيف، والرسول صلى الله عليه وسلم من البشر لا يمكنه التلقي المباشر عن الله، لذلك لا بد من واسطة تبلغ في الارتقاء بما يسمح لها بالتلقي عن الله، وتستطيع أن تتلقي بالبشر هذه خاصية الملك<sup>1</sup>، إنه يستعمل الأدوات التي يستعملها الناس في عصره لتقريب مفهوم الوحي وكيفية حدوثه، ومدى قوّته واستحالة حصول التبليغ مباشرة من الله عزّ وجلّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وهذا خير جواب للمشككين من قريش وغيرهم في نزول الوحي من علّ.

ورغم هذه الواسطة جبريل عليه السلام يصيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الجهد والتعب في أوّل تلقيه للوحي، وكان صلى الله عليه وسلم يعرق حتى يتصفّد العرق من جبينه الشريف، وإذا انصرف عنه الوحي قال: " زملوني . . زملوني"<sup>2</sup>، ويرتعد . إذن: كان الوحي يُتعب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن يسري عنه التعب تبقى له حلاوة ما أوحى إليه، فيتشوّق ثانية للوحي .

وقد شاء الحق أن يشوّق النبي صلى الله عليه وسلم للوحي ففتر لمدة من الزمن، وحين اشتاق النبي صلى الله عليه وسلم للوحي، كان ذلك يعني أنّه قد شحن نفسه بطاقة متقبلة لاستقبال هذا الوحي بما فيه من تعب .

<sup>1</sup> ينظر الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج 9، ص 5654.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، حديث رقم 6581.

## 12-5- ضرب المثل عند الشعراوي:

يبتدئ الشعراوي في خطته الإقناعية والاستدلالية من الواقع المعاش عند المتلقين؛ فيقدم المثل الواضح البين الذي لا ينكره عقل أو عرف. ثم يؤسس عليه مثاله الذي يسعى إلى إدراجه لضمان نجاح عملية لإقناع. وهو على دراية تامة، وعميقة بأحوال المخاطبين وبموروثهم الثقافي، والحضاري، وبهموم مستقبلهم.

فهو فضلا عن كونه يحمل خصائص الجماعة الكبرى التي يتقاطع فيها السواد الأعظم، إنه بعبارة أخرى الثقافة، والحضارة، والمجتمع، والنصوص الخلفية الثابتة في اللاوعي الجماعي الموجه للوعي، والفهم، والتعامل داخل الزمرة الاجتماعية الخاصة، وقد لا يستعصي حصول هذه المعطيات لدى الشيخ المحرب المثقف، الوزير، الداعية، فضلا عن كل ذلك الحامل لكتاب الله وعيا، وإدراكا، والعارف بسنة سيد بني آدم صلى الله عليه وسلم، المحص لتاريخ وطنه مصر.

## 12-6- الاستشهاد بالشعر للتوضيح:

يقول الشاعر:

حسب نفسي عزا بأنني عبد  
هو في قدسه الأعز ولكن  
يحتفي بي بلا مواعيد رب  
أنا ألقى متى وأين أحب<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج1، ص 58.



استخدم المحاجج هذا الشاهد الشعري أثناء تفسيره لأية " الحمد لله رب العالمين " في سورة الفاتحة

من القرآن الكريم، وجاء هذا الشاهد الشعري؛ عندما ذكر المحاجج آيتين جليلتين تدلان على

استجابة الله . سبحانه وتعالى للدعاء، الآية الأولى هي قول الله عز وجل:

﴿رَبِّكَ جَهَنَّمَ سَيِّدٌ خُلُونِ عِبَادَتِي عَنْ يَسْتَكْبِرُونَ الَّذِينَ إِن لَّكُمْ أَسْتَجِبَادٌ دَعُونِي رَّبُّكُمْ وَقَالَ﴾

<sup>1</sup> «دَاخِلُ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿عَلَّهِمْ بِي وَلِيُّؤْمِنُوا إِلَى فَلَيسْتَ جِيبُوا دَعَانِ إِذَا الدَّاعِ دَعْوَةٌ أُجِيبُ قَرِيبًا إِنِّي عَنِّي عِبَادِي سَأَلَكُ وَإِذَا﴾

﴿يَرْشُدُونَ﴾<sup>2</sup>

والشاهد الشعري يبين قيمة الحمد والشكر تجاه المولى . عز وجل . حيث بابه مفتوح في

جميع الأوقات لمن ناداه ودعاه، فما أجمل وأفضل أن تكون عبداً لله . عز وجل . تلقى من أحببت

في كل وقت وحين . وحيث أن سورة الفاتحة نص قرآني كريم بين العبد وربّه، فقد ذكر المحاجج في

شاهده الشعري ما يدل على العبودية، وما يدل على الربوبية، تكمن حجاجية هذا الشاهد في

دعم الحجج لبعضها في كل من الآيات الكريمة، وبيتي الشعر (الحجج المتعاونة) .

وهو أول شاهد شعري يستخدمه المحاجج في خواطره الإيمانية، والشاهد الشعري الوحيد

الذي ذكره في تفسيره وخواطره حول سورة الفاتحة، كذلك لم يذكره غيره من المفسرين الذين سبقوه؛

فلم يستخدموا هذا الشاهد في تفاسيرهم.

## النفس والناس

<sup>1</sup> سورة غافر، آية 60 .

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 186 .

يقول الشاعر:

إذا أنا لم آت الدينّة خشية من الناس  
كان الناس أكرم من نفسي  
كفى المرء عارا أن يرى عيب نفسه  
وإن كان في كُنٍّ عن الجن والأنس<sup>1</sup>

البيتان السابقان هما الشاهد الذي استخدمه الحجاج في خواتمه حول قول الله - عز وجل

- في الآية القرآنية الكريمة :  
﴿مُهْتَدِينَ كَانُوا وَمَا تَجِرْتُهُمْ رَحِمْتَ فَمَا بِالْهُدَى الضَّلَلَةَ اشْتَرَوْا الَّذِينَ أَوْلَيْتِكَ﴾<sup>2</sup>

يوضح الحجاج في البيتين السابقين رأي الإنسان في نفسه، ويوضح من خلالهما أن المنافق صورته حقيرة أمام نفسه . يقول الحجاج: " والتمزق الذي عند المنافق أنه يريد أن يخفي عيوبه عن الناس ". فالإنسان القويم هو الذي يستطيع المواجهة والبعد عن كل العيوب التي تضر بذاته أولاً وبالجمتمع ومن حوله.

وبهذا الشاهد يوضح الحجاج صورة المنافقين الذين يلاقون الناس بوجه أمام أعينهم، ثم بعد تركهم يظهرون بوجه آخر، وبأسلوب متنوع ومتعدد يختلف ويتبدل تبعاً للأهواء وللنفس المنافقة . وقد وضع الحجاج بهذا الشاهد مقارنة بين النفس والناس . فعلى الإنسان أن يكون واضحاً بين نفسه وبين الآخرين، وتكمن حجاجية الشاهد هنا في التوجيه بغية تغيير السلوك، وذلك بتبيان مواطن الخلل، والنقائص المضرّة للنفس، والمضلة للناس عند المناق .

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج1، ص 162 .

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 16 .

وهو أول شاهد شعري يستخدمه المحاجج في خواطره حول سورة البقرة، كما أن هذا الشاهد لم يستخدمه المفسرون السابقون؛ فقد تفرد به المحاجج في خواطره وفي شواهد الشعريّة.

## ضرب الأمثال

يقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها      مثل الزجاج كسرهما لا يشعب<sup>1</sup>

ذكر المحاجج هذا الشاهد، ضمن خواطره حول قول الله - عز وجل - في الآية القرآنية الكريمة :

لَا ظُلْمَ لِي فِي وَتَرَكَهُمْ يُنُورِهِمُ اللَّهُ ذَهَبَ حَوْلُهُ مَا أَضَاءَتْ فَلَمَّا نَارًا اسْتَوْقَدَ الَّذِي كَمَثَلِ مَثَلُهُمْ  
﴿يُبْصِرُونَ﴾<sup>2</sup>

ويوضح المحاجج بهذا الشاهد كيفية ضرب الأمثال، فالقلوب عندما تنافر مثلها تماماً مثل

الزجاج المكسور، فالبيت شاهد على ضرب مثال: مسألة غيبية غير محسوسة (وهي تنافر

القلب) بمسألة واقعية محسوسة وهي (الزجاج المكسور). وبهذا الشاهد يُقرب المحاجج صورة

ضرب الأمثال ويوضحها للناس، حيث أن الآية القرآنية الكريمة تضرب مثلاً على صفات التمزق

عند المنافقين، وهي صفة غير محسوسة ولكنها موجودة بينهم؛ دائماً في إطار التربية والتوجيه،

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج1، ص 163.

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 17.

يبين القرآن الكريم مسائل غير محسوسة، بأخرى مادية محسوسة، وذلك لأجل تقريب الصورة وتوضيحها، واستخلاص الموعدة منها .

وقد تفرد شيخنا الجليل، والحاجج بهذا الشاهد الشعري، فلم يستخدمه الذين سبقوه في شواهدهم الشعرية في تفاسير القرآن الكريم.

### قصة مدح أبو تمام للخليفة

يقول الحاجج:

"ولقد أراد أحد الشعراء أن يمدح الخليفة وكانت العادة أن يشبه الخليفة بالأشخاص البارزين ذوي الصفات الحسنة، فقال:

إقدام عمرو في سماحة حاتم      في حلم أحنف في ذكاء إياس

وكل هؤلاء الذين ضرب بهم الشاعر المثل كانوا مشهورين بهذه الصفات، فعمرو كان مشهوراً بالإقدام والشجاعة، وحاتم كان مشهوراً بالسماحة، وأحنف يضرب به المثل في الحلم، وإياس شعلة في الذكاء؛ وهنا قام أحد الحاضرين وقال: الأمير أكبر من كل شيء ممن شبهته بهم. فقال أبو تمام على الفور:

لا تنكروا ضربِي له من دُونِهِ      مثلاً شَرُوداً في التَّدَى والبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ      مثلاً من المَشْكَاةِ والتَّبْرَاسِ

فأعجب أحمد بن المعتصم والحاضرون من ذكائه وأمر بأن تضاعف جائزته<sup>1</sup>.

والآيات الشعرية في قصة مدح الخليفة: شاهد يستخدمه الحجاج في توضيح ضرب الأمثال بالأشياء المختلفة والمتنوعة، وهي الشاهد في خواطره حول قول الله عز وجل في الآية القرآنية الكريمة **اللَّهُ ذَهَبَ حَوْلَهُ مَا أَضَاءَتْ فَلَمَّا نَارًا اسْتَوْقَدَ الَّذِي كَمَثَلِ مَثَلُهُمْ** :

﴿يُبْصِرُونَ لَا ظُلْمَتٍ فِي وَتَرَكَهُمْ يُنُورِهِمْ<sup>2</sup>﴾

فيوضح الحجاج كيف يكون ضرب الأمثال للناس بالآيات الشعرية السابقة الواردة في قصة مدح الخليفة، وقد قال التبريزي في شرح البيت الأخير: أي لا تنكروا قولي إقدامه كإقدام عمرو، وهو أشجع منه، وذكاؤه كذكاء إياس، وهو أذكى منه، لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه، إذ كان المشبه به من أبلغ ما يعرفه الناس ضوءاً، فقال: (مثل نوره كمشكاة)، وهي الكوة ليست بنافذة، والنبراس: المصباح.

استخدم الحجاج هذا الشاهد الشعري في مواضع عديدة، في خواطره حول القرآن الكريم، فقد استخدمه تسع مرات في تفسيره لآيات قرآنية كريمة مختلفة، وفي عدد من السور.

يشرح الشاهد السابق عندما يعيده كشاهد في خواطره حول الآية الكريمة من سورة التوبة<sup>3</sup>، والتي يقول فيها المولى عز وجل:

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج1، ص 168، 169.

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 17.

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، ج1، ص

أَعْمَلُهُمْ حَبِطَتْ أَوْلِيَّتِكَ بِالْكَفْرِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى شَهِدِينَ اللَّهُ مَسْجِدَ يَعْمُرُوا أَنْ لِلْمُشْرِكِينَ كَانَ مَا  
﴿١٧﴾ خَلِدُونَ هُمُ النَّارُ فِي

يقول المحاجج شارحاً الشاهد الشعري السابق:

أما في الآية الكريمة من سورة يونس<sup>2</sup> والتي يقول فيها المولى عز وجل:

مِنْ مَا أَلَّا مَرِيدٍ بَرُّ الْعَرْشِ عَلَى أَسْتَوَى ثُمَّ أَيَّامٍ سِتَّةٍ فِي وَالْأَرْضِ السَّمَوَاتِ خَلَقَ الَّذِي اللَّهُ رَبُّكُمْ إِنَّ  
﴿٢٠﴾ تَذَكَّرُونَ أَفَلَا فَاعْبُدُوهُ رَبُّكُمْ اللَّهُ ذَالِكُمْ إِذْنِهِ بَعْدَ مِنَ الْإِشْفِيعِ فَإِنَّهُ يذكر الشاهد

الشعري السابق ولكن في قصة شعرية أخرى يقول: "وأن كل صفة من صفاته يأتي تمثيلها ليقرب  
المعنى فقط ولا يعطي حقيقة المعنى؛ لأنه سبحانه ليس كمثل شيء. وهكذا فسبحانه له استواء  
يليق بذاته، لا كاستواء البشر".

كذلك في تفسير الآية الكريمة من سورة النحل<sup>4</sup>، والتي يقول فيها المولى - عز

وجل: ﴿٧٤﴾ تَعَامُونَ لَا وَأَنْتُمْ يَعْلَمُ اللَّهُ إِنَّ الْأَمْثَالَ لِلَّهِ تَضَرُّبُوا أَفَلَا<sup>5</sup>، يستخدم المحاجج نفس الشاهد

ولكن بشرح متغير قليلاً عما سبق.

<sup>1</sup> سورة التوبة، آية 17 .

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ج9، ص 5694 .

<sup>3</sup> سورة يونس، آية 3 .

<sup>4</sup> تفسير الشعراوي، ج13، ص 8093 .

<sup>5</sup> سورة النحل، آية 74 .

كذلك أيضاً في الخواطر حول الآية الكريمة من سورة الكهف<sup>1</sup>، والتي يقول فيها المولى عز وجل:  
﴿يَنْهَمَا وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا وَحَفًّا فَفَنَّهُمَا وَعَنْبٍ مِّنْ جَنَّتَيْنِ لِأَحَدِهِمَا جَعَلْنَا رَجُلَيْنِ مَثَلًا لَهُمْ وَأَضْرَبَ ﴿٣٢﴾ زَرَعًا ب٢﴾ يقول المحاجج: " وضرب المثل يكون لإثارة الانتباه والإحساس، فيُخرجك من حالة إلى أخرى، كذلك المثل: الشيء الغامض الذي لا تفهمه ولا تعيه، فيضرب الحق سبحانه له مثلاً يوضحه ويُنبهك إليه؛ لذلك قال: واضرب لهم مثلاً وسبق أن أوضحنا أن الأمثال كلام من كلام العرب، يردُّ في معنى من المعاني، ثم يشيع على الألسنة، فيصير مثلاً سائراً، كما تقول: جود حاتم، وتقابل أي جواد فتناديه: يا حاتم، فلما اشتهر حاتم بالجود أُطلقت عليه هذه الصفة. وعمرو بن معد اشتهر بالشجاعة والإقدام، وإياس اشتهر بالذكاء، وأحنف بن قيس اشتهر بالحلم". ثم يذكر الأبيات الشعرية.

وفي تفسير الآية من سورة الأنبياء<sup>3</sup>، والتي يقول فيها المولى - عز وجل:

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَذَكَرُوا ضِيَاءَ الْفُرْقَانِ وَهَدُرُونَ مُوسَىٰ آتَيْنَا وَلَقَدْ﴾

يذكر المحاجج البيت الأول فقط من الشاهد الشعري السابق ليبين أن العرب كانت تضرب الأمثال في الفراسة والذكاء بإياس بن معاوية.

أما في خواطره حول الآية من سورة الروم والتي يقول فيها المولى عز وجل:

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج14، ص 88990.

<sup>2</sup> سورة الكهف، آية 32.

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، ج15، ص 9561.

<sup>4</sup> سورة الأنبياء، آية 48.

هُوَ وَالْأَرْضِ السَّمَوَاتِ فِي الْأَعْلَى الْمَثَلُ وَلَهُ عَلَيْهِ أَهْوَابٌ وَهُوَ يُعِيدُهُ رُثْمًا الْخَلْقَ بَدَأَ الَّذِي وَهُوَ

﴿الْحَكِيمُ الْعَزِيزُ﴾، فيذكر قصة الشاهد الشعري كاملة كما ذكرتها كتب الأدب، يقول

الحاجج: " ولهذا المثل قصة شهيرة في الأدب العربي، فقد فطن إليها أبو تمام في مدحه أحد الخلفاء، وحين أراد أن يجمع له ملكات العرب ومواهبهم من الجود والشجاعة والحلم والذكاء، قال مادحاً:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس.

وقد اشتهر عمرو بن معدي كرب بالشجاعة والإقدام، واشتهر حاتم الطائي بالكرم، وأحنف بن قيس بالحلم حتى قيل «أحلم العرب» فلا يُغضبُه شيء أبداً، ولا يُخرجه عن حلمه، حتى أن جماعة قصدوا أن يخرجوه عن حلمه، فتكون سابقة لهم فتبعوه في الطريق، وأخذوا يهزؤون به وهو يضحك، حتى قارب من الحي، فنظر إلى هؤلاء الفتية وقال: أيها الفتية، لقد قربنا من الحي، فإن كان في جوفكم استهزاء بي فافرغوا منه؛ لأنهم لو ظفروا بكم لقتلوكم. أما إياس بن معاوية فكان مَضْرَبُ المَثَلِ في الذكاء، وهكذا جمع أبو تمام لمدوحه خلاصة ما تعرفه العرب من مواهب.

أيضاً في تفسيره للآية الكريمة من سورة الروم، والتي يقول فيها المولى عز وجل :

<sup>1</sup>سورة الروم، آية 27.



نَتْمُ إِن كَفَرُوا الَّذِينَ لَيَقُولُنَّ بِنَايَةِ جَنَّتِهِمْ وَلَيْنَ مَثَلٍ كُلِّ مِنَ الْقُرَىٰ إِنْ هَذَا فِي النَّاسِ ضَرَبْنَا وَلَقَدْ ﴿٥٨﴾ مُبْطَلُونَ إِلَّا أ

يذكر المحاجج الشاهد الشعري السابق، ويذكر الأبيات ونجده في خواطره هنا يقف إلى جانب الشاعر، ويصفه بالذكاء، يقول: " وسبق أن ذكرنا ما كان من مدح أبي تمام لأحد الخلفاء ".  
فالمحاجج يقول " وسبق أن ذكرنا " مما يوضح أنه قد استخدم هذا الشاهد كثيرا في خواطره.  
وفي الآية الكريمة من سورة الأحزاب، والتي يقول فيها المولى عز وجل:

﴿٥٨﴾ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ مِّن لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٥٨﴾ عَلَيَّكُمْ يُصَلِّي الَّذِي هُوَ ﴿٥٨﴾ نجد أن المحاجج يذكر قصة الشاهد الشعري السابق كاملة، وبذلك يكون قد وضع كيف يكون ضرب الأمثال، وبين لنا بصورة قريبة وواضحة المقصود بالأمثال، وأنها مجرد توضيح وتبيين وتفسير للشيء حتى يستطيع الإنسان فهم ما لا يستطيع إدراك، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على نفس الشاعر المرفه، وذوقه الرفيع، وقدرته الفائقة على القياس والمقاربة بين المعاني في القرآن والشعر. علما بأنه تربى في أحضان قرية صغيرة، تربية ريفية دينية، لا شيء فيها خارج الأطار التقليدي، وكان الشعراوي نجم القرية في سهرات الريف الليلية، حين يتلو القرآن عليهم، كما كان متفوقا في الشعر منذ صغره، يحفظ شعر أحمد شوقي ويقلده، وكثيرا ما كان يلقي قصائده في المناسبات.

<sup>1</sup> سورة الروم، آية 58.

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، آية 43.

ولم يتفرد الشعراوي بهذا الشاهد في تفسيره وخواطره، فقد استخدمه من قبله النسفي في تفسيره أيضاً حول آية سورة النور. وكذلك استخدمه الخطيب في تفسيره أيضاً لنفس الآية.

## 12-7- طريقة القرآن في إثبات البعث بالقسم والشهادة:

نحن أمام ظاهرة أسلوبية في القرآن، هذه الظاهرة هي ظاهرة القسم وهو الحلف الذي يقتضي عناصر ليتكون منها: يقتضي حالفاً ما، ويقتضي محلوفاً عليه، وهو جواب القسم، ويقتضي صيغة للحلف، ويقتضي عنصراً (سبباً) موجباً للحلف، ويقتضي محلوفاً به.

يقول الشيخ الشعراوي: "إذن فكل حلف يتضمن عنصر الحالف، وفي هذه السورة الحالف والمقسم هو (الله) ويتطلب محلوفاً عليه وهو إثبات يوم القيامة وما فيه من هول ويقتضي محلوفاً به وهو ما يلي أداة القسم، ويقتضي محلوفاً له وهم الذين يكذبون بذلك اليوم ويقتضي سبباً للحلف"<sup>1</sup>.

ورد هذا النص في تفسير الشعراوي عند كلامه عن الصلة بين سورة النازعات والتي قبلها وهي سورة النبأ التي وسمها باسمين آخرين هما (الساهرة، الطامة)؛ يقول الشيخ الشعراوي في ذلك:

"فقد أدى إثبات الحقيقة بالشهادة في سورة النبأ، وأدتها بالقسم في سورة النازعات.

﴿الْعِلْمِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْإِلَهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> خواطر الشعراوي، ذكره السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص 133/ عن أبي القاسم القشيري (ت465هـ) "إن الله ذكر القسم لكامل

الحجة وتأكيداً، وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم، وذكر الله تعالى في كتابه النوعين حتى لا تبقى لهم حجة"

<sup>2</sup> سورة آل عمران، آية 18.

تلك هي الشهادة، وفي سورة النبأ ﴿٧﴾ أَوْتَادًا وَالْجِبَالَ ﴿٦﴾ مِهْدًا الْأَرْضَ جَعَلَ الْمَ ﴿١﴾ تلك هي البينة التي ثبت لله الذي خلق هذه الأشياء بقدرته، وأبدعها ونظمها بحكمته، ونسقها تنسيقاً مناسباً بحيث يؤدي كل جنس في الوجود مهمته على أكمل وجه. تلك هي الشهادة، أي شهادة الكون لصدق الحقيقة البعثية<sup>2</sup>.

هذه الحجج أثبتتها القرآن بطريقتين - القسم والشهادة و كليهما تقنع العقل. يعدّ علم المناسبة رافد من روافد إعجاز القرآن الكريم فكما أنّ القرآن معجز في ألفاظه ومعانيه ونظمه، فهو كذلك معجز في ترتيب سورته وآياته، يقول الزركشي: "اعلم أنّ المناسبة علم شريف، محرز به المعقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول"<sup>3</sup>

وعند البلاغيين: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة"<sup>4</sup>.  
أما من وجهة نظر حجاجيه نجد أنه جمع بين حجّتين، ودعّم إحداهما بالأخرى والنتيجة واحدة، فقد أثبتت الحقيقة بالشهادة في سورة النبأ، أولاً، ثم أدّتها بالقسم في سورة النازعات؛ فقد عبّر بالأولى بالإثبات، والثانية بالتأدية وذلك لما استدعاه الموقف الأول، من تقرير الأمر بالشهادة حيثشهد رب العزة، والملائكة، وألو العلم بأنه لا إله إلا الله. ثم أشهد الكون على هذه الحقيقة.  
أما القسم في سورة النازعات فقد أدّى نفس الدور لكن المولى عزّ وجل في هذه السورة قد أقسم بإثبات يوم القيامة وقد ركز الشيخ الشعراوي على بيان أقسام القسم، وفضلها بأسلوب

<sup>1</sup> سورة النبأ، آية 6-7.

<sup>2</sup> تفسير لشعراوي، تسجيل صوتي.

<sup>3</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص131.

<sup>4</sup> ينظر مقدمة تفسير البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج1، ص6.

بسيط يقنع به المستمعين، ويثلج صدورهم فيتبينوا جلاله الموقف، فإذا قال لك أحد، أقسم بالله العلي العظيم لا مجال لتكذيبه، فما بالك أن يقول لك أن ذات الجلالة يقسم، وأن المحلوف لهم هم الذين يكذبون بذلك اليوم، وسبب الحلف هو إثبات لا إله إلا الله ولعظمه.

هذه القصة لما أقسم الله سبحانه وتعالى، ولما بعث سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى

التسليم.

## 12-8- قطع الشك باليقين:

ما من دليل ظهر في القرآن إلا وتجده يقطع الشك باليقين، ويمحو كل شبهة تطمس نوره، ثم لا يجد الخصوم أمام تلك الأدلة، إلا الصمت والهزيمة، فإما الاستسلام والانتقاد وإما الجحود والعناد. على سبيل المثال ننظر إلى قول الحق: ﴿تُحِيَّءُ الَّذِينَ رَّبِّيٰ إِبرَاهِيمَ قَالَ إِذْ الْمَلِكُ اللَّهُءَاتَهُ أَن رَّبِّهٖءَفِي إِبرَاهِيمَ حَاجَّ الَّذِي إِلَى تَرَآلَمْ ۝ الْمَغْرِبِ مِّنْ هَآفَاتِ الْمَشْرِقِ مِّنْ بِالشَّمْسِ يَأْتِي اللَّهُ فَاِنَّ إِبرَاهِيمَ قَالَ وَأُمِّيْتُ أُحِيءُ أَنَا قَالَ وَيُؤْمِي ۝﴾ ﴿الظَّالِمِينَ الْقَوْمِ يَهْدِي لِآ وَاللَّهُ كُفَّرَ الَّذِي فَبُهِتْ<sup>1</sup>، تلك حجة ساقها الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليم، - وهو يحاور جبارا من جبابرة الأرض الذين استهوتهم الدنيا وشهواتها، فراحوا يتيهون في غياهب الظلم ويتخبطون، حتى أعماهم الظلم والجهل وران على قلوبهم فتمادوا وتمادوا، حتى نصبوا أنفسهم آهة يحيون ويموتون لآكهم

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 258.

يستقنون ويهزمون أمام عبارات قليلة، تنطوي على حجة منيعة، لم يملكو أمامها إلا أن خيم عليهم الصمت والبهت.

وتجلى العظمة في عدول سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، عن طريقة العرض الباهت للصفة الإلهية في قوله ﴿وَيُمِيتُحْيِي ۗ الَّذِي رَبِّي﴾ إلى طريقة التحدي وهي طلب تغيير سنة الله لمن ينكر ويتعنت لله ويجادل في الله.

﴿الْمَغْرِبِ مِنْ مِهَابَاتِ الْمَشْرِقِ مِنَ بِالشَّمْسِ يَأْتِي اللَّهَ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ﴾ فما وجد المجادل أمام هذا التحدي إلا السكوت، فالأمر ظاهر ولا سبيل إلى سوء الفهم أو الجدل والمراء، وكان التسليم أولى والإيمان أجدر، ولكنه الكبر الذي يمسك بصاحبه عن الرجوع إلى الحق فيبهت ويتحير؛ يتكلم الشيخ في هذا النص عن طرق الاحتجاج في القرآن، الحجاج بالعقل والمنطق حتى بهت الذي كفر.

فسيدنا إبراهيم عليه السلام استعمل مع قومه كل الطرق، وكل الوسائل ليكسر كبرياءهم، وتطاولهم على الله وكانت الضربة تلو الأخرى لإثبات غباثتهم وتعنتهم، فبعد أن سأهم بإنطاق الصنم، يعرض عليهم قضية أخرى ألا وهي إتيان الشمس من المغرب.

## 12-9- تحري الوضوح وعدم الخروج عن معهود العرب:

اشتمل القرآن الكريم على جميع أنواع الأدلة ووجوه الاستدلال، وما من برهان ولا دلالة، ولا تقسيم إلا وكتاب الله تعالى قد أورده، ولكنه لم يسر في أدلته على طريق المتكلمين والمناطقة

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 1126

الذين يصوغون أدلتهم صياغة منطقية مؤلفة من مقدمات صغرى وكبرى ونتيجة، بل إن أدلة القرآن الكريم - وإن كانت في بعض الأحيان تسلك طريق المتكلمين في الاستدلال - إلا أنها بقيت محافظة على معهود العرب في الاستدلال دون حقائق طرق المتكلمين، ودون التغلغل في التعقيدات والتقسيمات التي خاضها المناطقة والمتكلمون. والسبب في ذلك يعود إلى أمرين اثنين:

الأول: أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿هُم لِيُبَيِّنَ قَوْمَهُ بِلِسَانٍ إِلَّا رَسُولٍ مِّنْ أَرْسَلْنَا وَمَا<sup>1</sup>﴾ وبالفعل قد سار القرآن بأساليبه على عادة العرب، وعادة العرب البساطة والوضوح، دون الدخول في التعقيدات.

الثاني: إن المائل إلى دقيق الحاجة هو العاجز عن إقامة الأدلة بالجلي من الكلام، لأن من استطاع أن يفهم الناس مطلوبه بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم يعدل عنه إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون<sup>2</sup>.

إن أسلوب القرآن الكريم في أدلته أسمى من المنطق، وأسمى من الفلسفة، فبينما تراه قد اعتمد مسالكة على الأمر المحسوس، أو الأمور البديهية التي لا يماري فيها عاقل ولا يشك فيها إنسان، تراه قد تحلل من قيود المنطق، ومن غير أن يحل بدقة التصوير وإحكام التحقيق، وصدق ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج في أحكام العقل، وأمارات المنطق، ولهذا لا نعد أسلوب القرآن منطوقاً وإن كان فيه صدقه وتحقيقه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة إبراهيم، آية 4.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ص 1126.

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، ص 1127.

قد سبق أن تكلمنا عن أسلوب القرآن الكريم في الإقناع، وإثبات الحجة دون اللجوء إلى التعقيد الذي يلجأ إليه ضعاف النفوس، العاجزون عن إقناع الناس بالمتعارف عليه من الكلام البديهي، فأسلوب القرآن رغم دقته وإحكامه لا يمكن أن ننسبه إلى المنطق، ولا نعهده منه، كما أنه خال من التعقيد الفلسفي العقيم، لذلك قال إنه أسمى من الفلسفة.

فالقرآن الكريم وما سبقه من الرسائل لم يأتي إلا بياناً للناس، ودعماً لهم للعبور بهم معبر الأمان والنجاة، فلا يمكن أن ندعو أحداً بلغة لا يفهمها ونطمع أن يتبعنا.

## 10-12 - حجاجة الاختيار

الموضوعات التي يعالجها الشعراوي نابعة من واقع معاش مثل:

- سؤال وجواب في الفقه الإسلامي .
- المرأة كما أرادها الله . - نظرات في القرآن .
- معجزة القرآن - على مائدة الفكر الإسلامي - قضاء وقدر .
- هذا هو الإسلام .
- ومن كتاب التوبة الذي اخترناه: البعد الحجاجي هو جلي فيه . ففيه<sup>1</sup> - عالج قضايا مهمة جدا تساعد الإنسان على التوبة والاعتبار، والثقة بالله .

---

<sup>1</sup> محمد متولي الشعراوي، التوبة - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا-، أعده وقدم له عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، المكتبة التوفيقية،

- رحمة الله أوسع - صور من التائبين والتائبات .
- ما ورد عن السلف الصالح في بيان وجوب التوبة وفضلها .
- فوائد التوبة النصوح - تشريع التوبة رحمة إلى الله، القرآن شفاء ورحمة - هل تبت من قريب .

اختيار موضوع التوبة في حد ذاته بعكس حالة آل إليها المسلمون، كما ينبئ عن هموم داعية جرّاء تصرفات المسلمين. نحاول أن نأخذ من هذا الكتاب بعض الوقفات الحجاجية التي استشفها القرآن والسنة والسلف الصالح.

كان الشيخ شديد الاهتمام بهذه الأمة، سواء في مصر أو في أي بلد عربي مسلم، وفي لقاء تلفزيوني عن مسار الشيخ الشعراوي، وعن الثورات التي سموها بالربيع العربي، قال أحد من حضر اللقاء أن الشيخ

تنبأ بهذه الثورة في حياته. فقد زار الجزائر أيام محنتها، ونصح الشباب بالتعقل والاعتزان وكان دائم الحث على التعقل، وحفظ سلامة هذه الأمة وأمنها ودينها.

## 11-12 - الدلالة الإيجابية:

لا يخفى أن الألفاظ هي مذاق الكلام، لما تحمله من قيم إيقاعية تناسب في الإسماع، فتتصل بالقلوب والنفوس فتلونها بألوانها فيغدو اللفظ بجرسه موحيا بالمعنى، وقد صرح ابن جني



بهذا قائلا: " إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها"<sup>1</sup>، وتلقى بإحساسه النافذ وذائقتة العالية إيجاء الجرس في الألفاظ فقال أيضا:

" إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها، وترتيبها، وتقديم ما يضاهاى أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب"<sup>2</sup>

أي بالإضافة إلى اختيار الحروف عند العرب، قد اهتموا بالمقاربة بين أصواتها، والأحداث المعبر عنها كما درجوا سوق الحروف على قدر حاجته من الفكرة التي يريد إيصالها .

ومما لا شك فيه أن دلالة الجرس على المعنى خفية موحية، تحس بمقدار شدة التأثير بالباعث الصوتي وفي ذلك قال أولمان: " أن شدة التأثير بالباعث الصوتي على توليد الكلمات أو الأصوات قد يؤدي إلى ما يكاد يكون اعتقاداً غامضاً في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى"<sup>3</sup>

وفي تفسيره للحروف المقطعة في سورة البقرة يقول الشيخ الشعراوي:

" ما الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينطق في سورة البقرة بأسماء الحروف، وينطقها في سورتي الشرح والفيل بمسميات الحروف، لا بد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعها من الله كما نقلها جبريل عليه السلام إليه هكذا، إذن فالقرآن أصله السماع، لا يجوز أن

<sup>1</sup> ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر-بيروت لبنان، ج1، ص 65.

<sup>2</sup> نفسه، ج2، ص162.

<sup>3</sup> ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة دكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة 1987، ص 83.

تقرأه إلا بعد أن نسمعه. ثم يقوم بعملية التوجيه ولذلك فلا بد أن تستمع إلى فقيه يقرأ القرآن قبل أن يتلوه، والذي يتعب الناس أنهم لم يجلسوا إلى فقيه ولا استمعوا إلى قارئ<sup>1</sup>

كانت الناس -عهد نزول الوحي- في أمية لا تعرف القراءة بما فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك أقرأه سيدنا جبريل عليه السلام شفاهة، وتنوّل في بداية نزوله شفاهة، حتى تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاهة من جبريل عليه السلام، فمسألة السماع مهمة جداً؛ حتى الطفل يبدأ في تعلمه بالسماع، وكلما كان السماع جيداً كان الحفظ أسرع، وكان الناس قديماً يبعثون أبناءهم إلى الكتاب لسماع القرآن وحفظه، ويسمى "فقيه" أو "شيخ" وفي الجزائر نسميه "الطالب" وله قيمة رفيعة في المجتمع، ينال الاحترام من الكبار والصغار ويزوروه بالمودّة في بيته، خاصة في المناسبات، لذلك يقول الشيخ الشعراوي سبب المتاعب أي سوء الحفظ، وسوء النطق: هو عدم تلقيهم إياه عن فقيه، وقلة اهتمامهم بالسماع ما عبّر عنه بلفظة "قارئ".

## 12-12 - الطاقة الحجاجية للكلمة عند الشعراوي:

جاء القرآن الكريم ليختم دعوة السماء، فتكلم عن قصة خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وذكر لنا قصص الأولين من أنبياء وأقوام، وفضح ما حرقته الأقسام السابقة من أبناء الحق، يقول الشيخ:

"بنزول القرآن الكريم أكملت الرسالات السماوية، وجاء الدين الخاتم الذي سيظل دستوراً للعالمين حتى يوم القيامة، فجاء القرآن الكريم بقصة خلق السموات والأرض وقصة خلق الإنسان،

---

<sup>1</sup>خواطر الشعراوي، ج1، ص 101.

وجاء بقصص الرسل والأنبياء الذين سبقوا نزول القرآن الكريم، وصحح ما زيف منها وعدّل ما حرف منها لتأتي صادقة، فيما أبلغ به الرسل عن الله، وتأتي ناسخة لكل ما عبثت به أيدي البشر في الرسائل السابقة على نزول القرآن، وتأتي مصححة لكل كلام بشري أضيف إلى منهج الله، ونسب إليه زورا وبهتانا، وتأتي بما كتبه أهل الديانات القديمة وأحبار اليهود ورهبان النصارى عن الناس<sup>1</sup>.

وفي نفس السياق يواصل كلامه عن ذلك الزيف والتحريف، من طرف الأحبار، والرهبان:  
"إنه يفضح كل تحريف، أو كتم، أو إخفاء، أو تزيف، أو إضافة بشرية لدين الله في الرسائل السابقة، ويزيد عليه من منهج الله ليصبح القرآن الكريم المنهج الكامل المتكامل لعبادة الله في الأرض، ويتضمن منهج السماء منذ عهد آدم إلى قيام الساعة"<sup>2</sup>

اخترت هذه الباقية من حديث الشيخ الشعراوي في تعريفه بالقرآن الكريم لما وجدته من حمولة حجاجية، ففي الفقرة الأولى: يتكلم عن الرسائل السماوية وأنها أكملت. هذا الفعل يشي بنقص شاب هذه الرسائل حتى احتاجت إلى اكتمال، ولعاقل أن يتصور مواطن هذا النقص بفعل الشر، أو بطبيعة هذه الرسائل التي احتوت على معجزات آنية وافقت عصر نزولها مثل معجزة البحر عند سيدنا موسى (عليه السلام) مثلا، والكلام في المهدي عند سيدنا عيسى (عليه السلام).

---

<sup>1</sup>خواطر الشعراوي، تسجيل صوتي.

<sup>2</sup>نفسه.

ثم نجد قوله صحح ما زيف منها، وكلمة عدل ما حرف لتأتي صادقة، إذن القرآن الكريم كله صدق يخلو من زيف، وتحريف إن اختيار هذه الكلمات يلمح إلى تاريخ حافل مرت به البشرية من ضلال وزيف، وكذب وافتراء حتى على الله ورسله، مما يفرش الطريق ويفسحه، بعد البشارة وإخفائها من قبل القائمين على الأمانة، من يهود ونصارى.

جاء النبي المختار صلى الله عليه وسلم يحمل دستور السماء إلى الأرض، ألا وهو القرآن الكريم، الذي فضح هذا الزيف وأجلى جميع الحقائق التي حيرت الإنسان، وأرهقه البحث عنها. حقيقة الوجود كل الوجود إلى يوم القيامة، حقيقة الإنسان ورسالته في الدنيا، كل هذه المعاني يود الشيخ إيصالها فقد أحسن التمهيد، وأحسن الاختيار، فهذا هو الخطاب الحجاجي خطاب هادئ مركز. بعيد عن كل جدل أو مماراة، أو تلفيق، أو ادعاء.

إنها الدعوة إلى الله - بمنهج الله. والله سبحانه وتعالى، في جميع حالات الدعوى، يحذر المؤمنين من الوقوع في الفتنة التي وقع فيها أهل الكتاب خاصة اليهود مع أنبيائهم. فالكلمات التي اختارها الشيخ ذات طاقة حجاجية قوية. من الضروري أن يلفت إليها الأذهان، وتصل إلى قلب كل متهيئ لقراءة القرآن، المتلقي المؤمن حتى يعرف مدى ضخامة المسؤولية التي تقع على عاتقه.

يقول الشيخ الشعراوي: " وحتى نضبط المسألة <sup>11</sup> - في حديث شفوي.

يحبس الشيخ أنه بحاجة إلى ضبط وللكلام تفرعاته بين أعمال الجوارح وعمل القلب، وذلك بواسطة القرآن. فيورد قوله سبحانه وتعالى من سورة الصف:

---

1 خواطر الشعراوي، حلقات مذاعة عبر قناة فضائية.

﴿تَفْعَلُونَ لِمَا تَقُولُونَ لِمَ آمَنُوا الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا﴾<sup>1</sup>، ثم يقول: "ونجد المقابل للقول هو الفعل، والكل عمل. ويأتي نوع آخر من الأعمال، لا هو قول ولا هو فعل، وهو ( النية القلبية ) . وعندما يقول الحق: إنه كان سميعا بصيرا - فالمعنى أنه سميع للقول . وبصير بالفعل،"<sup>2</sup>.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿إِنَّ وَالْأَقْرَبِينَ أَوْلَادِينَ أَوْ أَنْفُسِكُمْ عَلَىٰ وَلَوْلَا شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ قَوْمٍ كُنُوءَاءِ آمَنُوا الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا﴾<sup>3</sup>  
﴿بِمَا كَانَ اللَّهُ فَإِنَّ تَعْرِضُوا أَوْ تَلُؤْ أَوْ إِن تَعْدِلُوا أَن أَهْوَىٰ تَتَّبِعُوا فَلَا يَهْمَا أَوْلَىٰ فَاللَّهُ فَقِيرًا أَوْ غَنِيًّا يَكُنْ خَيْرًا تَعْمَلُونَ﴾<sup>3</sup>.

هذه الآية موضوع الحديث تبعا لتفسيره سورة النساء . وما قبلها تتكلم عن الثواب؛ قال تعالى:

﴿بَصِيرًا سَمِيعًا اللَّهُ وَكَانَ وَالْآخِرَةَ الدُّنْيَا ثَوَابُ اللَّهِ فَعِنْدَ الدُّنْيَا ثَوَابٌ يُرِيدُ كَانَ مَنْ﴾<sup>4</sup>.

أشار الشيخ الشعراوي في هذه الآية إلى أن ثواب الدنيا والآخرة متصلان فلا يوجد ثواب خاص بالدنيا، وآخر بالآخرة، وإنما من يعمل لهذه يثاب عليهما معا، وينبّه الذين يتغنون الدنيا، ويهملون أجر الآخرة بغباثهم واستهتارهم.

## 13-12 - أهمية النداء

<sup>1</sup> سورة الصف، آية 2

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، تسجيل صوتي .

<sup>3</sup> سورة النساء، آية 135

<sup>4</sup> سورة النساء، آية 134

ويقف مع الآية التي بعدها النداء إذ يعتبر صفة المؤمنين - من حيثيات الحكم، وهي تقدم الحكم. "والحيثية هنا هي إيمان العبد بربه. وسبحانه لا يكلف كل الناس بالتكاليف الإيمانية، ولكنه يكلف المؤمنين فقط، ويقول: <sup>1</sup> ﴿بِالْقِسْطِ شُهِدَ اللَّهُ لِقَوْمٍ كُونُواْ آمِنُواْ الَّذِينَ يَأْتِيهَا﴾ فالمؤمن يدخل على الإيمان بقسمة القسط؛ والقسط هو العدل أن يعطي العادل كل ذي حق حقه، وحق الإله الواحد أن يؤمن به الإنسان ويعترف أنه إله واحد <sup>2</sup>.

من عوامل نجاح، ونجاعة الخطاب الحجاجي تحديد هوية المتلقي، فما يخاطب به المؤمن غير ما يخاطب به غير المؤمن فالمؤمن وحده مكلف شرعا بالقيام بأمور دينه بالقسط، ابتداء من القيام بقضية التوحيد، فيؤمن بالله لا يشرك به شيئا.

## 12-14 - الرد على المستشرقين

ويتابع الشيخ الشعراوي في خواتمه دون أن يمر على صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها، ولو كانت في الآية نفسها أكثر من وقفة، يقول: "ومن الإشكالات التي أثارتها هذه الآية في العصر الحديث قول المستشرقين <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة النساء، آية 135.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ج5، ص2713.

<sup>3</sup> خواتم الشعراوي، تسجيل صوتي.

إذن هو في موقف الرد على كل معاند متشكك، معترض على أسلوبه.

وقد وصفهم الشيخ "بالمتركين على القرآن، والمعتضين على أسلوبه، مثل قوله تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿الشَّيْطَانِ زُؤُوسٌ كَأَنَّهُ رُطْعُهَا﴾<sup>1</sup>، ووجه اعتراضهم أن التشبيه إنما يأتي عادة ليوضح أمراً مجهولاً من مخاطبٍ بأمر معلوم له، أما في الآية فالمشبه مجهول لنا، لأنه غيب لا نعلم عنه شيئاً وكذلك المشابه به لم نره، ثم يقولون: ما الذي جعل المسلمين يرون على هذه الآية أنهم يعطون للقرآن قداسة، هذه القداسة تربي فيهم التهيّب أن يقبلوا على القرآن بعقولهم ليفتشوا فيه، لو أنهم تخلّصوا من هذه المسألة وبدأوا البحث في أسلوب القرآن دون تهيّب لاستطاعوا الخروج منه بمعطيات جديدة"<sup>2</sup>.

واضح من هذا النص تتبع الشيخ الشعراوي للقضايا المطروحة في عصره مثل قضية - موقف المستشرقين من المسلمين، وتعاملهم مع القرآن الكريم.

ثواب الدنيا والآخرة إلا بالعمل. والعمل هو كل حدث يحدث من جوارح الإنسان، القول - مثلاً - حدث من اللسان وهو عمل أيضاً والمقابل للقول هو الفعل، فالأعمال تنقسم إلى قسمين: إلى الأقوال، والأفعال. وتوضيح هذا الأمر نقراً قول الحق: طَعَامٌ عَلَى تَحَضُّونَ وَلَا

﴿المسكين﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الصافات، آية 65.

<sup>2</sup> خواطر الشعراوي، حلقات مذاعة عبر قناة فضائية.

<sup>3</sup> سورة الفجر، آية 18.

يقول الشيخ الشعراوي: " في قوله تعالى: ﴿الْمَسْكِينِ طَعَامِ عَلَى تَحْتَضُونَ وَلَا﴾ ما يوضح لهم (أي الفقراء الذين لا يملكون ما يطعمون به المسكين ) الطريق إلى العطاء، أي حضوا غيركم على العطاء، أي الذي لا يملك يمكنه أن يكلم الغني ليعطي للمسكين.

والحز: هو الكلام. والكلام نوع من العمل<sup>1</sup> ويؤيد أو يحتج لقوله بالآية الكريمة بقوله: " والحق سبحانه وتعالى يستنفر المؤمنين لينصروا دين الله فيقول:

﴿حُو إِذَا حَرَجَ يُنْفِقُونَ مَا يَجِدُونَ لِالَّذِينَ عَلَى وَلَا الّمرضى عَلَى وَلَا الضّعفاء عَلَى لَيْسَ﴾  
﴿رَحِيمٌ غَفُورٌ وَاللَّهُ سَبِيلٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ عَلَى مَا وَرَسُولِهِ لِلَّهِ نَصٌ﴾<sup>2</sup>

هنا سبحانه أعفى الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون في القتال وأسقطه عنهم ولم يحاسبهم عليه. ولكن في الآية نفسها ما يحدد المطلوب من هؤلاء وهو أن ينصحوا لله ورسوله. إذن فغير القادر يمكنه أن يتكلم بفعل الخير ويذكر به الآخرين وينصح به، هذا هو معنى قول الحق: ﴿بَصِيرًا سَمِيحًا وَاللَّهُ وَكَانَ﴾ فسبحانه يسمع قول من لا يستطيع، ولا يملك القدرة على سلوك ما - وسبحانه بصير يرى صاحب كل سلوك إذن فتواب الدنيا يحتاج إلى عمل، والعمل انفعال كل جارحة بمطلوبها. فاللسان جارحة تتكلم، واليد تعمل، وكل جوارح الإنسان تعمل<sup>3</sup>.

## 12-15 - عدل الله

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، تسجيل صوتي.

<sup>2</sup> سورة التوبة، آية 91

<sup>3</sup> تفسير الشعراوي، تسجيل صوتي.



ويواصل الشيخ الشعراوي تصنيفه لأعمال الإنسان بالجوارح وكيف يرضاها الله سبحانه وتعالى بالقبول والعدل منه سبحانه وتعالى. يقول: " لكن ما عمل القلوب؟  
أي بعد أن يتبين لنا في معنى قوله تعالى ﴿بَصِيرًا سَمِيعًا اللَّهُ وَكَانَ﴾ وبين لنا عمل جارحتي اللسان، واليد، يتساءل هنا ما عمل القلوب؟ والجواب يأتي ليشمل كل عمل الإنسان. لأن عمل القلوب لا يسمع ولا يرى، ولذلك قال الحق عن إخلاص القلب في حديث قدسي: "الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي"<sup>1</sup>.

وهكذا نعرف أن نية القلوب خاصة بالله مباشرة لا تدخل في اختصاص رقيب وعتيد وهما الملكان المختصان برقابة وكتابة سلوك وعمل الإنسان. ولذلك نجد الحق يصف ذاته في مواضع كثيرة من القرآن بأنه لطيف خبير، لطيف يعلم ما يدخل ويتغلغل في الأشياء.  
ونجد الحديث الشريف يقول لنا: " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته لله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"<sup>2</sup>.

وترسيخا لقضية الإيمان، وتربية النفوس يستمر الشيخ الشعراوي في خطابه التربوي - إن صح التعبير-، في زمن يتعد فيه الناس عن منهج الله، وكثرت الفتنة والغزو الفكري، ينطلق في تفسير الآيات القرآنية ليسحب فحواها على حياة الناس، وواقعهم المعاش، فهو يذكر، ويوجه،

<sup>1</sup> حديث قدسي، ضعيف. ذكره الغزالي في "الإحياء" (4 / 322) عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ

العراقي في "تخرجه": "رويناه في جزء من "مسلسلات القزويني" مسلسلا يقول كل واحد من رواته: سألت فلانا عن الإخلاص؟

قال: ... / عن تلامذة الشيخ، هامش نفس الصفحة.

<sup>2</sup> حديث شريف، صحيح البخاري: ج1، حديث رقم1، ص3.

وينصح، معتمداً على التوجيه الإلهي، وهو أعلم بالنفوس وخبائها، وإنما هي طرقاً لتستيقظ  
الهمم وتفيق الأنفس المغمورة على قذارة الدنيا، بمنهج غير منهج الله.

## 12-16- الحجاجية وفعالية وسائل الإعلام في استراتيجيات الخطاب:

يسعى المتكلم من خلال استخدامه لمختلف الاستراتيجيات الخطابية إلى التأثير في المتلقي،  
وذلك بتغيير سلوكه ومنظومة معتقداته إلا أن "درجة فعالية هذا التأثير تختلف باختلاف الوسيلة  
الإعلامية التي يتخذها المرسل كوسيط بينه وبين المتلقي سواء كانت سمعية أو مقروءة أو سمعية  
بصرية"<sup>1</sup>، ومنظومة معتقداته إلا أن درجة فعالية هذا التأثير تختلف باختلاف الوسيلة، إلا أن أكثر  
الوسائل نجاعة في التأثير هي التي تتفاعل مع درجة مصداقية المصدر في تحديد تغير اتجاهات  
المتلقي وعند استخدام التلفزيون تكون الثقة بالمصادر أكثر فعالية لان التلفزيون يمتلك من الخصائص  
ما يجعله منفرداً عن الوسائل الإعلامية الأخرى: فقد لقي من الباحثين عناية خاصة؛ لأنه أصبح  
أحد الأدوات المعاونة في التنشئة الاجتماعية بل أصبح يزاحم دور الأسرة والمدرسة في التربية ومن  
بين الخصائص التي يتمتع بها التلفزيون نذكر:

## 12-17- الاستحواذ:

---

<sup>1</sup> ينظر صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط1 عمان -الأردن 1990،

وهو من أبرز الصفات التي تليها الطبيعة المادية للتلفزيون، فهو يسيطر على سمع الرائي وبصره؛ لأنه يركز انتباهه على صورة متحركة ناطقة متغيرة محصورة في إطار صغير محدود، "ولا يكلف الرائي جهداً؛ بل يخدمه كيفما أحب وإلى حد كبير".<sup>1</sup>

وبما أن معظم جمهور الشيخ الشعراوي، هو جمهور التلفزيون فقد ركزنا عليه في تبيان ميزاته، فأنا شخصياً كان أول لقاء لي مع الشيخ عبر التلفزيون.

## 12-18- إقناع الشيطان:

من الأساليب التي تحدث عنها الشعراوي في القرآن الكريم أسلوب الشيطان إذ يقول " . . . ولا يستطيع الشيطان أن يكره الإنسان قهراً على فعل ما، ولكنه يزين له الفعل فليس للشيطان سلطة الإكراه ليقهر الإنسان على فعل ما، وليس للشيطان قدرة على الإقناع والإتيان بأدلة تجعل الإنسان يفعل مراد الشيطان وهو راض عن عمله، ولذلك يقول الشيطان في الآخرة للمذنبين: إذ ذنبهم

ي كَانَ وَمَا فَاخْلَفْتُمْ وَمَوْعِدْتِكُمْ الْحَقَّ وَعَدَّوْا وَعَدَّكُمْ اللَّهُ إِنَّ الْأَمْرَ قُضِيَ لِمَا الشَّيْطَانُ وَقَالَ ﴿

﴿لِي فَاسْتَجَبْتُمْ دَعْوَتِكُمْ أَنْ إِلَّا سُلْطَنٍ مِّنْ عَلَيْكُمْ﴾<sup>2</sup>، لقد تعمداً نقل النص بما فيه من تكرار حتى نشير إلى أن الشعراوي كان: يقرب الأفكار بجمل بسيطة عدة مرات حتى تصل أفهام المستمعين له.

<sup>1</sup> صالح خليل أبو اصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، عمان - الأردن، 1995، ص

128.

<sup>2</sup> سورة إبراهيم، آية 22.

## 12-19- الجهاد بالكلمة أمانة

لكلمة "جهاد" حمولة أورتها لها الدين، فالجهاد فرض عين، وهو أنواع،: جهاد بالسيف، وبالكلمة، والدعوة إلى الله تعد جهادا، لأنَّ صاحبها يبلغ الأمانة التي ائتمنه الله عليها ورسوله "بلغوا عني ولو آية"<sup>1</sup>

والمجاهد لا ينتظر أجرا من أحد، إنما أجره على الله، فهو يعمل ولا ينتظر النتائج، بل يضاعف الجهد ليحسن أسلوبه في الجهاد، حتى يحقق هدفه الأسمى، ألا هو هداية الناس إلى الصراط المستقيم والحفاظ على ما تركه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عقيدة وشرعية وأخلاق.

---

<sup>1</sup> حديث صحيح، رواه البخاري، حديث رقم 3274 .

# الفصل الخامس

## تحليل لأقوال الشيخ الشعراوي

مباحث الفصل

1. تحليل أقوال وحكم للشيخ.
2. تحليل خواطر الشيخ بالمقارنة مع مفسرين من عصرين مختلفين:
  - أ. سيد قطب
  - ب. السيواسي

## توطئة

تقدم في هذا الفصل أسلوب الشيخ الشعراوي مع مفسرين من عصرين مختلفين . وذلك من خلال عرض لمجموعة من الأقوال والحكم للشيخ، بالإضافة إلى عرض وتحليل تفسير آيات من سورة الكهف عنده وعند كل من سيد قطب والشيخ السيواسي .

### 1 . تحليل أقوال وحكم للشيخ:

خصصنا هذه المساحة لأقوال الشيخ الشعراوي لما رأينا فيها من معالجته للواقع الذي آل إليه المسلمون في عصر ما بعد النهضة، والثورة التكنولوجية الحديثة، وهي خير دليل على اهتمامه بشؤون الأمة الإسلامية، وحرصه على صلاحها، وهداية شبابها، والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان . والمتمعن في هذه الأقوال يجد أنه استمد معظمها من القرآن الكريم، وبعضها يذكر فيه الآية ثم يعطي انطباعه، كما أن موضوعاتها مستمدة من الواقع المعيش، مما يثبت قدرة وصلاحية القرآن لكل مصر وعصر، سوف نصفها حسب محتوياتها؛ ونبدأ بالمنهج والعقيدة الإيمانية: يقول الشيخ في هذه الحكمة:

1 . المؤمن يتبع منهج الله في الدنيا ليسحق نعيم الله في الآخرة، فلو أن الآخرة لم تكن موجودة، لكان الكافر أكثر حظاً من المؤمن في الحياة، لأنه أخذ من الدنيا ما يشتهي - ولم يقيد نفسه بمنهج بل أطلق لشهواته العنان؛ بينما المؤمن قيد حركته في الحياة طبقاً لمنهج الله، وتعب في سبيل ذلك، ثم يموت الاثنان وليس بعد ذلك شيء؛ فيكون الكافر هو الفائز - بنعم الدنيا، وشهواتها -

والمؤمن لا يأخذ شيئاً، والأمر هنا لا يستقيم بالنسبة لقضية الايمان، ولذلك كان الايمان بالله قمة الايمان -بداية- والايمان بالآخرة، قمة الايمان نهاية<sup>1</sup>.

من خلال هذه الحكمة، ومن خلال الأسلوب الذي وردت به أراد الشيخ أن يبين قيمة الايمان بالله بداية، والايمان بقضائه في اليوم الآخر نهاية، من خلال تصور الكافر، والتصور الذي طرحه الله (قضية الايمان).

فقد استعمل أسلوب النفي فنفي وجود الآخرة، وراح يجاري الكافر في تصوره غير أنه يبين لنا أن الأمر لا يستقيم من منطلق (قضية الايمان) بالله الكبرى التي تقضي بوجود اليوم الآخر والايمان به. وهناك أقوال أخرى وحكم في نفس السياق هدفها ترسيخ العقيدة، تبيان خطأ الناس وتقائصهم ما لم يستقيموا على هذه العقيدة وقوانينها.

وهذا الأسلوب في الاقتناع (يحمل عدّة أوجه)، يخدم عدّة جهات:

- فالمؤمن بالله واليوم الآخر يزيد اطمئناناً، وراحة في زمن الفتنة، وطغيان المادة.
- أمّا الكافر المعاند الذي يستعمل المنطق، فما يقتنع بالمنطق، أو تقام عليه الحجة يوم القيامة لعناده، وعدم تصديقه.

---

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص132، 131.

ومن الواقع المعيش يقول الشيخ:

2. الحياة ليست كما تظنون!

الحياة قيم ومسؤوليات، ورعاية وشيء من العناء. يوماً ما كل شيء يغدو ذكرى لا تملكون أمامها سوى: أن تبسموا وتحفوا عبراتكم؛ وكل ما تمرون به الآن استمتعوا به. يوماً ما ستمنون عودته بأفراحه وأتراحه! هذا ما تحكيه لنا التجاعيد على وجوه المسنين<sup>1</sup>.

وهذه دعوة إلى الرضى، والصبر على الدنيا مجلوها ومرّها، باعتبار أنها ماضية، وما تبقى منها سوى ذكرى تجعل صاحبها يتسم.

لذلك يجب أن يترفع العاقل عن الانغماس فيها، والحرص الشديد عليها، لأنها دار الغرور.

فهذا توجهه لإنسان مجرب، متمرس في الحياة؛ التي طالما تكالبت عليها إمبراطوريات ثم سقطت ولم تبقى سوى آثارها.

3. إن حكمة أي تكليف إيماني هي: أنه صادر من الله سبحانه وتعالى، ومادام

صادراً من الله فهو لم يصدر من مساوي لك كي تناقشه، ولكنه صادر من إله وجبت عليك له

---

1 أقوال الشيخ الشعراوي، موقع الكتروني.



الطاعة لأنه إله أنت له عابد . فيكفيني أن الله سبحانه وتعالى قال افعل حتى تفعل . ويكفي أنه قال لا تفعل حتى لا تفعل . وفي هذا مسحة صوفية واضحة<sup>1</sup> .

في هذه الحكمة توجيه سلوكي، يعلمنا كيف تتأدب مع الله فنمثل لأوامره، دون مناقشة، سواء افعل أو لا تفعل؛ إنما يناقش الانسان شخصا مساويا له - والمقصود بهذه المساواة، سنأ إما في العلم، أو في السن أي نظير، فنحن لا نقاش الأكبر منا إذا طلب منا فعل شيء، أو عدم فعله، فما بالك ونحن (أمام) بصدد أوامر الله عز وجل - فإننا لا نملك سوى الامثال . أما العصاة المتمردون فلهم جزاؤهم عند ربهم .

ولعل هذه الحكمة الموالية تسد ثغرة قد يصنعها الشيطان لصاحبها في أمر الطاعة هذا .

4 . يقول الشيخ: "لماذا يتمنى الكافر أن يكون ترابا؟ لهول العذاب الذي يراه أمامه؛ وهول

الخسران الذي تعرض له؛ وهذا دليل على شدة الندم؛ يوم لا ينفع الندم"<sup>2</sup>، وهنا تلاحظ أن الشيخ

الشعراوي يستمد هذه الأفكار من آيات الذكر الحكيم، وهذا خير جواب على أيّ تساؤل أو

تخمين، أو دسٍّ من وسوسة الشيطان .

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص 213 .

2 تفسير الشعراوي، ج1، ص 224 .

5. وتأتي الحكمة الموالية تتابع سابقتها لتساندها في ترسيخ فكرة الثبات على العقيدة السمحة فيقول: "اليقين الذي لا شك فيه هو أننا جميعا سنلاقي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وسيحاسبنا على أعمالنا"<sup>1</sup>.

ومع أن هذا يقين، فإن كثيرا من الناس لا يلتفتون إليه، يسعون للمستقبل ويمضون، ولا يجلس واحد منهم ليقيم الآخرة. وتجد قليلا من الآباء هم الذين يبذلون جهدا بجمل أبنائهم على الصلاة وعبادة الله والأمانة وكل ما يقربهم إلى الله. إنهم ينسون النعيم الحقيقي، ويجرون وراء الرذائل فتكون النتيجة عليهم وباء في الآخرة. هذه إشارة صريحة إلى مسؤولية الآباء نحو الأبناء، مسؤولية التربية والتوجيه، وفاقده الشيء لا يعطيه، فمادام الأب منغمسا في رذائل الدنيا، منشغلا على حقيقة هذا الدين، ولم ينبه نفسه، ولا يربي ابنه على الدين وتذكر الصلاة لأنها عمود الدين، فبواسطتها يذكر الإنسان أن له رب يعبد هذه العبادة تقوده غل الاعتقاد بوجود اليوم الآخر، والحساب والعقاب والثواب فيرتدع، ويتحصن بهذه الصلاة التي هي رحمة من الله.

وكيف تكون النتيجة عليهم وبالا؟ بالفعل رأينا عاقبة من لم يمثل لأوامر الله، ويهمل تربية أولاده على الصلاة والتقوى والأمانة رأينا أولادهم حصاد المخدرات، وحوادث المرور، وريادة

---

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص 225.

السجون، وجرائم القتل والزنا، وغيرها من المشاكل تعني عنها الصلاة، وما تنهى عنه من فحشاء ومنكر.

6. هذه الحكمة للشيخ تلخص مسار الانسان، من بدايته غير المشهودة: الخلق؛ إلى

نهايته المشهودة المتكررة: الموت. فيقول: "إن الموت أمر حسيّ مشاهد . . . ولذلك فمن رحمة الله بالعقل البشري بالنسبة للأحداث الغيبية، أن الله سبحانه وتعالى، قربها لنا بشيء مشاهد:

كيف؟ عندما ينظر الانسان إلى نفسه وهو حي لا يعرف كيف أحياه الله وكيف خلقه. الله

سبحانه وتعالى ذكر لنا غيب الخلق في القرآن الكريم فقال جل جلاله أنه خلق الانسان من تراب

ومن طين ومن حمأ مسنون ثم نفخ في من روجه. فالحق تبارك وتعالى أخبرنا عن مرحلة في الخلق لم

نشهدها . . . ولكن الموت شيء مشهود لنا جميعا . . . وما دام مشهودًا لنا فيأتي الحق سبحانه

وتعالى به كدليل على مراحل الخلق التي لم نشهدها"<sup>1</sup>.

تمثل حجاجية هذا النص في كونه رد على من ينكرون عدالة الله سبحانه وتعالى،

ويظنون أن العالم جاء صدفة، فيخبرنا أن الله بين لنا قصة خلق آدم في القرآن، وجاء بشيء

مشهود هو الموت كدليل على البداية التي هي الخلق.

وقد تعرض سيد قطب لقضية العدالة الإلهية بحق الانسان في معرفة أو التيقن من بدء

خلقه من لا شيء يعني لا سبب (لا أب ولا أم)، فيقول إن آدم خلق من غير أب ولا أم، وحواء

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص 227.

خلقت من أب بلا أم، ومريم عيها السلام أم لعيسى عليه وعلى نبينا السلام بلا أب، وهذا منتهى العدل الإلهي في تمكين الانسان في معرفة كيفية خلقه، وقد تطورت الدراسات العلمية وأثبتت وجود حياتين ومماتين للإنسان، الأولى في الأزل، ثم بعث ثم يموت ثم بعد موته بعث ليحاسب، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم.

7. وعن أهداف القرآن من ضرب الامثال، أخذ العبرة، وليس التشخيص، يقول الشيخ: " بعض الناس يشغلون أنفسهم بمن هو فرعون موسى؟ ومن هو ذو القرنين. الخ، نقول لهم لن تصلوا إلى شيء. لأن الله سبحانه وتعالى روى لنا القصة دون توضيح للأشخاص لنعرف أنه ليس المقصود شخصا بعينه، ولكن المقصود هو الحكمة من القصة"<sup>1</sup>. بالفعل لو كان المقصود فرعون فإنَّ عهده قد انقضى، ونحن في عهد جديد، غير أن ظلم الجبابرة متجدد، وفرعون ليس مقصوداً كشخص؛ لكن اقترن اسمه بالظلم والتكبر، لذلك نقول لكل زمان فرعون، وهذه الحكمة موجهة للناس الذين يتركون الباب ويتبعون القشور، فيبحثون من موسى، ومن فرعون، هذا الكلام توجيهٌ لهم: ليس المهم من هو فرعون، لكن المهم أن لا تكون ظلماً كظلم فرعون، فالله توعدده لأنه ظالم، ليس لأنه فرعون.

8. هذه مجموعة من الحكم توجه الأخلاق والمعاملات نوردتها بالتحليل.

---

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص 240.

"الثائر الحق من يسعى لإطاحة الفساد، فإذا نجح يبدأ في صناعة الأجداد"<sup>1</sup>

هي دعوة صريحة إلى محاربة الفساد، والإطاحة به، ومظاهر الفساد كثيرة في الحياة، فساد في العقيدة، فساد في الرأي، فساد في الحكم، فساد في المجتمع، في الأسرة، في الفرد، أي الانحراف عن الصواب؛ فكلمة حق في نص الحكمة ملفتة للانتباه، ومؤثرة خاصة عند الشباب الذين يملكون القوة، والقدرة على الثورات؛ فبمجرد سماع كلمة الثائر الحق، تستعدّ الهمم لتظهر قوتها ثم بعد ذلك يوجهها إلى البناء بعد الهدم، حتى يصبح البنيان متينا لا تزعزعه العواصف.

9. إن القلوب إذا تنافر ودّها \* مثل الزجاج كسرها لا يشعب<sup>2</sup>؛ (أي لا يجبر)؛

استعارة تمثيلية، تعكس دقة التشبيه، وشدّة الاهتمام بقضية التربية والتوجيه، لأجل الإصلاح، والمصلح دائما يبحث في أسباب النفور، وسبب التخلف، فلا مرض أخطر من مرض القلوب؛ هذه الحكمة مستمدة من حكم الإمام علي كرم الله وجهه.

إنها كلمة وجيزة في مبناها عميقة في رؤيتها، وخطورتها حيث مثل الزجاج في تماسكها وجمالها وفائدتها، ماذا يفيد كسرها؟ وإذا كسرت هل نستطيع لمّ شتاتها من جديد؟ كذلك القلوب إذا تنافرت ودبّ إليها الشر، وسوء الظن، والبغض.

10. هذه مجموعة من الحكم توجه السلوك الإنساني والأخلاق، نوردتها بالتحليل فيما يلي:

1 تفسير الشعراوي، ج10، ص 6431.

2 تفسير الشعراوي، ج1، ص 163.

يقول الشيخ: "الفساد في الأرض هو أن تعمد إلى الصالح فتفسده، وأقل ما يطلب منك في الدنيا، أن تدع الصالح لصلاحه، ولا تتدخل فيه لتفسده، فإن شئت أن ترتقي إيمانياً، تأتي للصالح، وتزيد من صلاحه، فإن جئت للصالح وأفسدت فسادين، لأن الله سبحانه وتعالى، أصلح لك مقومات حياتك في الكون، فلم تتركها على الصالح الذي خلقت به، وكان تركها مجد ذاته، بعداً عن الفساد، بل جئت إليها، وهي صالحة بخلق الله لها فأفسدتها، فأنت لم تستقبل النعمة الممنوحة لك من الله، بأن تتركها تؤدي مهمتها في الحياة، ولم تزد في مهمتها صلاحاً، ولكنك جئت إلى هذه المهمة فأفسدتها"<sup>1</sup>.

نص طويل، استدعى المقام الذي قيل فيه كثير من الشرح والمعالجة، والتكرار والتعليل؛ وذلك لأهمية القضية المطروحة. (الفساد في الأرض).

لماذا استدعى كل هذا الشرح والتعليل، والتكرار؟ لأن صاحبه في موقف جحود، واستنكار لما رأى من الفساد؛ فاضطره ذلك الشعور إلى الاكثار من أدوات الربط والتوضيح - فإن للشرط، قد للتحقيق، التقسيم في الكلام، لأن للتعليل، بل للمقابلة بين أمرين: الافساد والاصلاح؛ كما نجد النفي الذي غرضه العتاب والتأنيب. لكن للتحسر والأسف؛ وهذا النص يعكس واقعا مرادفاً لشيخ في حياته اليومية؛ يتمثل في انتشار الفساد في الأرض، وفي الأخلاق، وفي العقيد، لأن كل فساد في الأرض والأخلاق مردّه فساد في القلب، وخلل في فهم

---

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص10.

العقيدة، لذلك نقول أن مهمة المصلح، أو العالم بصفة عامة ليست سهلة، فالحكيم لا يصدر حكمة؛ إلا إذا عاش مرارتها، وتعذب لرؤيتها مجسّم المرهف، وغيرته على دينه، وحرصه على تأدية الأمانة التي استخلفه الله لأدائها . فهو لم يجد الطريق مفروشا بالورود؛ بل تحفه الأشواك من كل ناحية .

11 . وعن الفرق بين منهج الايمان، ومنهج الشيطان، يقول الشيخ: "الحادثة واحدة، ولكن الذي اختلف هو الحلال والحرام . انظر كيف يتصرف الناس في الحلال، في النور . . في الأمان، وكيف يتصرفون في الحرام ومنهج الشيطان، في الظلام وفي الخفية، ويحرصون على ألا يراهم أحد، ومن هنا تأتي دقة التعبير القرآني ﴿شَيْطِينِهِمْ إِلَىٰ خَلْوٍ وَإِذَا﴾<sup>11</sup> ما المقصود بالحادثة، أي أن الدنيا عند المؤمن لها أبواب، ومفاتيح يلجها في الحلال، فهو يختلي بزوجه مطمئن البال، ويعلن عن هذا الاقتران في الملاء، بالفرح والسرور . أما الزاني فإنه يختلي بامرأة أجنبية، بدون أن يستأذن أهلها، لذلك تجده محتباً في الأماكن المظلمة، مهتز النفس متوجساً .

12 . ثم يقول في حكمة أخرى: " منهج الشيطان يحتاج إلى خلوة، إلى مكان لا يراك في أحد، ولا يسمعك في أحد، لأن العفن في منهج الشيطان فضيحة، ولذلك تجد غير المستقيم يحاول جاهداً، أن يستر حركته في عدم الاستقامة، ومحاولة أن يستر، هي شهادة منه بأن ما يفعله

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص158 .

جريمة وقبح، ولا يصح أن يعمله أحد عنه، وما دام لا يصح أن يراه أحد في مكان مان فاعلم أنه يحس أن ما يفعله في هذا المكان هو من عمل الشيطان، الذي لا يقره الله، ولا يرضى عنه<sup>1</sup>.

إلحاق الشيخ على فكرة ما، وطرقها من كل جوانبها، وتأكيد على المكان، وهو مكان وقوع الجريمة، قد يكون في حانة، أو في بيت من بيوت الدعارة، قد كرر هذه الكلمة عدة مرات، وكان الذي اقترف الذنب يجلس أمامه.

كما طرق كلمة أخرى هي لفظة إحساس - وسبقها - فعلٌ ومؤكّد، اعلم أنّه يحس؛ فتحمل طاقة حجاجية هائلة، وتحمل قدرة فائقة على توجيه المذنب، ودفعه إلى الاقلاع عن هذا الذنب المشين، وتخلصه من ذلك الخوف الذي يتأبّه، خاصة وأنه نعته بالإحساس، والذي يُحسّ، ويخجل، ويشعر بالخوف، يصبح لديه أمل في الاستقامة. إنها طريقة رائعة في حثّ الانسان على هجر هذه الأماكن المحظورة، التي يخاف أن يراه الناس فيها.

قد بين من خلال هذا النص، معان متضمنة في الأقوال، تشي بأن كل انسان خطاء، حتى الذي يرتاد المساجد، ويظهر بمظهر الاستقامة، فإنه معرض لإغواء الشيطان، أو رفقاء السوء، أو ظروف القاهرة، فإنه يوجه فيه هذا الشعور بالذنب.

13. ينتقل الشيخ في مقولة أخرى من مقولاته التوجيهية؛ تصرّحاً هذه المرة، بأسلوب

القرآن ويبدأ بالآية الكريمة: ﴿لَمَزَةٌ هُمَزَةٌ لِكُلِّ وَيْلٍ﴾، ثم يشرحها بقوله: "والهمزة هو الذي

---

1 نفسه.



يسخر من الناس، ولو بالإشارة، يرى انسانا مصابا بعاهة في قدمه، يمشي وهو يعرج، فيحاول أن يقلده بطريقة تثير السخرية، إما بالإشارة وإما بالكلام، وهناك همزٌ وهمزة: الهمز الاستهزاء والسخرية من الناس، علامة عدم الايمان. لأننا كلنا مخلوقون من إله واحد<sup>1</sup>. قضية يستخف الناس بخطورتها، مقابل متعة الضحك والتهريج، يحيلها الشيخ إلى قضية إيمانية تمس العقيدة، والإيمان بالله الواحد -عز وجل- ثم يواصل المقولة: " فهذه الصفة التي سخرت فيها من انسان أعرج مثلا، لا عمل له فيها، ولا حول ولا قوة؛ والانسان لم يصنع نفسه، والحقيقة أنك تسخر من صنع الله، والذي يسخر من خلق الله انسان غيبي، لأنه سخر من خلق الله في عيب، ولم يقدر ما تفصل الله به عليه، كما انه سخر من عيب ولم يفتن إلى أن الحق سبحانه وتعالى قد أعطى ذلك الانسان خصالا وميزات ربما لم يعطها له، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿مِنْهُمْ خَيْرٌ أَيْ كُونُوا أَنْ عَسَى قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ يُسَخَّرُونَ لَكُمْ آمَنُوا الَّذِينَ يَتَّبِعُهَا﴾".

هنالك بعض التصرفات اعتاد عليها الناس في يومياتهم، ومعاملتهم بعضهم لبعض، بدافع المزاح والتعليق، غير أنها عند الله عظيمة، وللتنويه بها بدأ النص الحجاجي بآية، وأختمه بآية أخرى من القرآن الكريم .

---

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص159 .

ندرج هذا الخطاب ضمن حجة السلطة، لأن الناس غالباً ما يقولون أنه مجرد مزاح، لكن إن جئنا بنص من القرآن؛ فإنه يرتدع . ومن ناحية أخرى نجد لهذه المقولة تفصيلات جزئية . ندرجها فيما يلي:

- الحجة التعليلية، إذ ينعت الهمزة بالغباوة والحمق، ويعلل ذلك بسببين: الأول أنه لم ينتبه أن الله سبحانه وتعالى قد نزهه من ذلك العيب، إذ خلقه فأحسن إليه بالمعافاة من ذلك العيب؛ الثاني أنه يعيب الخالق، ويجهل أن الله قد عوض هذا الإنسان بمخصل ربما لا يملكها هو، وفي هذا التعبير ندرك أن الشيخ الشعراوي، قد استدرك كلمة عيب بكلمة تعويض، وكأنني به استدرك الفكرة من أساسها، فراح ينزه الله سبحانه وتعالى عن ظلم الناس . ويعزز قوله بآية أخرى، وختم بها ولم يشرحها، لأنه ليس بصدد الخواطر؛ بل لمجرد الاستشهاد .

14 . من حكم الشيخ التوجيهية: أن حياة الانسان لا تستقيم إلا باتباع هذا الدين، إذ

يقول: " فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، ما هو الخوف؟ وما هو الحزن؟ الخوف أن تتوقع شراً مقبلاً لا قدرة لك على دفعه فتخاف منه؛ والحزن أن يفوتك شيء تحبه وتتمناه .  
والحق سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية من مشى في طريق الإيمان الذي دلته عليه وأنزلته في

منهجي، فلا خوف عليه أي أنه لا خير سيفوتهم فيحزنوا عليه، لأن كل الخير في منهج الله، فالذي يتبع المنهج لا يخاف حدوث شيء أبدا<sup>1</sup>.

استهل قوله بآية كريمة ثم انتقل الى الشرح اللغوي مباشرة، بإسقاط أسئلة عن معاني الكلمات المفتاحية في الآية، ثم يجيب. وبعدها يشرح الفكرة مضمنا أسلوب التحضيض على اتباع طريق الايمان، ويسمي القرآن منهجا ومن اتبعه فإنه لن يعرف الخوف، ولا يفوته شيء من الخير. وكيف يحدث ذلك والخير موجود في منهج الله، ومن يدعي ذلك فلا علم له بحقيقة الأمر. إذن فالمؤمن لا يخاف أبدا ولا يضمن وجود الخير في غير منهج الله.

15. يواصل الشيخ في حكمه التوجيهية للمؤمنين بل للناس أجمعين، لأنه يتكلم عن الطرفين، فيعقد مقارنة بين الفئة المؤمنة والكافرة، فيقول: "ما الفرق بين أن يقول الانسان المؤمن: "الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ اللَّهُ بِسْمِ بْنِ الْكَافِرِ الَّذِي لَا يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ، ومع ذلك فالأعمال تعطي ثمارها للكافر والمؤمن سواء، الإجابة هي: إن الفرق بين المؤمن والكافر فرق واضح إن المؤمن يثق بأن الله سخر له العمل.. فيطمئن وهو يؤدي العمل، إن المؤمن يعمل وفي باله الاطمئنان، والإحساس بالأمان، وأن الخير لا يجيء في الدنيا وحدها.. إن الخير يجيء في الدنيا ويثاب عليه المرء في الآخرة. أما الكافر فقد يقوم بالعمل وقد يفشل فيه.. ويرث القلق على العمل ولا يأتيه الثواب على العمل في الآخرة؛ لذلك فنحن أيضا عندما نحمد الله بعد العمل، فإننا نؤكد الصلة والثقة بأن

1 تفسير الشعراوي، ج1، ص184.

الله هو الذي أعطانا فلا يدخلنا غرور أو زهو. . إنما يحس الانسان بفضل الله<sup>1</sup>. من خلال هذه المقارنة يطرق الشيخ قضية الايمان بالله وباليوم الآخر، وهي من دعائم الدين، فمن يعمل باسم الله، يدخل في حالة من الطمأنينة والصبر والثقة بالله مهما كانت نتائج عمله، فإن صلحت فلا يغتر ولا ينسب النتائج لنفسه، بل يقول ما توفيقى إلا بالله، وإن أخفق فهو على ثقة بان الله سيؤجره في الآخرة وأن نعيم الدنيا زائل.

- يبدو أسلوب هذه الحكمة واضحاً بـسـيـطان موجهها إلى أناس مؤمنين من باب التذكرة، التذكير بما يجب على المؤمن تجاه ربه من ثقة وصبر وما له من ثواب وأجر، يورث الطمأنينة والشكر؛ وفي نفس المضمار تأتي الحكمة الموالية:

16. "الانسان الذي يستعلي بالأسباب، سيأتي وقت لا تعطيه الأسباب"<sup>2</sup>. من نتائج البعد عن طريق الله، بات الناس يؤمنون بالأسباب وكأن الأسباب هي التي تعطيهم، وهو فكر أورثه الاستعمار بشتى ألوانه، للشعوب المستضعفة.

17. إن الايمان بالله قمة الايمان بداية، والايمان بالآخرة قمة الايمان نهاية. فالمؤمن يكبح جماح نفسه أمام شهوات الدنيا الزائلة، لينال عز الآخرة الدائم ونعيمها، مقابل التزامه بمنهج الله وفي ذلك يقول الشيخ: "إن الدين كلمة تقال وسلوك يفعل، فإذا انفصلت الكلمة عن السلوك ضاعت

---

1 أقوال الشيخ الشعراوي، موقع الكتروني.

2 تفسير الشعراوي، ج1، ص315.

الدعوة فالله سبحانه وتعالى يقول:

تَفْعَلُونَ لِمَا تَقُولُونَ لَمْ يَأْمُرُ الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا  
﴿﴾ تَفْعَلُونَ لِمَا تَقُولُونَ لَمْ يَأْمُرُ الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا  
﴿﴾، لأن من يراك تفعل ما تنهاه عنه يعرف أنك مخادع وغشاش وما لم ترضه أنت كسلوكك لنفسك لا  
يمكن أن تبشر به غيرك<sup>1</sup>. وفي اطار توطيد وثاق الايمان في الأنفس، إثر ما وصلت إليه المجتمعات  
من تكالب على الدنيا يقول الشيخ:

18. " الرزق هو ما ينتفع به، وليس هو ما تحصل عليه، فقد تربع مالا وافرا ولكنك لا  
تنفقه، ولا تستفيد منه، فلا يكون هذا رزقك ولكنه رزق غيرك وأنت تفضل حارسا عليه، فلا  
تنفق منه قرشا واحدا حتى توصله إلى صاحبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' يقول ابن  
آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت  
فأمضيت'<sup>2</sup>، يثمن الشيخ نصائحه بخير كلام من القرآن والهدي النبوي، جاء في حكمة اخرى  
داعمة، وتشارك معها في المغزى:

19. "

﴿﴾ تَفْلِحُونَ لَعَلَّكُمْ كَثِيرًا اللَّهُ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فَضَّلَ مِنْ وَأَبْتَغُوا الْأَرْضَ فِي فَاَنْتَشِرُوا الصَّلَاةَ قُضِيَتْ فَاِذَا  
﴿﴾، كأنك ذهبت للمسجد لتأخذ شحنة إيمانية، وتسيطر على كل حواسك في حركتك في التجارة،

1 أقوال الشيخ الشعراوي، موقع الكتروني.

2 نفسه.

وفي الانتاج، وفي الاستهلاك، وفي كل ما ينفعك وينمي حياتك. وحين يأمر ربك أن تفرغ لأداء الصلاة لا يريد لهذا الفراغ ان يعطل لك حركة الحياة، إنما يعطيك الوقود اللازم لتصبح حياتك على وفق ما أَرَادَهُ اللهُ<sup>1</sup>. إنه بناء التصور الاسلامي، وتصحيح المفاهيم المغلطة، فالذي يظن أن تأدية الصلاة تعطل له نشاطه في تجارة، أو مصنع فهو مخطئ إنما هي مدد روعي، كأن تشحن فيك الهمة، لتشتغل بصدق واخلص لا بتلفيق، فالصلاة تذكرك أن هناك رقيب يرقب تصرفاتك، وبارك خطاك ما إن اتقيته؛ ومن التوجيهات السلوكية وبعث القوة الايمانية في الأنفس يقول الشيخ:

20. " لا تحزن إن ارهقتك الهموم، وضقت بك الدنيا بما رحبت فرما أحب الله ان

يسمع صوتك وأنت تدعوه"<sup>2</sup> حجج ضمنية وأسرار تخفى على الانسان إذا تسلط عليه الهمن عميت بصيرته وظن بالله الظنون، يقول الشيخ منبها ربما أحب الله أن يسمع صوتك وأنت تدعوه، يا له من لطف، وورقي في المعاملة من الله عز وجل لعبده الضعيف المهموم أراد سماع صوت عبده وهو يدعوه. وأخيرا يقول الشيخ :

21. " في يد كل واحد منا مفتاح الطريق الذي يقوده إلى الجنة، أو إلى النار ولذلك إذا

وفيت بالعهد أوفى الله، وإذا ذكرت الله ذكرك، وإذا نصرت الله نصرك"<sup>3</sup>. يضع الشيخ الانسان على عتبة المسؤولية، فلا يظلم إلا نفسه، ولا يعق إلا نفسه. وقد استمد جُل حكمة من القرآن

1 من أقوال الشيخ الشعراوي، موقع أكتروني.

2نفسه.

3نفسه.

والسنة والأحاديث القدسية، تمثل في مجملها حجج السلطة والاذعان، يدعم بها أحاديثه ويثمن بها نصائحه، إذ يستمدّ منها الأفكار، والحكم، والأسرار.

## 2. حجاجية التأويل عند الشعراوي مقارنة بمجموعة من المفسرين:

### 1-2- حجاجية الاختيار:

اخترنا (سورة الكهف) لمركزها الاجتماعي، فهي تتمحور على قصص وعبر، قصة الإيمان والهدى وشكر النعمة، واخترنا في ظلال القرآن، سيد قطب لأنه يحسن التقييم والتبويب، ويسهل العمل. ومن القرن السادس الهجري اخترنا عيون التفاسير للسيواسي، لحجاجية العنوان ولأنه في وقت متقدم، سائر على درب الأولين، يهتم بالتفسير اللغوي، وأسباب النزول، أما تفسير الشيخ الشعراوي فلأنه معاصر أولاً، ولأنه موضوع أطروحتنا ثانياً.

يقول سيد قطب: "القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة؛ ففي أولها تأتي قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليقا وتعقيب على القصص فيها. وإلى جانب القصص بعض مشاهد القيامة وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير"<sup>1</sup>.

إن هذا التلخيص لملامح القصة في سورة الكهف، يساعد كثيرا على فتح شهية القراءة والاهتمام، ويدفع ملل الإطالة كما في بعض التفسير (من شرح، وإعراب، وكثرة إسناد)، فهو يصنع

<sup>1</sup> في ظلال القرآن، ج4، ص 2256 - 2257.



الإثارة، ويربي في صاحبه عنصر التشويق فتجده مشدودا بهذا الأسلوب الشيق تلك كانت انطلاقة سيد قطب.

تتخذ القصة بجوانبها المتعددة، وأوجهها الكثيرة خطا سياقيا عبر القرآن الكريم، حتى تكتمل قصة آدم عليه السلام. سورة ص، والأعراف، طه، الإسراء، الحجر، الكهف، البقرة، في كل مرة تنسج هذه حسب سياق السورة دون تكرار، وقد تتبعنا هذه القصة (قصة آدم عليه السلام) في الظلال عبر السورة المذكورة، لتبين السياقات المتعددة التي ساهمت في سرد قصة آدم، ليس للمتعة الفنية بل تتبعناه لعدة أغراض يذكرها سيد قطب في سياقاتها المختلفة في الظلال، كما يرتبها باختصار في كتابه التصوير الفني<sup>1</sup>.

قال حسين فضل عباس في كتابه القصص القرآني، وهو بصدد ذكر قصة آدم:

يقول الشيخ محمد الخضر الحسين<sup>2</sup> شيخ الأزهر السابق، وهو بصدد ذكر قوله تعالى:

مِّنْ بَشَرٍ آخِلِقُ إِنِّي لِلْمَلَيْكَةِ رَبُّكَ قَالَ إِذْ ﴿٧﴾ مُبِينٌ نَذِيرٌ أَنَّا نَمَّا إِلَّا إِلَىٰ يَوْمِ حِسَابٍ ﴿٨﴾

طِين<sup>3</sup>

أنها وردت في ست سور، في البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه<sup>1</sup>، كما أنها

وردت في سورة ص.

1 سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص(144 إلى 155)

2 أصله جزائري.

3 سورة ص، الآيات 71-72.

وقد ذكر شيخ الأزهر أن هاتين الآيتين وردتا في عدة سياقات، وأن دلالتها تختلف باختلاف السياقات التي ترد فيها . . . ويفصل ذلك من خلال بعض الشرح والتوضيح، إذ يقول:

"ففي سورة البقرة وردت القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، والعجب من أنهم يفكرون به، فكانت القصة تدور على هذا التفكير من جعل آدم خليفة، وتعليمه الأسماء كلها، وفي سورة الأعراف وردت هذه القصة في سياق أن الناس قليلا ما يشكرون الله الذي مكثهم في الأرض وجعل لهم فيها معاش، ولهذا أسهبت القصة في موقف إبليس مع الإنسان .

وفي سورة الحجر، وردت القصة في سياق خلق آدم عليه السلام، من طين والجن من نار، فليست مادة أفضل من مادة، وهذا ما ركزت عليه القصة .

أما في سورة الإسراء، فقد وردت قصة آدم في سياق فتنة الناس، ولذلك كان الإسهاب فيها في واقعة حسد إبليس وعدائه لآدم وذريته"<sup>2</sup>.

ولقد أوحى إلينا - هذا الكلام - أن مسألة أهمية السياق في التحكم في دلالة الآيات القرآنية لم تكن موضوعا جديدا أتى به سيد قطب، وأن مسألة اتساق الآيات مع موضوع السورة لم يكن مسألة محدثة لديه . بل إنه قد سبق إلى ذلك من جهة، وأن منهجه الذي جاء به لم يكن بدعا من المناهج عند المفسرين المسلمين، لكن الذي بدا لنا من خلال تتبعنا لهذه المسألة، أن سيد قد

---

1 حسن فضل عباس في كتابه القصص القرآني، إبحاؤه وفتحاته، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، دار الشهاب، الجزائر، 1989، ص54-55.

2 فضل حسن عباس، القصص القرآني، ص54-55.

تفرد باتخاذ مفهوم السياق منهجاً لتفسير القرآن الكريم، وأنه نظر للقرآن كله وإلى السور والآيات باعتبارها منتظمة في نسق واحد، ينبغي البحث عنه والانطلاق منه في فهم النصوص القرآنية، وقد اقتضى منا هذا الأمر أن نبحث عن الآيات السابقة في الظلال، لننظر كيف فهمها سيد قطب، وكيف ربط بينها وبين سياق السورة، وما هي نقاط الاتفاق والاختلاف بينه وبين شيخ الأزهر محمد الخضر حسين، في كلامه الآنف ذكره، كما أننا سنأخذ بعين الاعتبار ما قاله الدكتور فضل حسن عباس<sup>1</sup>.

الشوط الثاني: يبدأ من الآية (17) وينتهي بالآية (48) وفيه سرد لقصة أيوب عليه السلام- وصبره، وفي عرضها تأسية للرسول- صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين عما كانوا يلقونه من الضر والبأساء في مكة، وتوجيهه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة (. . .) وهذا القصة يستغرق معظم السورة بعد المقدمة.

والشوط الثالث : يبدأ من الآية (39) وينتهي بالآية (64)، وتتضمن الرد على استعجال المتكبرين بالعذاب.

أما الشوط الرابع: يبدأ من الآية (64) وينتهي عند الآية (65)، ويتضمن الرد على استنكار المشركين لما يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي، ويتمثل هذا الرد في قصة آدم في الملائ الأعلى " وتحمم السورة بختام هذا الشوط الرابع والأخير فيها، يقول النبي صلى

---

1 حسن فضل عباس، من القصة القرآني، ص 44،45.

الله عليه وسلم لهم إن ما يدعوهم إليه لا يتكفله من عنده، ولا يطلب عليه أجرا، وإن له لشأنا عظيما سوف يتجلى "1.

ي مِنْ فِيهِ وَنَفَخَتْ سُورِيَّتُهُ فَإِذَا ﴿٧٦﴾ طِينٍ مِّنْ بَشَرٍ أَخْلَقُ إِنِّي لِلْمَلَأِكَةِ رَبُّكَ قَالَ إِذْ ﴿٧٧﴾ سَجِدِينَ لَهُ فَفَعُّوْا رُوحَ 2

والظاهر أن موضوع خلق آدم - عليه السلام-، وموقف إبليس من السجود له، وارد في الشوط الرابع من هذه السورة.

كان اهتمام العلماء الأجلاء بعلوم القرآن وتسايقهم لكتابة تفاسير بعبارات رائقة، وتركيبات شائقة تستعصي على بعض طلاب العلم من العجم والعرب، فتنبه الشيخ (شهاب الدين السيواسي/ ت860هـ) لانتخاب تفسير من تلك التفاسير - مختصرا قريبا من التناول بعيدا من التفاصيل تيسيرا لكل طالب<sup>3</sup> هذه إذن حجاجية اختيار "عيون التفاسير" كي نسلط الضوء أهمية مراعاة مستويات المتلقين لتفسير كتاب الله والمعتمين بدراسة من المسلمين العرب والعجم. كيف قدم لنا السيواسي سورة الكهف، وكيف اختصر تفسيرها من التفاسير المشهورة، حتى تخرج في حلة بسيطة مختصرة.

1 الظلال، ج4، ص3006.

2 سورة ص، الآية 72-73.

3 ينظر تقديم كتاب عيون التفاسير، إذ بين أنه مختصر قريب التناول لفئة معينة من طلاب العلم العجم، الذين شق عليهم متابعة أمهات التفاسير.

ففي الآية الأولى من سورة الكهف بعد كتابة الآية يشير في الهامش إلى عدم وجود مصادر  
"ولم أجد له مرجعا في المصادر التي راجعتها"<sup>1</sup>

اختصر الكلام عن عبارة (الحمد لله) ففي بداية الكهف والتسبيح في سورة الإسراء لأن  
التسبيح مبدأ درجات كماله ومقام التحميد نهايتها لكونه مكمل للبشر بالكتاب  
عن الآية الثانية: يقول في الهامش "لعله اختصره في الكشف".<sup>2</sup>

أما النظام الذي سار عليه السيواسي في باقي السورة فهو الشرح اللغوي بإعطاء المعنى  
باختصار، وإعطاء المعنى مجملا بعد قوله (أي) التفسيرية، ثم يذكر القراءات باختصار في الهامش  
(من لدنه: قرأ شعبة بإسكان الدال مع اشمامها الضم وكسر النون والهاء ووصلها بياء في اللفظ؛  
والباقون بضم الدال وإسكان النون وضم الهاء من غير صلة إلا للمكي، فمع الصلة البدور  
الزاهرة)<sup>3</sup>.

فقد تميز السيواسي في تفسيره بالاختصار فلم يتجاوز الفقرة في الكلام عن معاني الآية  
الواحدة بمعدل سطر لكل معنى. وكل ذلك مراعاة لطلاب العلم؛ وهذا دليل على حجاجية  
الخطاب بغية الإقناع وتيسير الفهم.

---

1 عيون التقاسير، ج3، ص38.

2 عيون التقاسير، ج3، ص197، هامش الصفحة 38.

3 عيون التقاسير، ج3، ص38.

استغرق تفسير سورة الكهف عند السيواسيتسعا وعشرون صفحة، دليل على الاختصار وتوصيل المعنى، دون الخروج إلى السياق النفسي والاجتماعي والتاريخي، كما حدث مع كل من سيد قطب والشعراوي، لذلك نجد أضعاف الصفحات عند كليهما في تفسير هذه السورة العظيمة، التي استغلها سيد قطب لتمرير ما في جعبته من قناعات حول المنهج القويم لحياة المؤمن، محاولاً وضع القارئ على محك الصدق، وإبعاده عن التملق والتخاذل أمام الحكام، وتبيان أن الحاكمية لله وكل أمور الحياة وذلك انعكاساً للظروف التي عاشها في سبيل الدفاع عن هذا المطلب الإيماني، الذي كلفه حياته -رحمه الله-.

أما الشعراوي الذي عاش تعاقب الأجيال المتطورة في حقب متفاوتة، من ضعف، واستعمار وثورات تحررية، واستقلال، فقد واكب مسيرة الأمة الإسلامية منذ نكستها الأولى في القرن التاسع عشر حتى إطلالتها على العالم الغربي من جديد وما صاحب ذلك كله من انتكاسات وانتصارات لأهل كلمة الله، وقد تجاوز كل الفرق والمذاهب، وحاول جمع الأمة حول كلمة الحق حيث يقول: "فالمذاهب الرعناء والطوائف الحمقى والفئات التي اتخذت من دين الله لونا تعصبت له، ولم تر الإسلام إلا فيه، بل ربما تسامى بها الأمر أو تنازل بها لدرجة أنها تكفر المذاهب الأخرى. تلك قضية جعلت الإسلام وسيلة تفريق لا وسيلة تجميع"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> محمد متولي الشعراوي، المناعة الإيمانية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 2006، ص 171

وخلاصة القول إن الشيخ الشعراوي قد جمع بين منهجي سابقه (السيواسي وسيد قطب) حيث يلتقي مع الأول في سعة الاطلاع ومراعاة فئات مستمعين على تفاوت درجاتهم؛ ويلتقي مع الثاني في حمل قضية الإيمان و إصلاح المجتمع بوضع الحدود بين الكفر والإيمان-على حد تعبير سيد قطب- فإما أن نعيش مؤمنين، فنطبق الدين بجذافره ونستشعر وجود الله في كل لحظة من حياتنا حتى نلقاه أو نتجاوز حدود الله باسم التطور والحضارة العمياء التي سماها "جاهلية القرن العشرين" والتي تستوجب من صاحبها تجديد إسلامه وتوبته إلى الله.

ويختلف الإمام الشعراوي مع الاثنين باستخدامه لآليات جديدة للإقناع مثل النزول إلى عقلية مستمعيه والانطلاق من واقعهم المعاش ليتماشى معهم ثم يرقى بالتدرج إلى مصاف الأولين من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنته، لذلك أقر الشيخ الشعراوي باستحالة وجود تفسير نهائي للقرآن الكريم منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأن لكل عصر مستجداته تتطلب مواقف متجددة في فهم القرآن ووسائل متطورة بتطور العصور.

أما الشيخ الشعراوي فربط بداية السورة بالحمد، بجتم سابقتها (الإسراء) بالحمد يقول: "وهو الشعار الذي أطلقه الرسول الله صلى الله عليه وسلم في خير الكلمات 'سبحان الله والحمد لله'. سبحان الله بدئت بها سورة الإسراء، والحمد بدئت بها سورة الكهف"<sup>1</sup> فهو يعقد الصلة بين السورتين، وبين شعار التسييح عند سيد الخلق أي بالمقام، فهذا المقام الذي من عاداته يساعد

---

<sup>1</sup>تفسير الشعراوي، ص8828.

على إنتاج النص، وبواسطة تفك شفرات النص، نجده عند الشعراوي، نتاج النص، فقد استمد سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- تسييحه وشكره لله من القرآن الكريم.

الطاقة الحجاجية لكلمة "حمد" عند الشعراوي تستغرق مساحة فسيحة " الحمد لله حمد للذات" أي نحمد الله لذاته لأنه يستحق الحمد كما أن سبحان الله تنزيه لذاته سبحانه أن يكون له شريك، لا في الذات ولا الأفعال ولا في الصفات"<sup>1</sup>، وبما أن الله سبحانه منزه في ذاته التي جاء منها العطاء فهو أهل الحمد الذي يعد "تكبرة الذات، والحمد لله شكر على العطاء"<sup>2</sup>

فهنا تتعاقب المحبتان، فالحمد للشكر كما أن التنزيه نتج عن التسييح فيشترك الحمد والشكر، والمدح إلا أن هذه الألفاظ، وان تقاربت في المعنى العام فكل منها معناه الخاص"، هذا النص حجاجي بامتياز من ناحية المعنى والشكل نجد الروابط الحجاجية ﴿إلا، أن، وإن، فلكل﴾ أما من ناحية التفريق بين معاني هذه الألفاظ، فدائماً ينتهي به الأمر إلى قضية الطلاقة في المعنى، مهما كان خاص كالشكر والمدح، فإنه بالتسلسل يصل إلى حمد الله لأنه مصدر كل النعم التي يصل إليها الإنسان فإنك إن شكرت إنسان على صنيع خير "وهكذا إذا سلسلت الحمد لأي إنسان في الدنيا يصل الى المنعم الأول سبحانه وتعالى"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 8828.

<sup>2</sup> نفسه، ص 8829.

<sup>3</sup> نفسه.



ثم يستدعى كل السور القرآنية التي بدأت بالحمد لله: (الفاتحة، الأنعام، الكهف) (موضوع مجتثا)، سبأ، فاطر) ويذكر كل الآيات التي بدأت بالحمد ثم يقول: "ولكن لكل حمد في كل سورة حيثية خاصة"<sup>1</sup>. ويعدّد الأسباب الخاصة التي جاء فيها الحمد في كل مرة. نذكرها باختصار، وتقف عند كلمة الحمد موضوع مجتثا من سورة الكهف".

فالأولى الفاتحة لأن الله رب العالمين (التربية) والثانية نحمده سبحانه في سورة الأنعام لأنه خلق السماوات والأرض والظلمات والنور، وفي الثالثة وهي سورة الكهف، يقول الشيخ والتي نحن بصددنا - أراد الحق سبحانه أن يوضح أنه لم يُربِّ الخلق تربية مادية فقط، بل هناك تربية أعلى من المادة، تربية روحية قيمة، فذكر هنا الحيثية الحقيقية لخلق الإنسان، فهو لم يخلق لمادته فحسب، ولكن لرسالة أسمى، خلق ليعرف القيم والرب والدين، وأن يعمل لحياة أخرى غير هذه الحياة المادية فقال تعالى: ﴿الْكِتَابَ عَبْدِهِ عَلَىٰ أَنْزَلَ الَّذِي لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾، فحيثية هنا إنزال الكتاب الذي يجمع كل القيم، وقلنا: إن الحق سبحانه محمود برحمانيته قبل أن يخلق الخلق وضع له النماذج التي تُصلح حركة الحياة"<sup>2</sup>، كما قال تعالى:

﴿الْبَيَانَ عَلَّمَهُ﴾ ﴿الْإِنْسَانَ خَلَقَ﴾ ﴿الْقُرْآنَ عَلَّمَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ج1، ص69.

<sup>2</sup> نفسه ص8829.

<sup>3</sup> سورة الرحمن، آية 1 إلى 4.

فتعليم القرآن جاء قبل خلق الإنسان، إذن: وضع الحق سبحانه لعباده المنهج المنظم لحياتهم قبل أن يخلقهم، لعلمه - سبحانه - بطبيعة خلقه، وبما يصلحهم، كالمخترع للآلة الذي يعلم مهمتها ويحدّد قانون صيانتها، فالكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو المهمة الأساسية فيجب أن تُؤنَّ عليها نفسك، وتعلم أنه المنظم لحياتك، وبه قانون صيانتك<sup>1</sup>، تكرار الفعل قلنا . يعني أنه تعرّض من قبل إلى هذه القضايا في مواقع أخرى سبقت سورة الكهف، وهنا يؤكد .

أمّا استعمال الروابط في هذا النص: (ف- إذن- والتشبيه بجرف الكاف) كلها تساعد الحجج المتعاقبة على الوصول إلى الأفهام، وبالتالي الإقناع.

## 2-2- النظرية التي سار عليها الشعراوي:

---

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 8831 .

في تفسيرهاآيات الذكر الحكيم يقر بداية بأن تناوله للقرآن لا يعدو أن يكون خواطر ربانية  
يخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات.<sup>1</sup>

نظرية الخواطر القائمة على الموازنة القائمة بين الذات والموضوع وهو منهج عرفته مسيرة  
التفسير التاريخية منذ الأيام الأولى لنزول القرآن، وقد كان لهذا المنهج مراحل مختلفة وأطوار  
متباينة، ففي عهد الصحابة لم تكن تحمل هذه النظرية اسما أو مصطلحا، ونتيجة عوامل كثيرة  
طرأت على الحيات العلمية عند المسلمين كعدد الثقافات وتوسع الفتوحات، وتناقض الخيرية  
وتباعد القرون من العهد النبوي وما تلاه من جيلين، تطورت هذه النظرية وحملت نفسا صوفيا،  
ومسحة سلوكية فاصطلح المفسرون بعد ذلك على تسميته بالتفسير الإشاري<sup>2</sup> ثم عرف بالذوق  
الانطباعي في الأبحاث المعاصرة.<sup>3</sup>

وقد عرف الذهبي هذه النظرية في ثوب التفسير الإشاري<sup>4</sup>، ثم بأنها تأويل آيات القرآن  
الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي ج 1 / 9

<sup>2</sup> أنظر التفسير والمفسرون الذهبي ص 2 / 291

<sup>3</sup> أطلق إسم "التفسير الذوق الإنطباعي" على هذا المنهج عند الشرقاوي في كتابه "الفكر الديني في مواجهة العصر" ثم سار عليه د. فهد

الرومي في كتابه "بحوث في أصول التفسير و مناهجه" ص 111، وكذلك الخالدي في كتابه "الشهيد المحي" ص 185.

<sup>1</sup> التفسير والمفسرون للذهبي 2 / ص 4353.

بينها و بين الظواهر المرادة<sup>1</sup>، ويكشف لنا عن قدم هذا المنهج فيقول: " لم يكن التفسير الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعرفه الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا به<sup>2</sup> و لعلّ الذهبي يقصد بقدم هذا المنهج من لدن نزول الوحي ما أخرجه البخاري عن ابن عباس أنه قال " كان عمر يدخلني على أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني ذات يومئذ إلا ليربهم قال ما تقولون في قوله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح ؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا و فتح الله علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لي: أأذكلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت: لا. قال: فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له. قال: إذا جاء نصر الله و الفتح، و ذلك علامة أجلك "فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول<sup>(3)</sup> .

ولما كان هذا المنهج الذي يعتمد الخواطر النفسية بدأ الشعراوي كلامه عن التفسير، وهو يحرص حرصا شديدا أن تكون مسيرته مع القرآن خواطر إيمانية وسبحات ربانية لاحت لرجل

1 كما عرفه د . صبحي الصالح بأنه : " التفسير الذي تؤول به الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والحفي " أنظر : مباحث في علوم القرآن 296 .

2 التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 / ص 45

3 كتاب التفسير باب (إذا جاء نصر الله و الفتح ) ص 4970

عاش مع القرآن طيلة عمره يتفكر في آياته ويتدبر معانيه، ويتشوق إلى فضائله وبركاته، ولكن سرعان ما وجدنا الشعراوي يتوسع في تفسيره لتلاشي الخواطر، و يحل محلها النزعة اللغوية والبلاغة الاجتماعية يخرج بذلك التفسير عن دائرة " الخواطر " إلى دائرة التفسير الموضوعي الذي يشتمل على كل ألوان التفسير ونماذجه، وله أسسه التي يقوم عليها .

### 2-3- الإعلان عن إخفاق في الإقناع عند الشيخ الشعراوي:

قال تعالى:

صَدِّقِينَ كُنْتُمْ إِن هَتُّؤُلَاءِ بِأَسْمَاءٍ أَنْبِئُونِي فَقَالَ الْمَلَكُ عَلَى عَرَضِهِمْ ثُمَّ كُلَّهَا الْأَسْمَاءُ ءَادَمَ وَعَلَّمَ ﴿١﴾



في خواطره حول هذه الآية الكريمة يفتح الشيخ الشعراوي عدة جبهات يستعصي على المستمع تتبعها حيث يقول: "وكلمة "كلها" تفيد الإحاطة، ومعنى الإحاطة: معرفة كل شيء عن هذه الأسماء . هنا يتبادر سؤال، هل علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء منذ ساعة الخلق؟"<sup>1</sup> ويضيف قائلاً: " ما دام الحق سبحانه وتعالى يقول "كلها" . فما حكم تلك الأسماء التي هي لمخترعات ستأتي بعد خلق آدم بقرون"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 31 .

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ص 247 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 247 .

بعد طرح هذه الأسئلة، انتقل الشيخ الشعراوي إلى الكلام عن القدرة الإلهية التي يعطيها للضعفاء من عباده، ويميزهم عن من هم أعلى منهم مرتبة، مثل ضعف آدم أمام الملائكة، فهو مخلوق من طين، وهم من نور، وأتى بعد ذلك بمثال ضعف الهدهد أمام سيدنا سليمان عليه السلام، وسيدنا الخضر أمام نبي الله موسى عليهم وعلى نبينا السلام، ورغم ذلك الضعف ميز الله هذه المخلوقات حتى يتسنى لنا معرفة أن القوة والمقدرة يمنحها الله عز وجل لعباده الضعفاء حتى لا يغيّر الأقوياء مثلما حصل عند تعليم آدم، وعجز الملائكة وهم مخلوقون من نور على معرفة مسميات هذه الأشياء، وهم يتلقون الأسماء من آدم -عليه السلام- والهدف من تعليمهم الأسماء لمرافقة آدم في الأرض عندما يستلم الخلافة.

وبعد هذا الطرح يتساءل الشيخ عن وسيلة تعليم آدم هذه الأسماء، ثم يقول "إنّ تعليم الخالق يختلف عن تعليم الخلق لأن الله الخالق يعلم إلهاما. يقذف في قلب آدم أسماء المسميات كلها. لكل ما في الكون من أسماء المخلوقات"<sup>1</sup>.

ثم يعود ليخلص: "إذا فالمشهد الأول...". وهنا لا بد لنا من وقفة، إنّ الكلام هو ناتج السمع واللغو ناتج البيئة. والله سبحانه علم آدم، وهذا العلم لم يكن يأتي إلا إذا كان آدم قد سمع من الله"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> تفسير الشعراوي، ص 249.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، ص 249.

نرتب ما قاله الشيخ الشعراوي عن تعليم سيدنا آدم عليه السلام:

1. علم آدم- عليه السلام- الأسماء كلها: بمعنى الإحاطة بكل الأسماء (معرفة كل شيء عن هذه الأسماء).

2. هل علم الله سبحانه آدم- عليه السلام- الأسماء منذ ساعة الخلق إلى قيام الساعة؟

3. ما حكم تلك الأسماء التي ستأتي لمخترعات بعد خلق آدم- عليه السلام- بقرون طويلة؟

4. قد خلق الله سبحانه المسميات، وإن كنا لا نعرف وجودها.

5. جعل الملائكة تنقل أسماء هذه المسميات عن آدم- عليه السلام-.

6. السؤال عن وسيلة تعليم الخالق الأكرم لآدم- عليه السلام-.

7. الخالق يعلم إلهاما. يقذف في قلب آدم- عليه السلام- أسماء المسميات كلها لما في الكون من أسماء مخلوقات.

8. إن الكلام هو ناتج السمع، واللغة ناتج البيئة، والله سبحانه وتعالى علم آدم- عليه السلام-

الأسماء، ولا يمكن ذلك إلا إذا كان آدم- عليه السلام- قد سمع من الله، سبحانه وتعالى ثم نطق.

9. "وهنا نتوقف لتجيب عن سؤالين: إذا كان الله سبحانه الله قد علم آدم- عليه السلام-

الأسماء كلها، فهل كان فيها أسماء ما سيستجد من مخترعات في العالم؟

نقول: إنه حتى لو تعلم الأسماء التي يحتاجها في أوليات الوجود وسيستخدمها في متطلبات حياته

على الأرض، فإذا جدّ جديد، فإنّ أولاد آدم سيستخدمون هذه الأسماء من المقدمات والأسماء

التي استخدموها .

فالذي علم الأسماء لآدم- عليه السلام- هو الله، وهو علمها لأولاده وأولاده علموها لأولادهم"<sup>1</sup> .

10. "يأتي السؤال الثاني: "إذا كان الله هو المعلم للكلام. فلماذا اختلقت اللغات على

الأرض وأصبح هناك ألوان من اللغات والألسنة؟

11. تقول إن تنوع فترات التاريخ وانتشار الإنسان على وجه الأرض جعل كل مجموعة

من البشر تقترب من بعضها لتكون لها لغة واحدة"<sup>2</sup> .

لو تأملنا هذه الأفكار لوجدنا بعض التفاوت يصل إلى حد التناقض .

مثلا بين حجتي (الإحاطة) (1) وحُجّة التجمعات البشرية عبر التاريخ (11) وبين وحُجّة

(الإلهام) (7) والحُجّة التي تليها (السمع) .

---

<sup>1</sup>تفسير الشعراوي، ص 249 .

<sup>2</sup>نفسه، ص 249 .



ففي حين ثبت أنّ المعنى المقصود بكلمة "كلّها" تعني الإحاطة، أي معرفة كل شيء في الكون، ثم يتنبّه إلى البحث عن سبب تنوع اللغات واختلافها ويعود ليثبت أنّ الكلام جاء نتيجة تجمعات بشرية عبر التاريخ لتصنع كل جماعة لغة خاصة بها .

ألا تلاحظ معي -هنا- تناقضا بين هذه الحجة ومال قاله أنفا عن القدرة الإلهية؟

ويقول أنّ الله -سبحانه وتعالى- ألهم آدم -عليه السلام-، أي قذف في قلبه هذه الأسماء؛

وبعدها يقول إنّ الكلام هو ناتج السمع واللغة ناتج البيئّة. والله سبحانه علم آدم -عليه السلام-،

وهذا العلم لم يكن يأتي إلا إذا كان آدم -عليه السلام- قد سمع من الله .

خاتمة

زأوجنا في هذا البحث بين الأصالة والعصرنة، فتولد جيل جديد ماهو إلا ثمرة لمحاولة التقريب بين نظريات التداولية والخطاب، وبالأخص الحجاج، وبين متن أصيل أصالة المنشأ ومعاصر في جمعه، وإخراجه وفي الجيل المعاصر الذي تلا على مسامعه آيات الذكر الحكيم بمنظار العصر لأنه موجّه إلى هذا الجيل.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث:

1- أن الخطاب الذي هو موضوع الفصل الأول، يتكون من عبارات مركبة تركيباً اقناعياً، تربطه أدوات وروابط حجاجية، ومكوناته هي ذاتها مكونات الخطاب الحجاجي وبهذا تتعدّد الصلة بين الخطاب والحجاج، وبما أن هذا الحديث بات متداولاً لينتفع به بين عامة الناس، وكسب صاحبه شهرة عالمية بفضل سمعته وتنقله لنشر الدعوة المحمدية في سبيل الله، وبفضل وسائل الإعلام، لأجل بسطنا نظريات المنهج التداولي المبنية على الحوار والتفاهم، والسلمية، والنصح قولاً وفعلاً... . فيصبح لدينا الخطاب التداولي الحجاجي، ويبقى لنا أن ندرج كلا من التفسير والتأويل بالمقارنة بينهما وآراء العلماء السابقين واللاحقين فيتمثل خواطر الشيخ الشعراوي تفسيراً مكتوباً من طرف تلامذته، وبذلك تكتمل حلقة بحثنا إذ يصبح الشيخ الشعراوي متلقياً لكتاب الله، متكلماً شفاهة بالخواطر فهو في الآن ذاته محاجج بالقرآن مكلف بالحجاجة به، وتم عملية الحجاج وتكتمل أطرافها عندما يلقي الشيخ إبان حلقة الذكر في المسجد، أو في الإذاعة وتطلق وتذاع عبر الفضائيات، فيزداد عدد المتلقين وتنوع مشاربهم، من مسلم حديث الإسلام، ومتعلم للإسلام، ومناصر للحق،

ومن فقيه متمرس، وأستاذ معلم وباحث متمرن. وبذلك يلقي كل من الخطاب الحجاجي، والخطاب القرآني كونهما بنيتان وفق استراتيجية لغوية خاصة، تقوم على أساس توظيف اللغة داخل بنية محددة، تخضع لقواعد استدلالية واستنتاجية تربط بالمتكلم والمتلقي، داخل سياق اجتماعي ونفسي وتواصلية محددات هدفا وغاية، تتمثل في التأثير في ذلك المتلقي إن القرآن قادر في كل وقت على إعطاء الحياة ما تكون به كريمة، بفضل ما يتحقق فيها من معرفة واعية، ومناهج قويمية في كنف الأمن والطمأنينة، والسلم الاجتماعي.

2- أن القرآن الكريم حثَّ الناس جميعا -والأمة المسلمة- بصفة خاصة على أعمال

العقل، واستخدام الحواس باعتبارها الوسائل الموصلة إلى المعرفة الشاملة.

3- أن هدف الحجاج في القرآن الكريم هو الوصول إلى الحق، ولا شيء غير الحق.

4- توضيح الأمور بكل موضوعية، بعيدا عن الضغط النفسي وأساليب المشاجرة،

والشتم، والسب.

5- مخاطبة الإنسان انطلاقا من واقعه، وإقناعه بقدرته الله سبحانه وتعالى.

6- أهمية الاستفادة من إنجازات الحضارة -وسائل الإعلام- (الفضائيات).

7- خواطر الشيخ وليدة مراسم، ومكابدة، وردَّ على المستشرقين، والمعاندين في كل

مكان، والدفاع على المستضعفين، والأخذ بيدهم ليعيشوا كرماء بفضل القرآن الكريم.

- 8- تنوع مشارب المستمعين للشيخ، واتساع رقعتهم الجغرافية، مما يجعل لهذه الخواطر، قراءات متعدّدة، وذات شأن كبير.
- 9- أن أساليب القرآن لا تبلى، ولا تحفّ معانيها، فهي برّاقة متجددة، رغم اندثار الحضارات المتعاقبة على الإنسان، بقي القرآن الكريم نابضا متحدّيا.
- 10- أن مفهوم الحجاج مرّ بمراحل عديدة، باحثا عن مرسى، ولم يكتمل نموه بعد، ولا تزال مسيرته في تنامٍ مستمرٍ شمل حقول الفلسفة، والمنطق، واللغة، والكلام.
- 11- نظرة التصور الإسلامي للحجاج تختلف عن نظرة التصور الفلسفي الأرسطي للحياة الدنيا، وعلاقته ببارئه.
- 12- اتّضح لنا في الأخير أنّ الحجاج في القرآن الكريم رؤية ثابتة غير متغيرة، وإن كانت متطوّرة بتطور رؤية الإنسان للعالم، لذلك وسمناه بالمنهج لأنه قائم على ركائز ثابتة، في العقيدة والتصوّر، وعلاقة الإنسان بما حوله.
- 13- أساليب الحجاج في القرآن الكريم (عند الشيخ الشعراوي)، متنوعة وثرية تنفذ إلى القلب، ترغيبا، وترهيبا، وتثير العقل، راحة واقتناعا.
- 14- مقاصد الحجاج تشمل كل فئات المجتمع، الغني، والفقير، والبسيط، المؤمن والكافر، والعاصي، والمنافق، الحاكم والمحكوم؛ والجزاء كذلك يشمل الجميع ولا يظلم أحد.

15- أساليب الحجاج المتنوعة أخرجت اللغة من قوقعة البنية والتركيب إلى فساحة

الحوار، والتواصل، والتداول في سبيل مجتمع سليم مطمئن آمن في الدارين.

16- فكر الشيخ الشعراوي هدفه أن خلاص البشرية في نظام الإسلام المتكامل،

سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا.

# فهرس المصادر والمراجع

## 1-المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. القرآن الكريم، برواية حفص.
2. الأهواني أحمد فؤاد، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب، القاهرة، 1954م.
3. أحمد شكري، دستور العلماء، دار إحياء الكتب، القاهرة، 1954م.
4. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط، 1995.
5. الأصفهاني (الراغب)، المفردات في غريب القرآن، المطبعة الميمنية، مصر.
6. الألوسي، روح المعاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
7. الآمدي، "الإحكام في أصول الأحكام"، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404 هـ.
8. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الطبعة المنيرية.
9. ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، الجزء 37، كتاب المنطق، طبعة الملك فهد بن عبد العزيز.
10. محمد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم - الجزء الأول في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمراء، بيروت لبنان.
11. ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، بدون تاريخ.
12. جريشة، أدب الحوار والمناظرة، الطبعة الأولى، دار الوفاء، 1410 هـ.
13. الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، 1990.



14. الجويني، الكافية في الجدل، تحقيق فوقية حسن محمد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1399هـ-1979م
15. حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، 2010.
16. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، 2000م.
17. ابن خلدون، عبد الرحمان أبو زيد وليّ الدين، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. 1424هـ/ 2003م.
18. طيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية استيمولوجية، دار القصة للنشر، 2001.
19. الذهبي (محمد حسين): التفسير والمفسرون، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
20. الرازي محمد فخر الدين ، الحصول في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ/1999م.
21. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث.
22. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.
23. سليم إلياس، الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان (مذاهب وديانات قديمة)، مركز الشرق لأوسط الثقافي للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، بيروت - لبنان.
24. سيد قطب، كتاب خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بدون تاريخ.
25. السبكي علي بن عبد الكافي، وابنه تاج الدين، "الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي" تحقيق أحمد جمال الزمزمي ونور الدين صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية، وإحياء التراث، دبي، الامارات العربية المتحدة، 1424هـ/2004م

26. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنيتة وأساليبه ، عالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية، اربد، الأردن، 2011.
27. السيوطي جلال الدين البابي الحلبي ، الإتيقان في علوم القرآن، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.
28. علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م.
29. الشهري بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي - ليبيا، 2004م.
30. الشهري بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان.
31. محمد متولي الشعراوي، التوبة، أعده وعلق عليه وقدم له عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي.
32. محمد متولي الشعراوي، المناعة الإيمانية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 2006.
33. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، جريدة أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
34. صالح خليل أبو اصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان - الأردن، 1995.
35. صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، جمعية عمال المطابع التعاونية، الطبعة الأولى، عمان - الأردن 1990.
36. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.
37. محمد طروس، النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، مصر، بدون تاريخ.
38. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، وأهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي ط2 2007 تونس - منوبة عن منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات .

39. عبد الله الصائغ، الخطاب بالإبداعي الجاهلي والصورة الفنية.
40. عبده مباشر، الشيخ الشعراوي، وقضايا معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009.
41. عشراتي سليمان: الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، مقارنة حول سيموتيك الفعل والقول والحال، دار الغرب للنشر والتوزيع.
42. عشراتي سليمان، الخطاب القرآني: مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران.
43. عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، الدار العربية للعلوم ناشرون.
44. علي سامي النشار وآخرون، هيراقليطس فيلسوف التغيير وأثره في الفكر الفلسفي، دار المعارف، القاهرة، 1969م.
45. جمال العمري: مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، دار المعارف.
46. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
47. الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
48. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، قواعد العقائد، تحقيق: موسى نصير، ط2، عالم الكتب بيروت، 1985م.
49. ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون.
50. فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس، العبدلي، الطبعة الأولى، الأردن، 2007.
51. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، (د.ط)، دار المنصورة، قسنطينة، (د.ت).

52. فيليب بريتون، الحجاج في العملية التواصلية (فن التواصل البشري).
53. ابن القيم الجوزية، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة، تحقيق: أمين الشواط. طبعة 1 دار الفكر، 1417هـ، 1996م.
54. ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تحقيق: إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، 1986م.
55. محمد علي القارضي في مقال: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير، ورد ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم.
56. محمد علي نوح قوجيل، أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية والعالمية، طرابلس، 2001.
57. علي الكبيسي، ميشال فوكو، تكنولوجيا الساطة، تكنولوجيا السيطرة على الجسد، دار شراس للنشر، تونس، أفريل 1993م.
58. المشاوي محمد عبد الرؤوف، (ت1021 هـ)، التعريف، جزء واحد، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، بيروت- دار الفكر المعاصر.
59. منقور عبد الجليل، علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي -دراسة-، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
60. الميداني، ضوابط المعرفة، تحقيق حسين مؤنس، دار القلم، دمشق، 1993.
61. ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997.
62. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1994م.

63. النووي، فيض القدير، ذكره وصحّحه: فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1427هـ/2007م.

## 2- المجلات والدوريات

64. البحث اللساني والسميائي (ندوة)، الدلائل والتداوليات (أشكال حدود)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 1405هـ/1984م،
65. عبد الرزاق بنور، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج مدارس وأعلام- مقال: الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج.
66. عبد القادر بوزيدة، نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 12، ديسمبر 1997،
67. محمد الواسطي، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب، العدد 12، 1421هـ/2001م،
68. محمد تقي فغالي، تفسير النصوص المقدّسة في قراءتين: دراسة في الهرمنيوطيقا المعاصرة، تر: الشيخ حيدر حبّ الله، مجلة المناهج، العدد الثالث والعشرون، بيروت، خريف 1422هـ/2001
69. محمد سامي أنور، اتجاهات جديدة في دراسة المعنى اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد 22، المجلد السادس، ربيع 1986م.

## 3- رسائل الماجستير

70. بلعالم فضيلة، السياق وأثره في المعنى عند سيد قطب رسالة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور سليمان عشريناتي/2005/ وهران.

71. الحواس سعدي، الحجاج في شعرالسياب، مذكرة لإعداد شهادة الماجستير في اللسانيات التداولية

إشراف الدكتور الطيب دبة، 2011، جامعة الأغواط .

72. صورية بوكخة، المصطلح الإعلامي العربي -دراسة في ضوء اللسانيات التداولية بحث مقدم لنيل

درجة الماجستير في علوم اللغة والاتصال، جامعة وهران.

#### 4-المصادر والمراجع المترجمة إلى العربية:

73. روبر بلانشي، الاستدلال، ترجمة: محمود يعقوبي، دار الكتب الحديث، الجزائر، 2003 .

74. رومان سلون سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، بيروت، 1996 .

75. جان سيرفوني، المفوضية، ترجمة قاسم المقداد، (د.ط) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق،

1998 .

76. جيل دكلارك، التداولية والحجاج، ترجمة صابر حباشة، سلسلة الكوثر ، الدار المتوسطة للنشر، تونس،

الطبعة الأولى، 2007.

77. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، الطبعة الأولى، 1987 .

78. سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة: محمد يحياتن، 1992 .

79. سكوت جيمس، صناعة الأدب، تر: هاشم الهنداوي، مراجعة: الدكتور عزيز المكلي، دار الشؤون

الثقافية العامة، بغداد، 1986 .

80. غولدتسيهر (أجتس) مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار إقرأ، الرملة

البيضاء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1983 .

#### 5-المعاجم

81. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق فريقا لجموع علي د حروج، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، 1996.
82. أبو حيان، البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، 1328هـ.
83. ابن منظور، لسان العرب، دار نوبليس، الطبعة الأولى، بيروت، 2006.
84. فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مجمع اللغة العربية، مصر، 1970.

## 6- المصادر والمراجع الأجنبية

85. Dominique Mainguéau, Aborder la linguistique, Edition du Seuil, Collections Mémo, Paris, 1996.

86. Dominique Mainguénou, Analyse du discours, Nouvelle édition Hachette, 1991.
87. Dubois, Jean & autre, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse – Bords/Her, 1999.
88. Ferdinand de Saussure , cours de l'inguistique générale.
89. Geoffrey Leech Principales of pragmatic, Longman London, 1983.
90. Gilles Declercq, L'art d'argumenter: Structures, .....et littératures, 1992.
91. Gilles Siouffi et Dan Van Raemdonck, La pragmatique, 100 Fiches pour comprendre la linguistique, Fiche 22, Edition Bréal.
92. Jean du Dubois, Jean & autre, Dictionnaire de linguistique: discours + texte. Larousse – Paris 1973.
93. M. Meyer, Logique, Language et argumentation, 1982.
94. Michel Faucault, L'Archéologie du savoir, Paris, Gallimard, 1969.
95. Olivier Reboul, La Figure et l'argument.
96. Oswald Ducrot et Al; Les mots du discours, Les éditions de Minuit, Paris, 1984.
97. Oswald Ducrot le dire et le dit, Les éditions de Minuit, Paris, 1984.
98. Perelman, The new Pretoric and th humanities, O. Reidel, Holland, 1979
99. Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, 3<sup>ème</sup> édition, La découverte, Paris, 2003.
100. R. Galisson et D. Coste et autres, Dictionnaire de didactique des langues, Librairie Hachette, 1979.
101. Rodolphe Ghiglione, l'Homme communiquant, Editions Armand Colin, Collection U, Paris, 1986 .
102. Roland Eluerd, La pragmatique linguistique, Edition Fernand Nathan, 1985 .
103. Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, Armand Colin, Paris.
104. Stephen C., Le Vinsonc, Cambridge University Press, 1983.



# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

	إهداء
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
11	مدخل
	الفصل الأول: مفهوم الخطاب بالحاجيته
19	1- مفهوم الخطاب بالحاجيته
20	1-1- مفهوم الخطاب عند علماء الغرب
20	1-1-1- ديوبا (Dubois)
21	1-1-2- رولان بارث (Barth)
22	1-1-3- لويس هلمسليف (Helmslife)
22	1-1-4- ميشال فوكو (Faucault)
24	1-1-5- أوزفولد ديكرتو (O.Ducrot)
25	1-1-6- فان ديك (Van Dijk)
27	1-1-7- الاتجاه الشكلي

- 28 8-1-1- الاتجاه الوظيفي
- 28 9-1-1- الاتجاه الثالث
- 29 2-1- الخطاب في التراث العربي الإسلامي
- 30 1-2-1- الأمدي
- 30 2-2-1- ابن جني
- 31 3-2-1- الجويني
- 32 4-2-1- السبكي
- 32 5-2-1- ابن خلدون
- 33 2- الخطاب الحجاجي
- 37 3- مدلول الخطاب في القرآن الكريم
- الفصل الثاني: الخطاب التأويلي وحجاجيته
- توطئة
- 42 1- الأصول الفلسفية القديمة
- 42 1-1- بداية ظهور الفلسفة اليونانية
- 44 2-1- الأصول الدينية للتأويل

- 46 2- التفسير والتأويل
- 46 1-2- الفرق بين التفسير والتأويل
- 49 2-2- نشأة التفسير والحاجة إليه
- 51 3-2- أقسام التفسير
- 52 4-2- التأويل عند اللغويين
- 54 5-2- التأويل عند الأصوليين
- 54 1-5-2- الآمدي
- 55 2-5-2- الغزالي
- 56 3-5-2- الباقلاني
- 58 3- مصطلح التأويل في الفكر الإسلامي
- 58 1-3- مناهج المفسرين
- 61 2-3- التأويل عند الشعراوي
- 63 4- التأويل في الفكر المعاصر

الفصل الثالث: التداولية والحجاج

توطئة

- 66 1- نشأة التفكير التداولي
- 67 1-1- مفهوم التداولية: 'Pragmatique'
- 69 1-2- المنهج التداولي وأهميته
- 72 1-3- البعد التداولي للخطاب
- 74 2- تطور مفهوم الحجاج
- 75 1-2- الكلمة بين المعنى المعجمي والمعنى الحجاجي
- 76 2-2- مفهوم الحجة في اللغة والاصطلاح
- 76 1-2-2- الحجة في اللغة
- 77 2-2-2- الحجة في الاصطلاح
- 78 2-3- الحجاج ومصطلحات أخرى
- 78 1-3-2- الحجة الخطابية
- 79 2-3-2- الحجة البرهانية
- 80 2-3-3- الحجة الجدلية

- 81 -1-3-3-2 الجدل والحجاج
- 84 -2-3-3-2 البرهان والحجاج
- 85 -3-3-3-2 الدلالة اللغوية للبرهان
- 85 -4-3-3-2 التمييز بين الحجاج والبرهنة
- 87 -5-3-3-2 الخصام
- 87 -6-3-3-2 النزاع
- 89 -7-3-3-2 المرء
- 90 -4-3-2 الحجة الشعرية
- 91 -5-3-2 الحجة المغالطية
- 93 -4-2 الحجاج عند الغرب
- 94 -1-4-2 رولان بارث (Roland Barthes)
- 94 -2-4-2 روث أموسي (Ruth Amossy)
- 95 -3-4-2 شايم برلمان (CheumPerelman)
- 95 -4-4-2 فيليب برتون (PhilippeBreton)
- 96 -5-4-2 جون ميشال آدم (J. M.Adam)
- 96 -6-4-2 ماير (Mayer)

- 98 2-4-7- أوليفيروبول (Olivier Robol)
- 98 2-5- الحجاج عند علماء العرب المعاصرين
- 98 2-5-1- محمد الواسطي
- 99 2-5-2- طه عبد الرحمن
- 99 2-5-3- حافظ إسماعيلي علوي
- 100 2-5-4- محمد متولي الشعراوي
- 102 2-6- البلاغة الجديدة
- 103 2-6-1- حجاجية البلاغة الجديدة
- 104 2-7- مقدمات الحجاج
- 105 2-7-1- القوالب الجاهزة
- 105 2-7-2- الاتصال الثقافي أو الفكري
- 106 2-7-3- قرائن المنظومة اللغوية
- 107 2-8- تحديد مفهوم الحجاج
- 109 2-8-1- المتلقي
- 112 2-8-2- مسألة السامع (الجمهور الكوني)
- 112 2-8-3- الجمهور الكوني

- 113 2-8-4- حجاجية القارئ الضمني
- 115 3- الحجة في السياق القرآني
- 117 4- تعدد أصناف المتقين أو المخاطبين بالقرآن
- 117 4-1- الكفار عموماً
- 118 4-2- المشركون والمنافقون وأهل الكتاب
- 118 4-2-1- أسلوب محاجة المشركين في القرآن الكريم
- 118 4-2-1-1- إبراز ضلالتهم
- 119 4-2-1-2- أسلوب الإثبات
- 119 4-2-1-3- أسلوب النفي
- 121 4-3- محاجة المنافقين في القرآن
- 122 5- الأخطاء التي ارتكبها أهل الكتاب
- 123 6- منهج القرآن في الاحتجاج على أهل الكتاب
- الفصل الرابع: آليات الحجاج عند الشعراوي

توطئة

- 130 1- دور الباث ومواصفاته في إنجاز عملية الحجاج



- 130 1-1- الداعية أنيق ومنظم
- 130 1-2- مهمة الداعية
- 131 1-3- الداعية والقرآن
- 131 1-4- الداعية مستمع جيد
- 132 2- الحجاج اللغوي عند الشعراوي
- 134 3- حمولة الكلمة الحجاجية عند الشعراوي
- 137 4- دور المتلقي في تحقيق أهداف الحجاج ونجاحه
- 138 5- تنوع الخطاب بتنوع مستويات المخاطبين
- 139 6- الكفاءة التداولية
- 139 7- الشعراوي بين الأصالة والعصرية
- 141 8- تحديد هوية المخاطبين
- 142 9- مبدأ مناسبة الصلة **Principe de pertinence**
- 143 10- الحجة على طلاقة القدرة
- 145 11- الرد على المتشككين
- 146 11-1- الشجرة الملعونة في القرآن
- 148 12- نماذج للحجاج عند الشعراوي

- 148 12-1- من المنطق إلى الحجاج
- 149 12-2- حجج القرآن في إثبات النبوة
- 150 12-3- أنواع الخطاب القرآني حسب معهود العرب و حجاجية
- 151 12-4- حجاجية ضرب المثل لتقريب صورة الوحي
- 153 12-5- ضرب المثل عند الشعراوي
- 154 12-6- الاستشهاد بالشعر للتوضيح
- 163 12-7- طريقة القرآن في إثبات البعث بالقسم والشهادة
- 166 12-8- قطع الشك باليقين
- 167 12-9- تحري الوضع وعدم الخروج عن معهود العرب
- 169 12-10- حجاجية الاختيار
- 170 12-11- الدلالة الإيحائية
- 172 12-12- الطاقة الحجاجية للكلمة عند الشعراوي
- 175 12-13- أهمية النداء
- 176 12-14- الرد على المستشرقين
- 178 12-15- عدل الله
- 179 12-16- الحجاجية وفعالية وسائل الإعلام في استراتيجيات الخطاب

180 12-17- الاستحواذ

180 12-18- إقناع الشيطان

181 12-19- الجهاد بالكلمة أمانة

## الفصل الخامس تحليل لأقوال الشيخ الشعراوي

### توطئة

183 1- تحليل أقوال وحكم للشيخ

201 2- حجاجة التأويل عند الشعراوي مقارنة بمجموعة من المفسرين

201 1-2- حجاجة الاختيار

212 2-2- النظرية التي سار عليها الشعراوي

214 2-3- الإعلان عن إخفاق في الإقناع عند الشيخ الشعراوي

220 خاتمة

225 فهرس المصادر والمراجع

235 فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ